كتاب تذكاري لمناسبة أربعين
الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي

ميثاق

أبريل 2026

الأمين العام لحزب الله
الشيخ نعيم قاسم

الشهادةُ عزّةٌ للأمة.. والمقاومةُ نفسٌ لا ينقطع

قيادي في حركة حماس
الدكتور أسامة حمدان

عروج الشهادة والانتصار

ممثّل قائد الثورة الإسلاميّة في العراق
آية الله السيد مجتبى الحسيني

اهتمام الإمام الخامنئي تخطّى إيران ليشمل الأمة الإسلامية

الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)
حجّة الإسلام رضا رمضاني

حياة الإمام الشهيد الخامنئي نموذج لنمط العيش الإسلامي

قائد الحركة الإسلاميّة في نيجيريا
الشيخ إبراهيم الزكزكي

عقيدة راسخة وشخصية نفذت إلى وجدان المجتمع المسلم

الخبير في الشؤون الدولية
الدكتور محمد جواد لاريجاني

جمع بين الانتماء الإسلامي والنزعة الاستقلاليّة والفكر الدّولي

الفهرس

على عتبةِ الميقات 4

الشيخ نعيم قاسم: الشهادةُ عزّةٌ للأمة.. والمقاومةُ نفسٌ لا ينقطع 6

الدكتور محمدي سيرت: كيف أصبح الإمام الخامنئي، الإمام الخامنئي الشهيد؟! 8

الدكتور اسامة حمدان: عروج الشهادة والانتصار 22

الشيخ إبراهيم الزكزكي: عقيدة راسخة وشخصية نفذت إلى وجدان المجتمع المسلم 26

في رحاب الشهيد: الإسلام الأصيل 30

الدكتور محمد جواد لاريجاني: جمع بين الانتماء الإسلامي والنزعة الاستقلاليّة والفكر الدّولي 32

في رحاب الشهيد: الثورة الإسلامية 42

آية الله السيد مجتبى الحسيني: اهتمام الإمام الخامنئي تخطّى إيران ليشمل الأمة الإسلامية 44

في رحاب الشهيد: القرآن الكريم 56

حجّة الإسلام عبد الكريم بهجت بور: «الشهيد الخامنئي والقرآن الكريم» 58

في رحاب الشهيد: المرأة والأسرة 72

الدكتورة حكيمة سقّاي بي ريا: كيف كان الإمام الشهيد يرى الوضع الراهن للمرأة؟ 74

في رحاب الشهيد: الرسول الأكرم (ص) 84

في رحاب الشهيد: الإمامة 86

حجّة الإسلام رضا رمضاني: حياة الإمام الشهيد الخامنئي نموذج لنمط العيش الإسلامي 90

الشهيد الخامنئي وفلسطين 102

في رحاب الشهيد: حل قضية فلسطين 104

الدكتور خالد القدومي: كان السيد الخامنئي يرى القضية الفلسطينية قلبَ العالم الإسلامي 108

أبو مجاهد: كان الشهيد خامنئي يعمل على توحيد الجهود للوصول الى وحدة إسلامية حقيقية 110

الدكتور إحسان عطايا: نظرة الشهيد الخامنئي إلى القضية الفلسطينية تجمع بين البعد الديني والبعد الإستراتيجي 112

الدكتور عدنان عبدالله الجنيد: كان موقف الإمام الخامنئي من فلسطين ينطلق من إيمان عميق بالقرآن الكريم 114

الدكتور لياقت بلوتش: استشهاد السيد علي القائد الخامنئي يرسم للمستقبل مساراتٍ مهمة 116

الشيخ سهيل الأسعد (إدغاردو روبين): كان ثوريًّا حاضرًا في السّاحة 118

في رحاب الشهيد: الاستعمار 124

في رحاب الشهيد: الأخوة الإسلامية 126

الدكتور حبيب الله بابائي: نقد الإمام الشهيد للغرب يتمحور حول «روحه الاستعمارية» 128

في رحاب الشهيد: البيئة 140

حجّة الإسلام الدكتور السيد سعيد رضا العاملي: كان القائد الشهيد يؤكّد على الاهتمام بالعالم الماورائي 142

في رحاب الشهيد: المهدوية 154

الدكتور لياقت بلوتش: استشهاد آية الله الخامنئي يرسم مسارات مهمة للمستقبل 156

الدكتور فؤاد إيزدي: الشهيد الخامنئي منح البشرية شجاعةً للوقوف بوجه المستكبرين 158

في رحاب الشهيد: العلم والتكنولوجيا 164

على عتبةِ الميقات

تعجز الكلمات عن الإحاطة بشخصية القائد الشهيد؛ فكما لا يمكن للعين المجرّدة أن تُحدق في قرص الشمس، وكما لا يطيق المرء أن يغرف ماء البحر كله بل ينهل منه بقدر ظمئه، فإنّ هذه المجموعة التي بين أيديكم ليست إلا جهداً متواضعاً ومسعىً يسيراً لتقديم شخصية تاريخية عظيمة، بلغت خلودها في صبيحة السبت، الثامن والعشرين من شباط/فبراير عام 2026.

لقد ارتقى القائد الشهيد، آية الله العظمى السيّد علي الخامنئي (رضوان الله تعالى عليه)، بعد عمرٍ حافلٍ بالجهاد في سبيل إرساء الحق والعدل؛ حيث قُتل وهو يتلو أسمى الكلمات من خير كتاب، القرآن الكريم، على يد أفسد بشرٍ وطئوا الثرى. لقد عاش لحظات عمره في هذه الدنيا وهو يتوق لمثل هذه الخاتمة؛ موتٌ في مقارعة الظالمين ونصرةً للمستضعفين، وهو الذي وصف هذا الرحيل بـ «الموت التجاري».

كان دائم الحديث إلى الناس، يحدّثهم عن النهايات الجميلة لهذا المسار من النضال المقدس. وطوال مرحلة قيادته، سعى ليُبرهن للشعب أنهم قادرون على اجتراح معجزات النجاح في ظل الاستقلال الوطني. لقد ذاد عن ثروات شعبه المادية والمعنوية، وبالمقابل، أحاطه الشعب بالولاء والدعم، فلم يسمحوا لأي يدٍ غريبة أن تمتد إلى تراب الوطن.

ومع أواخر القرن العشرين، انطلق المسلمون في منطقة غربي آسيا في مساعٍ حثيثة لمجابهة المتجبرين، فكانت الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 إحدى المحطات الملهمة في مسيرة المقاومة الشعبية. ففي المنظومة الفكرية للمقاومة الإسلامية، يُعدّ الصمود في وجه الظلم والجور جهاداً مقدساً في طريق العبودية لله. وقد تجلّى هذا الجهد المقدس في كل أمة إسلامية بصورةٍ ما؛ ففي إيران، تأسست «الجمهورية الإسلامية» على يد الإمام الخميني وفق هذا الفكر، وترسّخت بفيض هداية القائد الشهيد.

إن «تيار المقاومة» اليوم، وبعد عقودٍ من الزمن، غدا شجرةً وارفةً في وجدان الشعوب المسلمة، تضرب جذورها في أعماق الإيمان التوحيدي. أولئك الذين اصطفوا في خندق المقاومة، جاهروا بـ "لا" مدوية في وجه الغزاة الظالمين، مؤمنين بأن غاية هذا النهج في الحياة — سواءً بصرع الظالم أو بنيل الشهادة على يده — هي السعادة والظفر.

إن الصامدين في وجه العتوّ، الذين اختاروا حياة العزّة، يؤمنون يقيناً بأن النصر يكمن في الحالتين: إمّا بكسر شوكة الظالم، أو بالارتقاء شهداء على يده؛ فهم يدركون جيداً الموقع الحق الذي يقفون فيه في خضم هذا الصراع. ففي السنوات الأخيرة، أذهل صمود شعوب اليمن والعراق وأفغانستان وفلسطين ولبنان وإيران العالم، وهم يخوضون غمار الحرب ضد أعتى قوى الظلم وأكثرها حداثة؛ إذ يتجسد معنى الحياة لدى هؤلاء في مقاومة الجور والغطرسة، وهي حياةٌ ذات معنى نابعة من استشعار المسؤولية تجاه الإنسانية، وهو من أمهات التعاليم التوحيدية الإسلامية. ففي هذا النموذج الفكري، المهم هو الاستقامة في الجبهة المحقّة، وعدم الرضوخ والذل أمام الظالم؛ فالمقاوم منتصرٌ في كِلا الحالين: قاتلاً كان أم مقتولاً.

إن الشعوب المقاومة في المنطقة، في إيران ولبنان والعراق وفلسطين واليمن، تخوض هذه الأيام التجربة العذبة في مقارعة أفسد طواغيت الأرض؛ تجربةٌ كلفتها باهظة، غير أنّ عواقبها طيبة ومباركة. وبالتأكيد، لم يخطر ببالهم أن يشهدوا هذه الأيام التاريخية التي تتحطم فيها غطرسة الظالمين في ساحات النزال من دون قيادة الإمام الخامنئي.

إن الكلمات لتقف قاصرة عن وصف الملاحم العظمى التي تسطرها الشعوب المقاومة في المنطقة.

ومع أن الكلمات تعجز، إلا أن ينبغي ألّا نتخلّى عن هذا «الإصدار الخاص» الذي هو جهدٌ قد لا يفي بالحق، ولكنه ضروري، صادرٌ عمن أمضوا شطراً كبيراً من حياتهم في رحاب كلمات القائد الشهيد، وسعوا دوماً لتعريف العالم بهذا الإنسان العظيم والجدير، آملين أن يكون هذا العمل منطلقاً لمعرفةٍ أعمق لكل محبيه.

الشهادةُ عزّةٌ للأمة.. والمقاومةُ نفسٌ لا ينقطع

أُعزّي أهلنا الصابرين الصامدين في كل أنحاء لبنان الوطن بارتقاء الشهداء الأبرار من الرجال والنساء والأطفال والمجاهدين والمجاهدات، سائلاً المولى تعالى لهم أعظم الرحمات، لما قدّموه لشعبنا ووطننا من دماء زكية نراها عاملًا مساعدًا للعزة والنصر في مواجهة العدو الإسرائيلي-الأميركي الغاشم والطاغية. سائلاً المولى تعالى الشفاء العاجل للجرحى، ولأهلنا الصبر والعزيمة والتوفيق.

عَجِزَ العدو الإسرائيلي في الميدان في مواجهة أبطال المقاومة الشجعان، ولم يتمكن من الاجتياح البري كما أعلن مرارًا، وسقط جنوده وضباطه في كمائن المجاهدين، ودمّرت آلياته على مفترق البلدات والقرى، وأعلن تغيير أهدافه عدة مرات، فتارة يريد الليطاني، وأخرى التقدم المحدود، وثالثة السيطرة بالنيران، ورابعة الاعتماد على النيران والتدمير.. ولم يُفلح في كلّ عدوانه لأكثر من أربعين يوماً في

الشيخ
نعيم قاسم
الأمين العام لحزب الله

منع الصواريخ والقذائف والطائرات المسيرة عن مستوطناته القريبة والبعيدة إلى حيفا وما بعد حيفا.

فوجئ العدو بأساليب المقاومة، ومرونة حركة المجاهدين، وقدراتهم الدفاعية، وشجاعتهم الأسطورية. وتبيّن أنّ حشد مئة ألف جندي إسرائيلي لن يساعده على الاحتلال، بل سيتحولون إلى جثث وأشلاء، ومن بقي في الميدان يعيش الخوف والرعب وهو لا يعلم متى سيُقتل؟ أو متى سيؤسر؟ أو متى سيأتيه أمر الانسحاب لعدم القدرة على الاستقرار في أرض الطهر في جنوب العطاء والشهادة.

أربعون يومًا والعدو يُراكم فشله، ومستوطناتُه تضجُّ من الألم والرعب، وخططُه مرتبكة، ومسؤولوه يهددون يوميًا بنبرة عالية الصوت منخفضة الأثر. لجأ العدو إلى الإجرام الدموي يوم الأربعاء في بيروت والضاحية والجنوب والبقاع وجبل لبنان وفي كل مكان باستهداف المدنيين في الأحياء المكتظة والقرى والبلدات لتغطية عجزه في الميدان. لكنّ شعبنا اللبناني أقوى وأصلب بكثير مما يعتقد، والنازحون أعطوا أمثولة الفخر والمعنويات، والذين آووهم أظهروا أشرف المواطنة والإنسانية، والمجاهدون على الجبهات هم سدّ منيع كسر أحلام الصهاينة وأمنياتهم.

المقاومة مستمرة حتى ينقطع النفس، وتنافس الشباب إلى الميدان لا يغادرونه هو بارقة أمل وعزة، والتضحيات تجعلنا أكثر تشبثًا بتحرير وطننا وكرامتنا. لن نقبل بالعودة إلى الوضع السابق، وندعو المسؤولين إلى إيقاف التنازلات المجانية، نحن معًا كدولة وجيش وشعب ومقاومة نحمي بلدنا ونُعيد سيادته ونطرد المحتل. لن تخيفنا تهديداتهم ولا أسلحتهم، فنحن أصحاب الأرض، نملك الإيمان والإرادة والقدرة لنمنعهم من تحقيق أهدافهم. قال تعالى "كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ".

كيف أصبح الإمام الخامنئي، الإمام الخامنئي الشهيد؟!

الدكتور
محمدي سيرت
الأستاذ المشارك في العلوم
السياسية بجامعة الإمام صادق (ع)

المشهد الأخير

كما عشتَ ستموت. إنّ قصة حياة العظماء يجب أن تُقرأ من النهاية إلى البداية. فالموت هو الفصل الأخير من مشهد حياتنا. وإذا كانت حياتنا مهيبة وفي مسار التكامل، أمكن للموت أن يكون التجلي الأخير وأعظم مشهد مهيب لتلك الحياة.

«لقد كانت حياته، كطبيعة رحيله، مفعمة بالعظمة والعزّة المنبثقة من الاعتماد على الحق. وقد حظيتُ بشرف زيارة جسده الطاهر بعد استشهاده؛ فما رأيتُه كان جبلًا من الصلابة، وقد سمعتُ أن قبضته السليمة كانت مضمومة بقوة».[1]

في يوم السبت 28 فبراير/شباط و10 رمضان، وقع هجوم من قبل أمريكا والكيان الصهيوني على منزل قديم في وسط طهران، فأدّى إلى استشهاد قائد الثورة الإسلامية عن عمر ناهز 86 عامًا؛ قائد كان يعيش منذ سنوات في شوقٍ إلى الشهادة وتمنٍّ لها، وكان قلقًا من الموت الطبيعي على الفراش:

«دعوني أقولها لكم وأنطق بها، إنني كلّما فكّرتُ في أنّ هذه الحرب، وهذه الشهادة، وميادين الشرف والدم هذه ستنتهي يومًا ونبقى نحن بعدها، ثم نموت في وقتٍ ما ميتةً طبيعية كحادثٍ عرضي، كما يموت الكثيرون

أو نرحل بسبب حُمّى؛ يشهد الله، إن قلبي ليعتصرُ ألمًا من تصوّر هذه الفكرة... إنّها ساحة سباقٍ للفخر الأبدي والإلهي، ساحة سباق إلى الجنّة، وإنّه لمن الصعب حقًا أن يُحرم المرءُ من ذلك ثم يموت هكذا ميتةً عادية. يا ليت موتنا أيضًا - وهذا دعاءٌ ينبع من أعماق قلبي - يكون مثل موت أبنائكم. وأنا ولا أحسبُ أن أحدًا يدرك حقيقة هذا النوع من الرحيل ثم لا يتمنّاه».

لقد كان، على عكس كثير من الملوك والقادة الذين قُتلوا وهم في حال فرار أو قُتلوا بذلّة، واقفًا في الميدان وفي حال أداء الواجب؛ لا في ملجأ، خلافًا لما كانت تصوّره وسائل الإعلام الغربية من أنّ «سماحته مختبئ في ملجأ». وقد تعرّض مرارًا، وعلى خلاف القواعد الدولية والإنسانية، لتهديدات من قبل الصهاينة، وكان قد سمع تلك التهديدات ورآها، لكنّه كان مطمئنّ القلب إلى حبٍّ آخر وصفه

1. البيان الأول لسماحة آية الله السيد مجتبى الحسيني الخامنئي، قائد الثورة الإسلامية، 2026/3/12.

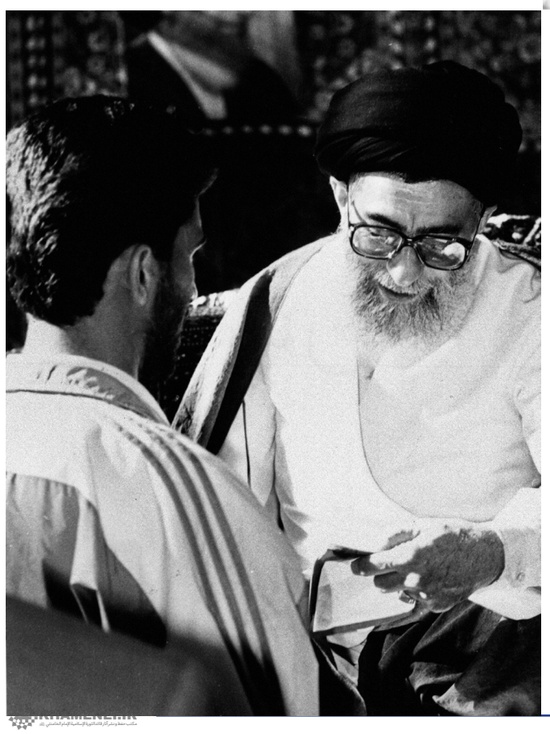

في هذا الشعر على هذا النحو: «**تآزرت ببعضها أظْهُرُ خصومي لقتلي *** يا عشقيَ المبهج بك آزرتُ قلبي**»

ولم يكن إخفاؤه في الملاجئ السرية أوّل تحريفٍ من عمالقة الإعلام الغربي، بل إنّ وسائل الإعلام الغربية سعت طوال سنوات إلى تقديم صورة مشوّهة عنه.

وجهان أساسيان: المقاومة والتبيين

من البديهي أنّه لا يمكن في سطور محدودة وصف الحياة الحافلة بالأحداث والمشاهد لشخصيةٍ مثل الشهيد الإمام الخامنئي، كما ينبغي الالتفات إلى أنّ الإمام الخامنئي كان شخصية متعددة الأبعاد، وكانت له سوابق وتجارب كثيرة في مختلف الميادين العلمية والعملية. ولكن لعلّه يمكن، بصورة عامة، أن نرى وجهين أساسيين ساريَين وجاريَين في كلّ حياة الإمام الشهيد: المقاومة والتبيين. ففي مقام التبيين، سلك طريق العلم والوعي، وفي مقام المقاومة، سلك طريق الإرادة والعمل. وقد وصف ذلك بنفسه في كتاب مذكّراته على هذا النحو:

«وهنا أقول للتاريخ وللحقيقة إني كنت من المعدودين القلائل ممّن مزج بين الخطين في كلّ آنات النهضة، وكنت معروفًا بهذا الجمع. لم أنفك في حياتي الجهاديّة عن الجمع بين المقاومة والتوعية، وأعتقد أنّي مزجتهما كمال الامتزاج.. أنا أؤمن أن العمل الفكري الديني الواعي إذا انفكّ عن الحركة والمعارضة يصبح جافًا، وروح المعارضة الدينيّة إذا انسلخت عن الوعي الفكري تُبتلى بالرجعيّة والتحجّر، وتركيب المقاومة والتوعية الفكرية يشكّل خطّ الثورة الإسلاميّة».[2]

المقاومة

لقد كانت للمقاومة في حياة الإمام الخامنئي وفكره، من زاوية الزمان والمكان، تجلّيات متنوّعة.

1. بيتٌ مقاوم

لعلّ الأسرة هي أوّل مكان تُبنى فيه أسس شخصية الإنسان. لقد وُلد الإمام الخامنئي في أسرةٍ كان «الفقر» يجري فيها من جهة، و«عزّة النفس» تجري فيها من جهة أخرى. وكان الزهد الواعي حاضرًا في هذه الأسرة، وقد ذكر سماحته مرارًا في مذكّراته هذه السمة في والده، الذي كان عالمًا ورعًا، وفي والدته، التي كانت امرأةً مؤمنة ومن أهل العلم.

كانت والدته مشجّعة له في طريق النضال، ولم تكتفِ بعدم منعه في النضالات السياسية للثورة الإسلامية في إيران، بل كانت مشجّعة له أيضًا. ويذكر سماحته في كتاب مذكّراته تلك الفترة التي كان فيها قد نجا من سجن النظام البهلوي وتعذيبه، وكان عائدًا إلى البيت، وكان قلقًا من ردّ فعل الأسرة، لكنّه واجه هذا المشهد:

«عندما وصلتُ البيت استقبلني الأهل أحرّ استقبال، تهلّلوا واستبشروا، وأوّل ما قالت لي أمّي (رحمها الله) بعد أن جلسنا على بساط الشاي: إنّي أفخر بابن مثلك، يفعل ما فعلت في سبيل الله».[3]

ويستذكر الإمام الخامنئي الفترة التي اقتحم فيها عناصر الأمن التابعون للنظام البهلوي منزلهم، وكيف وقفت والدته بشجاعة في مواجهة العناصر:

«كنا نتغدّى مع الضيوف إذ جاء أحد إخواني وقال لي: السافاكيّون دخلوا البيت. أسرعتُ نحوهم كي لا يدخلوا جناح الضيوف. رأيت والدتي في فناء البيت أمام اثنين من رجال السافاك تجادلهما بشدّة. كانت متلفّعة بحجابها، مغطّيةً وجهها، واقفة أمام الرّجلين كالأسد..».[4]

كما أنّ زوجة الإمام الخامنئي، التي يذكرها سماحته في كتاب مذكّراته بكرامة وعظمة، كانت مثل والدته، ترافقه وتواكبه في طريق النضال والمقاومة:

«هي تتمتّع برباطة جأش ومعنويّات عالية، ما رأيت عليها يومًا أيّ خوف أو ضعف أو انكسار رغم ما تعرّض له بيتنا مرارًا من هجوم الجلاوزة، ورغم اعتقالي أمامها مرّات؛ بل رغم تعرّضي للضرب أمامها في منتصف الليل عند مداهمة بيتي لاعتقالي. كانت تزورني في السجن بمعنويات عالية قوية. وكانت تبعث في نفسي خلال زيارتها الثقة والاطمئنان».[5]

2. النضال ضدّ النظام البهلوي: «إنّ مع الصبر نصرًا»

كان الإمام الخامنئي، منذ الأيام الأولى لانطلاق الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني (رض)، من أبرز الناشطين والمناضلين السياسيين، وقد ابتُلي في هذا الطريق مرارًا وتكرارًا بالسجن والتعذيب والنفي، لكنه لم يتخلّ عن النضال، وبقي إلى جانب الإمام، مواكبًا له وعلى النهج نفسه حتى انتصار الثورة. وقد ورد شرح

2. كتاب «إنّ مع الصبر نصرًا»، صفحة: 74 و75
3. كتاب «إنّ مع الصبر نصرًا»، صفحة: 112
4. كتاب «إنّ مع الصبر نصرًا»، صفحة: 184
5. كتاب «إنّ مع الصبر نصرًا»، صفحة: 174

مذكّراته ونضالاته السياسية، بصورة مفصّلة وناطقة بذاتها، في كتاب «إنّ مع الصبر نصرًا» حتى فترة رئاسته للجمهورية عام 1981. وقد اعتقلته المؤسسة الأمنية التابعة للنظام البهلوي ستّ مرات، وعذّبته وزجّت به في السجن، كما نُفي مرّتين إلى مدينتَي إيرانشهر وجيرفت المحرومتين.

3. في لباس الجندية

استنادًا إلى روحيته الجهادية والمقاوِمة، أدّى الإمام الخامنئي، في هيئة قوّة عسكرية متطوّعة دفاعًا عن سيادة الوطن، أدوارًا متعدّدة. فبعد ساعاتٍ من بدء الهجوم العراقي على الأراضي الإيرانية، أعدّ أوّل بيان بشأن اعتداء جيش البعث العراقي على إيران، وأبلغه للناس عبر الإذاعة. وفي اليوم الثاني من بدء الحرب، حضر الاجتماع الذي عُقد في هيئة الأركان المشتركة للجيش لبحث كيفية مواجهة العدوان العسكري العراقي. ثم حين تقرّر أن يذهب أحدهم إلى جبهات الحرب لتفقّد المسألة، كان الإمام الخامنئي أوّل من قبل هذا الاقتراح. وفي 27/9/1980، وبعد إذن الإمام الخميني، حضر بزيٍّ عسكري في جبهات الحرب، لكي يُعدّ تقريرًا عن أوضاع الجبهات وإمكانات القوات الإيرانية في المنطقة التي تعرّضت لعدوان القوات العراقية، ويساعد في تنظيم القوات لمواجهة العدو. وعلى هذا الأساس، توجّه إلى جبهة الجنوب، وأدّى دورًا محوريًّا واستراتيجيًّا في دحر القوات العراقية المعتدية عن منطقة الأهواز، وكذلك في عملية كسر حصار سوسنجرد في 17/11/1980، كما حضر أيضًا في جبهة الغرب في أوائل ربيع عام 1981، إلا أنّ حضوره كان متواصلًا، باستثناء ذهابه لإقامة صلاة الجمعة في طهران، أو للقاء الإمام وتقديم التقرير إليه، أو لحضور الجلسات الضرورية، والزيارات والخطابات اللازمة.

كما شارك في عددٍ من العمليات العسكرية أو في تصميمها. وكان دعم احتياجات قوات التعبئة والحرس من السلاح والإمداد من جملة نشاطاته الأخرى في ساحة المعركة. وكان معظم وقته في الجبهات يُصرف في القيادة والدعم وتصميم عمليات مقرّ الحروب غير النظامية الذي كان قد شُكّل من قبله ومن قبل الشهيد مصطفى تشمران. ومن الإجراءات الخاصة لهذا المقرّ، التي كان للإمام الخامنئي دور مباشر فيها، تشكيل مجموعات عسكرية خاصة لاصطياد الدبابات. وقد أدّى دورًا مؤثرًا في دعم جبهات خرمشهر وآبادان وسوسنجرد، كما أدّى دورًا كبيرًا في تعزيز القوات العسكرية الشعبية مثل حرس الثورة الإسلامية والتعبئة، وفي تأمين احتياجاتها التقنية والتجهيزية. ومن جهوده الأخرى أيضًا إيجاد التنسيق بين الحرس والجيش في الجبهات والعمليات العسكرية.

4. ضحية الإرهاب: الاغتيال والإصابة

تعرّض الإمام الخامنئي في 27/6/1981، وأثناء إلقائه كلمة بعد صلاة الظهر في مسجد أبي ذر، الواقع في إحدى مناطق جنوب طهران، لإصابة بالغة جرّاء انفجار قنبلة كانت قد زُرعت داخل جهاز تسجيل. وقد أدان الإمام الخميني، في رسالة وجّهها إليه، مؤامرة محاولة اغتياله، وأشاد به. ونتيجةً لهذه المحاولة، تعرّض سماحته لإصابات خطيرة في الصدر والكتف واليد اليمنى. وقد نسبت تقارير غير رسمية المسؤولية عن هذا الحادث إلى منظمة «مجاهدي خلق» الإيرانية. وفي 9/8/1981، غادر المستشفى، وعاد مجدّدًا إلى ساحة المجتمع والسياسة، وحضر ابتداءً من 17/8/1981 جلسات «مجلس الشورى الإسلامي». لكنّ آثار محاولة الاغتيال ظلّت ترافق سماحته حتى آخر عمره، وكانت يده اليمنى قد تعطّلت عمليًّا عن الحركة.

5. النضال والخدمات الاجتماعية

كان الإمام الخامنئي ناشطًا أيضًا في مجال الخدمات الاجتماعية ومساعدة الطبقات المحرومة في المجتمع، وكان له قبل تولّي المسؤوليات حضورٌ ميداني مباشر. فعلى سبيل المثال، سافر الإمام الخامنئي، بصفته رجل دين شعبيًّا وحريصًا على الناس، إلى مدينة فردوس بعد علمه بوقوع زلزال فردوس عام 1968، وأقام في هذه المدينة مدة شهرين، نظّم خلالهما جمع المساعدات الشعبية، وأنشأ مقرّ إغاثة متشكل من علماء الدين، ورتّب إجراءات مهمّة في خدمة المنكوبين بزلزال فردوس. وبعد ذلك، حين كان في المنفى ووقع زلزال إيرانشهر، كان أحد الأركان الأساسية في تنظيم الناس والمساعدات الشعبية. وقد وصف هو نفسه تلك الأيام على هذا النحو: «**في عام 1978، وقع سيل في إيرانشهر، وقد تضرّر 80 % من المدينة حتمًا؛ أي إنني ذهبتُ بنفسي، سيرًا على الأقدام، إلى جميع مناطق المدينة واحدةً واحدة، ورأيتُها. لقد كنّا نقوم بالإغاثة والدعم مدة خمسين يومًا. ولم يأتِ إلى إيرانشهر شخص واحد من العاصمة أصلًا، ولا حتى من زاهدان، من الشخصيات البارزة المعروفة، ليسأل: ماذا يجري هنا!**»[6]

كما أولى الإمام الخامنئي، في فترة تحمّله المسؤوليات، اهتمامًا بالغًا بالشؤون الاجتماعية والخدمات الشعبية. فعلى سبيل المثال، كان يحضر بنفسه مباشرةً إلى مواقع الزلازل، وكان زلزال بم، وورزقان، وكرمانشاه، نماذج من هذا الحضور.

ففي أيام زلزال بم، سافر شخصيًّا مرتين إلى المناطق المنكوبة. وذهب إلى الناس بلباسٍ متنكّر ومن دون

6. 2003/2/24.

أي تشريفات، وجلس يستمع إلى أحاديثهم. وأشرف على توزيع المساعدات للناس، حتى على طبخ الطعام الساخن للمنكوبين، وكان يطالب، بجدّية، المسؤولين على صعيد المحافظة والحكومة بالإسراع في الإغاثة وسائر الأعمال.

وفي الأيام الأولى من زلزال كرمانشاه، ذهب إلى مدينة سربل ذهاب. ومشى في المدينة وسط الحشود الغفيرة من الناس. ودخل إلى خيام المتضرّرين من الزلزال، واطّلع على أحوالهم وأوضاعهم. وحضر شخصيًّا جلسات توزيع الأدوار بين المؤسسات الحكومية والعسكرية، وأصدر التعليمات التكميلية. ولا تزال صورته، بعباءته وعمامته المغبرّتَين، في أحضان مئات من أهالي هذه المدينة، واحدةً من أكثر صوره رسوخًا في ذاكرة الشعب الإيراني.

كما عمل سماحته، في أيام جائحة كورونا، عبر التشجيع وإطلاق حملات المساعدة، على توسيع روح التضامن في المجتمع الإيراني. وقد استعاد للشعب الإيراني نموذج المواساة والعون بلا منّة الذي جسّده أهل البيت (ع) تجاه الآخرين، وطلب منهم أن يبادروا إلى مساعدة ذوي الدخل المحدود في الأيام التي تعذّر فيها على كثيرٍ من الناس ممارسة النشاط الاقتصادي. وهكذا نشأت شبكة من تقديم الخدمات للمحرومين في مدن إيران، ولا تزال هذه الشبكات، حتى الآن، بعد مرور أكثر من ست سنوات على تفشّي كورونا، ناشطةً ومُعينةً للمحرومين.

بل حتى على الساحة الدولية، شهدنا مساعداته وحرصه تجاه الخدمات الاجتماعية. فعندما وقعت الفيضانات في باكستان، عرض في خطب صلاة عيد الفطر حجم هذه الفاجعة للناس، وتحدّث عن إيمان الناس هناك وإخلاصهم، ثم طلب، بغصّةٍ وحزن، من الشعب الإيراني ومن المسلمين أن يقدّموا المساعدة للمنكوبين بفيضانات باكستان.

6. فلسطين

لقد كانت قضية تحرير القدس وفلسطين من أيدي المحتلين الصهاينة من أكثر المواقف السياسية والعقائدية الثابتة أصالةً لدى الإمام الخامنئي، وقد بقي ملتزمًا بها حتى آخر عمره.

وكان التزام الإمام الخامنئي بقضية فلسطين التزامًا خالصًا لا يتطرّق إليه خلل. فقد كانت قضية فلسطين، في نظره، تمثّل استمرار حضور المستعمرين في

غربي آسيا، وتمثّل أيضًا سعي أعداء الإسلام إلى الهيمنة على البلدان الإسلامية، كما كانت قضيةً معنويةً وصفها بأنّها **«المفتاح الغامض لقضية الظهور»**. وحين تكون القضية بهذه الدرجة من العمق في تفكيره، فمن الطبيعي أن تكون فلسطين أيضًا قضيةً محورية في أدائه العملي. لقد كان الإمام الخامنئي، منذ الأيام الأولى لتولّيه المسؤولية، سواء في فترة رئاسة الجمهورية أم في فترة القيادة، أحد أبرز مصمّمي وداعمي جبهة المقاومة. وكان يرى أنّ الحلّ لقضية فلسطين يكمن في قطع يد الصهاينة عن الأرض المقدّسة، وتسليم سيادة هذه الأرض إلى الفلسطينيين أنفسهم، ولذلك كلّف أفضل رجال إيران، ولا سيّما الشهيد الحاج قاسم سليماني، بأن يتواصلوا مع جميع فصائل المقاومة في المنطقة، سواء أكانت شيعية أم سنية، بل وحتى غير مسلمة، وأن يوصلوا إليها الإمكانات، وألّا يجعلوا أي خلاف في الرأي مانعًا من هذا العمل.

وكان يرى أنّ **«قضية فلسطين هي القضية الأولى في العالم الإسلامي»**.[7] وترى الجمهورية الإسلامية أنّ رسالتها هي دعم هذا الهدف، وأنّه **«في أي مكان، أي شعب، أي جماعة، تقاتل الكيان الصهيوني وتواجهه، فنحن إلى جانبها وندعمها، ولا نخشى أبدًا من التصريح بهذا الكلام»**.[8]

لقد كان الإمام الخامنئي، جنبًا إلى جنب مع الانتفاضة، ومع حركات المقاومة في الضفة الغربية، ومع عرين الأسود، وأحد أكبر المؤيدين لطوفان الأقصى. وفي خلال أكثر من عامين من الإبادة الجماعية في غزة، كان صوته من أعلى الأصوات دفاعًا عن فلسطين. وخاض في هذا الطريق معارك عدة، واستشهد أفضل رفقائه وقادته، بدءًا من الشهيد السيد حسن نصر الله وصولًا إلى قادة بارزين مثل الشهيد زاهدي وحاجي رحيمي ورشيد وباقري وغيرهم، لكنه لم يتخلّ عن قضية فلسطين، وفي نهاية المطاف استشهد في هذا الطريق على يد أمريكا والكيان الصهيوني.

7. العالم الإسلامي والوحدة الإسلامية

في المنظومة الفكرية للإمام الخامنئي، كانت الوحدة والأخوّة في العالم الإسلامي من الأولويات الرئيسة في السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية. وقد أشار سماحته في مناسبات عدة إلى الوحدة الإسلامية، وعمل في نشاطاته السياسية وفق هذه المبادئ. ومن أمثلة ذلك: فتوى تحريم الإساءة إلى مقدسات المذاهب الإسلامية، والخطاب السنوي في مؤتمر الوحدة الإسلامية بطهران، ومساعدة حركات المقاومة الإسلامية من أهل

7. 2014/9/7.
8. 2012/2/3.

السنة مثل حركة حماس في فلسطين، والرسائل السنوية للوحدة بمناسبة الحج، وغيرها من المبادرات التي يتجلّى فيها فكره الوحدوي تجاه المسلمين. وكان يرى أنّ المرض والسبب الرئيس للمشكلات في العالم الإسلامي هو هيمنة الاستعمار بسبب التفرّق وغياب الوحدة بين المسلمين:

«عمّ تنجم معاناة الأمّة الإسلاميّة في الوقت الحاضر؟ لماذا تعاني الشعوب الإسلاميّة إلى هذا الحدّ من الناحية الاقتصاديّة، والضغوط السياسيّة، والحروب، والحروب الداخليّة، والهيمنة والسيطرة، والاستعمار، والاستعمار الجديد، وأمثالها؟ ما سبب هذه المعاناة وتعرُّض المسلمين لها؟ هناك أسباب كثيرة ودلائل متعدّدة. التخلُّف العلميّ أحد أسبابها، والاستسلام لتسلُّط المستعمرين أحدها. لها أسباب متعدّدة، وقد عمل في هذا الصدد مَن هم أهل السياسة وتحليل القضايا السياسيّة والاجتماعيّة وأمثال هذه الأمور، وكتبوا آلاف المقالات. لكنْ واحد من العوامل، الذي قد يكون الأهمّ أو من أهمّها، هو تفرُّق المسلمين. نحن لا ندرك قيمة أنفسنا وقيمة بعضنا بعضًا. هذا هو الإشكال الكبير لعملنا. نحن منفصلون بعضنا عن بعض، ومتفرّقون».[9]

وكان سماحته يرى كيف أنّ غياب هذه الوحدة يتيح لأعداء الإسلام أن يمنعوا المسلمين من التقدّم العلمي، ويحرِمونهم من الحياة الكريمة. كما كان الإمام الخامنئي يضع نصب عينيه هذه الآية من القرآن الكريم: **{وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (الأنفال، 46)**، ويؤكد أنّه يجب أولًا تحقيق الوحدة وترك النزاعات الداخلية، والمقاومة وقطع يد العدو الخارجي، عندها يمكن للعالم الإسلامي أن يزدهر وينشط كما في الماضي.

8. المسؤوليات والخبرات

كان الإمام الخامنئي حافلًا بخبرات عملية وسياسية،

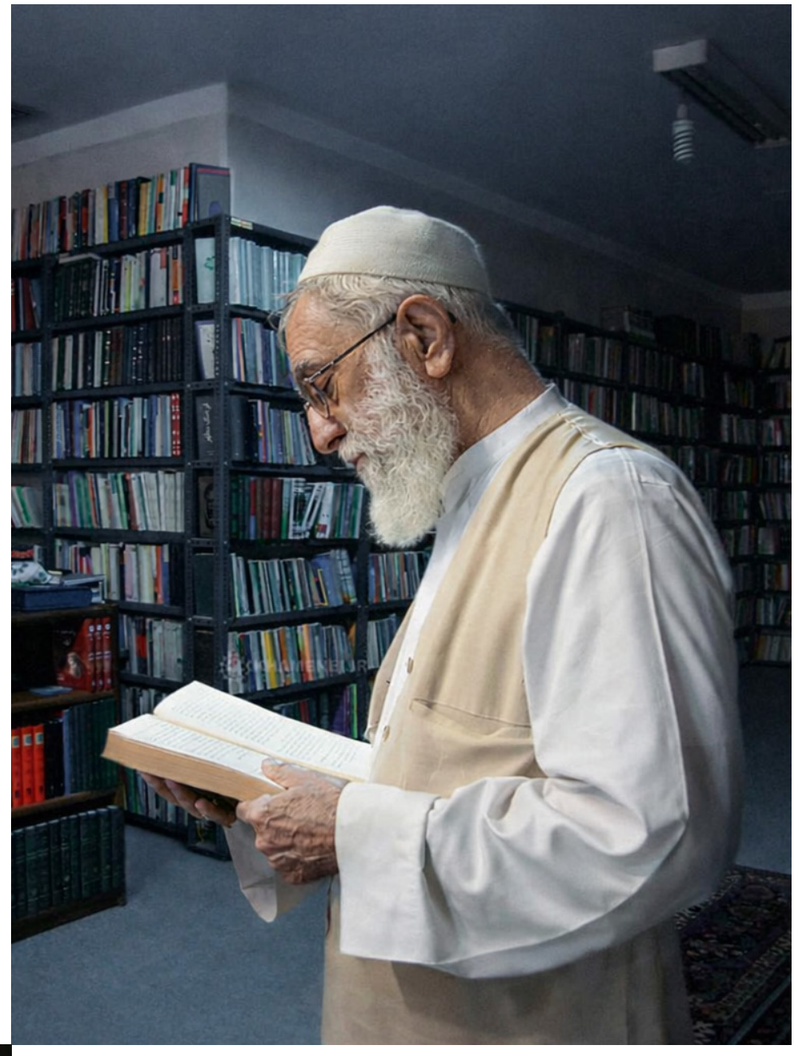

وعلى عكس كثير من منظري السياسة الذين يتحدثون في إطار نظري مجرد، لم يكن يتحدث خارج سياق الواقع والعمل. وربما قلّ أن تجد سياسيًا آخر يحمل معه أكثر من 65 عامًا من الخبرة السياسية الحيّة والمُعاشة. لقد عاش السياسة الإسلامية عمليًا، وكما قال بنفسه، مزج بين النظرية والعمل. ومنذ بداية حركة الإمام الخميني والثورة الإسلامية، كان

9. 2022/10/14.

مناضلًا فعالًا، وخاض تجربة الاعتقال، والسجن، والنفي، وبعد الثورة استمرّ في أداء أدوار مؤثرة ومسؤوليات، وساهم خطوة بخطوة في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية، ومن هذه الأدوار: عضويته في «مجلس الثورة الإسلامية»، إمامة صلاة الجمعة في طهران، تمثيل مدينة طهران في «مجلس الشورى الإسلامي»، عضويته في «المجلس الأعلى للدفاع»، توليه رئاسة الجمهورية لمدة ثماني سنوات من 1981 حتى 1989، وبعد رحيل قائد الثورة الإسلامية، الإمام الخميني، تقلّد القيادة في فترة التثبيت بموجب آليات الدستور الإيراني واختيار «مجلس خبراء القيادة»، وبقي في هذا المنصب حتى لحظة استشهاده، أي لمدة 37 عامًا. لقد كان سياسيًا مخضرمًا، اجتاز طريق المقاومة والجهاد السياسي خطوة بخطوة حتى أعلى المناصب، لكن روح الجهاد والمقاومة بقيت فيه في جميع اللحظات والأدوار ولم تُقهَر أبدًا.

التبيين

أما في مجال التبيين والفكر، وهو الجانب الثاني من حياة الشهيد الإمام الخامنئي، فيجب اعتباره مفكرًا وعالمًا ومميزًا في النظرية. ففي عالم السياسة عادةً يستفيد السياسيون من العلم والمعرفة في أقصى حد، ويركّزون على العمل السياسي العملي، أما الإمام الشهيد، كما قال بنفسه، فقد مزج بين العمل والنظرية، وكان هذا المزج حاضرًا طوال حياته. ومنذ صغره، ارتبط بالكتب والمطالعة، وهنا سأشير إلى بعض جوانبه العلمية:

1. خبير بالإسلام: العلم والاجتهاد الحوزوي

وُلد الإمام الخامنئي ونشأ في أسرة علمية. كان والده، آية الله السيد جواد الخامنئي، مجتهدًا ذا فضل وعلم، ويُعد أول معلم لدروسه الحوزوية، أما والدته فكانت امرأة مؤمنة مأنوسة بالقرآن والحديث والشعر والأدب الفارسي، وهذه التربية الأسرية شكّلت أرضية لتربيته العلمية:

«كانت أمّي سيّدة فهيمة جداً، ومتعلّمة، وتقرأ الكتب، وصاحبة ذوق شعريّ وفنّيّ، وخبيرة [في الشّاعر] حافظ – طبعاً حين أقول إنّها خبيرة فيه لا أعني هذا بمعناه العلميّ وما شاكل، بل بمعنى أنّ لها أُنسَها مع ديوان حافظ – ومطّلعة على نحو وافٍ على القرآن الكريم، ولها كذلك صوت حسن. حين كنّا صغاراً، كنّا نجلس جميعاً حول أمّي وتبدأ هي قراءة القرآن. كانت تقرؤه بصوت عذب وجميل جداً. كنّا – نحن الصّغارَ – نتحلّق حولها، وكانت تقرأ لنا من حين إلى آخر آيات القرآن التي تتحدّث عن حياة الأنبياء (ع). لقد سمعت عن حياة النّبيّ موسى (ع)، وحياة النّبيّ إبراهيم (ع) وبعض الأنبياء

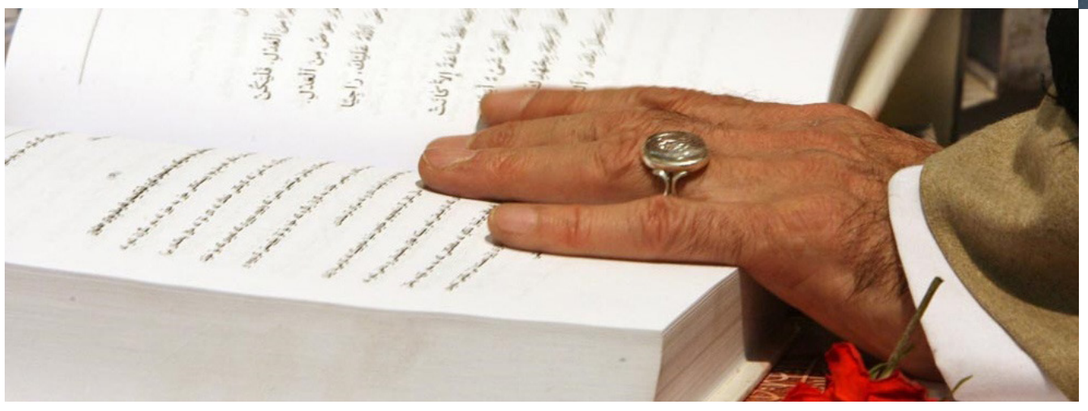

الآخرين (ع) بهذه الطريقة من أمّتي لأوّل مرّة. كانت أثناء قراءتها القرآن، وحين وصولها إلى الآيات التي كان فيها أسماء الأنبياء (ع) تبدأ الشّرح عنهم».[10]

كان الإمام الخامنئي مشغولًا في الفقه والأصول وضليعًا بهما، وهما من فروع العلوم الدينية التقليدية. درس في الحوزة العلمية في مشهد والنجف وقم، وبلغ مرتبة الاجتهاد الحوزوي، وبدأ منذ عام 1990 في فترة قيادته تدريس دروس السطوح العليا في الحوزة.

كما كانت دراسة القرآن من أبرز مظاهر علمه، وقد امتلك فيها إتقانًا واضحًا، وله مؤلفات متعددة في حقل التفسير، واهتم بتفسير القرآن من منظور اجتماعي وسياسي، وهو ما ميّزه عن التوجهات الأدبية واللغوية التقليدية للمفسرين.

2. الشعر والأدب الفارسي والعربي، والأدب العالمي

كان الإمام الخامنئي، بوصفه إيرانيًا أصيلًا ووطنيًا محبًا لوطنه، مولعًا بالأدب والشعر الفارسي وضليعًا به. منذ شبابه ارتبط بالمنتديات الأدبية، وأدرك كثيرًا من الشعراء، وبفضل ذاكرته الممتازة كان يحفظ الكثير من الأشعار، ويقرأها عند المناسبة أو بالإشارة أو بالإصرار، وكان مشهورًا بحبه للأدب. وربما كان خطابه في عام 1981 في المؤتمر الدولي لحافظ

10. 1998/2/3.

الشيرازي مثالًا بارزًا على مهارته وأنسه بالشعر والأدب الفارسي.

تابع سماحته الأدب والشعر بدقة حتى لحظة استشهاده، وأدى دورًا رئيسيًا في تطوير وتعزيز الأدب الفارسي. وكان لقاؤه السنوي الثابت مع الشعراء في منتصف شهر رمضان المبارك مثالًا على هذا الاهتمام والدعم، ويمكن اعتباره واحدًا من أكثر الحكام الإيرانيين ارتباطًا بالهوية الأدبية لإيران.

إلى جانب الأدب الفارسي، كان للإمام الخامنئي اهتمام خاص وإتقان باللغة العربية. فقد كان يعرف العديد من الأشعار والشعراء العرب، ويمتلك الإلمام بها، وكان يلقي سنويًا وفي مناسبات عدة خطبًا باللغة العربية موجّهة إلى الشعوب الناطقة بالعربية. وقد دوّن كتاب ذكرياته باللغة العربية ثم تُرجم إلى الفارسية، وهو كتاب «إن مع الصبر نصرًا»، وأهداه للشباب الناطقين بالعربية.

ومن أبرز مظاهر علمه، شغفه وإتقانه للأدب الكلاسيكي العالمي. فقد كان مولعًا بقراءة الروايات والقصص، واطلع على العديد من الروايات والقصص العالمية المعتبرة. واستمر هذا الاهتمام بمتابعة أعمال الأدباء الكبار في تاريخ وثقافة شعوب الشرق والغرب، بل كان يقيم نقدًا للأعمال الأدبية والشعرية. وكان على تواصل مع العديد من الشعراء والكتاب والمفكرين المعاصرين.

وكان وصفه لرواية «البؤساء» لفيكتور هوغو مثالًا على شغفه وإتقانه للأدب العالمي:

«في رأيي، رواية البؤساء لفيكتور هوغو هي أعظم رواية كُتبت في التاريخ. لم أقرأ جميع الروايات في التاريخ، وهذا أمر لا شك فيه، لكنني قرأت عددًا كبيرًا منها المتعلقة بأحداث قرون مختلفة. وقد قرأت بعض الروايات القديمة جدًا، مثلًا قرأت "الكوميديا الإلهية"، وقرأت "الأمير أرسلان"، وقرأت "ألف ليلة وليلة". عندما أنظر إلى هذه الرواية التي كتبها فيكتور هوغو، أرى أنها شيء لا يمكن لأي شخص أن يكتب أفضل منه، أو أن تُكتب وتظل غير مشهورة، ومثلي الذي جال في عالم الرواية، لم أرها أو أسمع بها... أقول إن "البؤساء" معجزة في عالم الرواية وتأليف الكتب. إنها حقًا معجزة... عندما كان الشباب يأتون إليّ كثيرًا قبل الثورة، كنت أقول لهم مرارًا: اذهبوا واطلعوا على رواية "البؤساء" حتمًا. هذه الرواية كتاب في علم الاجتماع، كتاب تاريخي، كتاب نقدي، كتاب إلهي، كتاب محبة وعاطفة وعشق».

كانت الروايات مثل «الجذور» لألكس هيلي، و«عناقيد الغضب» لجون شتاينبك، و«كوخ العم توم» لهاريت بيتشر ستو، و«الأمريكي» لهاوارد فاست، و«درب الآلام» لألكسي تولستوي، و«عالم صوفي» ليوستين غاردر، و«أحدب نوتردام» و«93» لفيكتور هوغو، والعديد من الأعمال الأخرى التي كان يقدمها وينقدها ويستعرضها، دلالة واضحة على إلمامه العميق بالأدب العالمي وتجربته العلمية المتطورة والواسعة، وهي تجربة استثنائيةً ونادرةً بين السياسيين. هذا الإتقان العلمي يُقارن بشكل صارخ مع قادة السياسة في أمريكا اليوم، الذين تتجلى سطحية تعبيرهم وسلوكهم بشكل واضح.

3. تاريخ الإسلام، تاريخ الغرب والتاريخ المعاصر

كان سماحته باحثًا دقيقًا في التاريخ، يقرأه ويفهمه ليس في خفاء المكتبات، بل على صرح السياسة العلني. وكان يرى في التاريخ ضرورة للفهم:

«التاريخ يعني سيرتنا الذاتية، في مشهد آخر؛ التاريخ يعني أنا وأنت؛ يعني نحن الحاضرين اليوم هنا. فإذا كنا نسرد التاريخ، يجب على كل واحد منا أن ينظر ويعرف في أي جزء من القصة هو موجود. ثم نرى كيف تصرف من كان في وضع مماثل لنا في ذلك اليوم ليُصاب بضربة؟ لننتبه حتى لا نتصرف بنفس الطريقة».[11]

11. 1994/6/10.

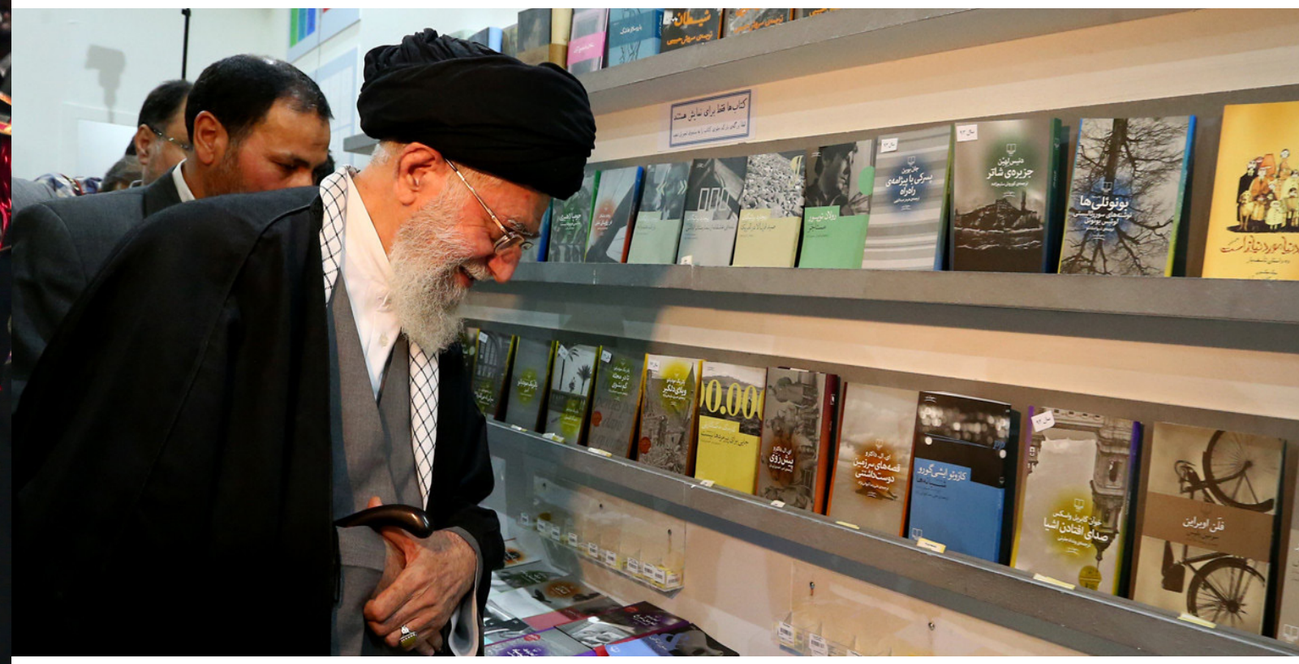

وبناءً على ذلك، قرأ سماحته التاريخ في مجالات متعددة وكان وضليعًا به، وكان يعرف ثلاثة أنواع من التاريخ جيدًا. وكمؤرخ إسلامي، كان مُلمًا بتاريخ الإسلام ولديه نموذج تحليلي مميز في هذا المجال. ويمثل كتابه «إنسان بعمر 250 سنة» مثالاً على مؤلفاته التاريخية البارزة. كما كان ملمًا بتاريخ الغرب، وكما أشير، فقد قرأ جزءًا من التاريخ الشفهي الغربي اعتمادًا على إلمامه بالأدب الكلاسيكي العالمي، ودرس وقدم العديد من الأعمال في هذا المجال، منها كتاب «لمحات من تاريخ العالم» لجواهر لال نهرو، و«سلام ما بعده سلام» لدافيد فرومكين، والعديد من الأعمال التاريخية الأخرى التي لا يمكن حصرها هنا. وكان سماحته ملمًا بالتاريخ المعاصر لإيران وقد عاشه، وله تحليلات وتأليفات حول فترات تاريخية متعددة في إيران، بما في ذلك الثورة الدستورية والعهد البهلوي، وكان يشير إليها في كثير من خطاباته، ولا سيما للشباب.

إن إتقانه لهذه الجوانب الثلاثة للتاريخ جعله محللًا سياسيًا عميق النظر، يصف الماضي كأساس ويحلل المستقبل. ومن البديهي أنه لا يمكن وصف الشخصية الحقيقية للإمام الخامنئي في هذا المجال، لكنه كان مجاهدًا عالمًا، كما قال بنفسه، إذ جمع بين العلم والعمل، وسار بوعي في سبيل الحق، ووقف في وجه تيار الباطل، الباطل الذي يتجلى في جهل الغرب الحديث، والذي لا سبيل له في مواجهة الحق، وسعى ليطفئ نور الحق باغتيال الإمام الخامنئي، فارتكب خطأً كبيرًا، لأن نور الحق سيزداد إشراقًا بشهادته.

عروج الشهادة والانتصار

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) أربعون يوما على ارتقاء سماحة الإمام القائد السيد علي الخامنئي شهيداً، أربعون يوماً منذ الشهادة وشعب إيران وأبناء المقاومة في الميدان، أربعون يوماً والفعل يكتب في الميدان قصة الوفاء للنهج والمشروع والمسار، لنهج الإسلام الذي بعث فيه المصطفى محمد عليه وآله الصلاة والسلام رحمة للعالمين، ولمشروع نهضة الأمة وريادتها لخدمة الإنسانية ورعايتها، ومسار المقاومة الذي لا تُحمى الحقوق إلا به، وبغيره تستباح الأمم ويعتدى عليها وتغتصب حقوقها؛ ويكتب الفعل المقاوم قصة الوفاء لسيدٍ قائدٍ وهب عمره لخدمة كل ذلك، في رواية تاريخ أمتنا القادم عزة ونصرا بإذن الله.

عرفنا -في حركة حماس- سماحة الإمام السيد علي الخامنئي (رحمه الله) وموقفه من فلسطين في الإعلام قبل اللقاء به، وعرفنا موقفه العملي منذ اللقاء الأول به عام 1992م، متبنياً للحق الفلسطيني دون تحفظ أو تردد، كل الحق دون أي انتقاص، وداعما

الدكتور
أسامة حمدان
قيادي في حركة حماس
فلسطين

للمقاومة بكل الإمكانات الممكنة ودون التفات لأي تحديات، لم يكن هذا الموقف مجرد قرار سياسي وحسب، بل كان مبدأ وإيماناً عميقاً ينطلق كما سمعنا منه من قوله تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)، وهي عنده (رحمه الله) قضية أساسية ومحورية لا تقبل المساومة، ويؤمن أن انتصار الشعب الفلسطيني وتحرير أرضه من البحر إلى النهر أمرٌ حتميٌ ووعدٌ إلهي، وأن نهج المقاومة المسلحة هو السبيل الوحيد لمواجهة الاحتلال.

في استقباله رحمه الله للشيخ أحمد ياسين عام 1998، وفي تعقيبه على شكر الشيخ على (موقفه الحازم من القضية الفلسطينية، حتى تحرير القدس والأقصى قبلة المسلمين الأولى)، كان جوابه رحمه الله (أعتقد أنكم والإخوة المجاهدون في فلسطين تقفون في الجبهة الأمامية للحرب بين الإسلام والكفر، والحرب بين الحق والباطل، ونحن لم نقبل بالحكومة الغاصبة لفلسطين ولو لساعة، نحن أعداء للصهاينة وللحكومة الغاصبة ولتلك الغدة السرطانية التي زرعوها في الأرض الإسلامية، وسوف نكافحها. لا شك لدينا حول المستقبل، ما هو المهم في خطة العمل أن نتمكن من تقليص المدة، ووعد الله حق (ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز)، نحن نفتخر بكم، ونرى أن الحركة مبعث عزة للإسلام.

لقد كان رحمه الله شديد الحرص على تطوير قدرات المقاومة وإمكاناتها، ولطالما دقق في السؤال عن حاجاتها، ووجه الإخوة المسؤولين في الجمهورية الإسلامية لتحقيقها، لا سيما الإخوة في حرس الثورة الإسلامية، ولطالما ردد في ذلك قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)، وكم كان يسعده الحديث عن أي إنجاز في هذا المضمار، أو تقدم في بناء القدرات، ويقابل كل شكر على هذا الجهد برسالة واضحة: أنتم تدافعون عن حقكم، وأرضكم، وأنتم فخر للإسلام والأمة، ونحن معكم في هذا الجهاد.

ولطالما سأل الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي عن الشهداء وقصص بطولاتهم، والأسرى وصمودهم رغم معاناتهم، وكان حرصه الدائم على الاهتمام بعائلاتهم ورعايتها واضحاً، وكل ذلك في إطار أكبر وأوسع عنوانه الاهتمام ببناء الإنسان وهويته الإسلامية المجاهدة والمقاومة، إذ هي الضمانة بعد فضل الله للاستمرار في هذا النهج والمسار، والصبر على الطريق حتى تحقيق النصر.

في وداع الشهيد المجاهد إسماعيل هنية رحمه الله قائد حركة حماس، أصر سماحة الإمام القائد الشهيد السيد علي الخامنئي رحمه الله على إمامة صلاة الجنازة، وكان وعده أن الرد على هذه الجريمة لن يتأخر، وهكذا كان الوعد الصادق 1- رداً على الجريمة الصهيونية، وليكون من بعد ذلك وعد صادق ثانٍ وثالثٌ، ولتكون النسخة الرابعة من الوعد الصادق في مواجهة العدوان الأمريكي الصهيوني على إيران إعلاناً بأن كرامتنا من الله الشهادة، وأن وعدنا بالسير على هذا النهج حتى النصر صادقٌ نكتبه بالدم والبارود.

أربعة وثلاثون عاما، شرفت وإخواني في قيادة حركة حماس بلقائه رحمه الله فيها عشرات المرات، لم نسمع منه إلا ثقة بالنصر مهما كانت الآلام والتضحيات، والتزاماً تجاه فلسطين راسخا كرسوخ جبال زاغروس وجبال البرز، وهمة وإرادة في دعم المقاومة تطاول قمة داماوند، وحرصا على وحدة الأمة في مواجهة الكيان الصهيوني لا سيما قوى المقاومة فيها لتكون صفا واحدا وبنيانا مرصوصا، واحتفاءاً بكل انجاز للمقاومة عسكريا وأمنيا وسياسيا، وحرصا على أن تظل الراية مرفوعة والمسيرة تتقدم حتى تحقيق الغاية.

في أربعين عروج شهادتك يا سيد الثورة الإسلامية والمقاومة الجهادية ومحور مواجهة الطغيان والاستكبار، يُمنى العدو بفشل ذريعٍ لعدوانه، ويعلن انكفاءه، ليتجدد انتصار الدم على السيف، سيف الطغيان والاستكبار، وينقلب الشيطان على عقبيه خاسئاً، في معركة يقود انتصارها سماحة الإمام السيد مجتبى الخامنئي، حامل لواء الثورة الإسلامية في إيران من بعدك،

إذا سيد منا خلا قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرام فعول

وسيكتب التاريخ هذا اليوم، يوم بداية النهاية لإمبراطورية الشر والطغيان، وسيكتب أنه ورغم عظيم التضحيات، وارتقاء كبار قادة المقاومة شهداء، فإن طوفان الأقصى ومعركة الأربعين يوما التي افتتحت بارتقائك، كتب فيها بداية زوال الغدة السرطانية التي سميت يوما (إسرائيل)، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وإنا لله وإنا إليه راجعون

الشيخ إبراهيم الزكزكي

قائد الحركة الإسلاميّة في نيجيريا

عقيدة راسخة وشخصية نفذت إلى وجدان المجتمع المسلم

صلوات الله وسلامه على رسولنا الكريم، محمّد (ص)، وعلى آله الطيبين الطاهرين

أود أن أتطرّق باختصار إلى مناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد سماحة آية الله السيد علي الخامنئي (رضوان الله عليه)، من الذي وقع استشهاده في العشرة الأولى من شهر رمضان –أو بالأحرى في اليوم العاشر من رمضان في معظم المناطق (الإسلامية)– وسيكون هذا التوقيت المحدد من شهر شوال هو اليوم الأربعين (لاستشهاد سماحته). لقد أحيينا ذكرى اليوم السابع لاستشهاده، واستذكرنا شهادته في أوقات شتى؛ وهذا الاستذكار يأتي بشكل خاص بمناسبة أربعينية استشهاده. وخلال هذه الأيام الأربعين، وقعت أحداث كثيرة أظهرت حقيقة شخصية سماحة آية الله الخامنئي.

أثبت الناس أن سماحة آية الله السيد الخامنئي ليس مجرد شخصٍ يمكن إزاحته، بل هو أيديولوجية راسخة وشخصية نفذت إلى قلوب المجتمع (المسلم) بأسره؛ المسلمين في جميع أنحاء العالم، لا في إيران فحسب، بل في أرجاء العالم الإسلامي كافة. لقد أثرت هذه الشخصية فيهم، ولا سيما في المسلمين والأحرار.

كما إنّ أعداء هذا العبد الصالح أيضًا لمسوا تأثيره؛ فقد كانوا يتوهمون أنه الشخص الذي يدير كل شيء، وإذا قتلوه فسينهار كل شيء. كما كانوا يعتقدون –لأنهم أناس قساة القلوب– أن الناس سيفرحون ويقولون: «اليوم استرحنا، لقد زال مصدر إزعاجنا»، وسينزلون إلى الشوارع ليعبّروا عن عدم رغبتهم في الجمهورية الإسلامية، وينتهي كل شيء في غضون أيام قليلة.

لكنهم أدركوا الآن أن الأمر ليس كذلك؛ لقد اكتشفوا أن سماحة آية الله السيد الخامنئي لم يرحل. ففي المقام الأول، أظهر الناس أنهم يعتبرونه بمثابة أبٍ لهم، وكأن شخصاً ما قد قتل أب هذه الأمة. وفي المقام الثاني، أدركوا أن سماحة آية الله السيد الخامنئي ليس مجرد فرد، بل هو فكرة، وفهم، وثقافة، وأيديولوجية، وتاريخ، وعلم، وحضور دائم ومستقر. لقد استوعبوا الآن أن الناس جميعاً صاروا مثله، ويشعرون وكأنهم هم أنفسهم من استُهدفوا. إضافة إلى ذلك، اتُّخذت إجراءات لتُظهر لأعدائه أن خلفه ليس فرداً مختلفاً عنه؛ بل هو الخامنئي نفسه.

الخامنئي، ليس باسمه فحسب، بل هو الخامنئي بلحمه ودمه وعظمه؛ لقد تبيّن أن من «قتلوه» قد استُبدل بالخامنئي ذاته، باللحم والدم والعظم نفسه، وبالاستقامة ذاتها.

واجه هذا الخلف اختبارات قاسية؛ فقد قُتل والده، وقُتل ابنه وزوجته وأخته وإخوته وابنة أخته، دُمّر منزله وواجه هو نفسه تهديدات بالموت. لكن الله مكنه من مواصلة هذه الرسالة.

لذلك، كانت تحركات الأعداء خطأً فادحاً؛ فحتى لو نجحوا في فعل شيء ما، فلن يزيد ذلك إلا من إثبات قوة هذه الرسالة، لأن سماحة آية الله السيد الخامنئي لا يزال باقياً.

فأولاً، وكما يقول الله تعالى، فإن الذين يُقتلون في سبيله أحياء. وثانياً، لقد أصبح الناس يشبهونه، وثالثاً، خلفه ليس مجرد خلف رسمي له، بل هو خلفه بلحمه ودمه وعظمه. لقد بقي كل شيء على حاله لم يمسسه سوء.

خاب أمل الأعداء في أن يثور الشعب ضده. لنسألهم: ماذا رأيتم؟ لقد أثبت الناس، وخاصة مواطني جمهوريّة إيران الإسلاميّة، أنهم مستمرون في دعمهم. وقفوا بصلابة وثبات في الشوارع إلى جانب نظامهم، في الليل والنهار، ورغم الدمار الذي أحدثتموه. وماذا رأيتم من سائر الدول المسلمة في العالم، بل وحتى من الولايات المتحدة؟ ماذا رأيتم غير التضامن مع هذا العبد الصالح؟ ماذا رأيتم غير الاحترام والعزة التي منحت له؟ وخلافاً لتوقعاتكم، رأيتم أنكم منحتموه حياة خالدة. وما كنتم تظنون أن بمقدوركم القضاء

عليه في غضون أربعة أيام، أدركتم الآن أنكم لن تكونوا قادرين على تدميره أبداً. والخيار الوحيد المتبقي أمامكم هو الاستسلام؛ وبعد ذلك، يتعين عليكم قبول كافة الشروط المفروضة عليكم، بما في ذلك التفكيك الكامل لقواعدكم العسكرية من جميع المناطق التي تمكنكم من الاعتداء مجدداً، والتعهد بعدم البدء بمثل هذه المغامرة المتهورة مرة أخرى. وبالطبع، يجب عليكم دفع تعويضات عن كل جرائمكم.

ويجب أن تعلموا أنه في المستقبل، سيكون مضيق هرمز مع باب المندب ملكاً لشعوب تلك المناطق؛ فهذا المضيق ليس ملكاً للجميع. مضيق هرمز ملك لشعب إيران، تماماً مثل قناة السويس، التي تقولون إنها تمر في الواقع من قلبها؛ فقد انعقدت المشيئة الإلهيّة على أن يمرّ مضيق هرمز في أرض تسمى إيران، كما جعل تعالى باب المندب في أرض تسمى اليمن.

لذلك، يجب على السفن التي تعبر من هناك في المستقبل، أن تدفع ضريبة محددة قبل نقل البضائع، لأن هذه الأماكن ملك لشعوبها الكريمة. وقسماً بالله، لو كانت إدارة هذه الأماكن بأيديكم لمنعتم الناس من العبور منها منذ زمن طويل؛ لكن عبوركم كان دون عائق، وكل ما عليكم هو الإقرار بأن هذه الأماكن تعود لأفراد محددين، وأنكم لا تستطيعون العبور إلا بإذنهم.

وبناءً عليه، فإن كل الإجراءات التي اتخذتموها أثبتت في النهاية حقيقة ناصعة: وهي أنكم قد عززتم ما كنتم تنوون القضاء عليه، وبفعلتكم هذه جلبتم لأنفسكم الخزي والعار. لقد انكشف جوهركم الحقيقي الآن؛ وفي الإنجليزية يُطلق على أمثالكم اسم «النمر الورقي»، وفي لغة الهوسا «الأسد الميت»، أي الأسد الذي مات بالفعل ولكن البعض لا يزال واقعًا في الخطأ ويظنه حياً.

أنا أعلم أنكم لا تعرفون وجود الله، وفي وضعكم الحالي، تتخيلون أن شعوباً أخرى هي من تدعم الجمهورية الإسلامية. وفي الحقيقة، لا أحد يدعم الجمهورية الإسلامية سوى الله تعالى، خالق السماوات والأرض. لن تتمكنوا من الوقوف في وجهه والانتصار؛ يجب أن تعلموا هذا.

إن هذا الوقت هو وقت عزاء، ولكنه في الوقت ذاته وقت فخر واعتزاز. نحن فخورون بالشعب المسلم في إيران الذي صمد، وبالقوى الأصيلة التي تدعمه: حزب الله في لبنان، وأنصار الله في اليمن، والحشد الشعبي في العراق، وبقية فصائل المقاومة، بما في ذلك فصائل المقاومة في فلسطين. لقد صمد هؤلاء جميعاً وأثبتوا لكم أن غطرستكم وتهديداتكم لا يمكن أن تخيفهم، وأنكم لن تقدروا أبداً على هزيمتهم.

لقد حان الوقت لتنبيه العالم إلى حقيقة أنه يمكن مواجهتكم والانتصار على قواتكم. إنه وقت للعزاء، وفي الوقت نفسه لحظة للإعراب عن الفخر بهذا المجتمع.

ندعو الله تعالى أن ينصر هذا الشعب. اللهم أعن القائد الجديد لجمهوريّة إيران الإسلاميّة، سماحة آية الله السيد مجتبى الخامنئي، ليبقى ثابتاً على نهج والده وعلى نهج الإمام الخميني (قده). اللهم امنح النصر لجمهوريّة إيران الإسلاميّة وجميع فصائل المقاومة. اللهم ضع حداً لهؤلاء الظلمة الأشرار، ولمخططات الولايات المتحدة الخادعة، وتدابير جميع جبابرة العالم.

ورحمة الله وصلواته على محمد (ص) وعلى آله الطيبين المعصومين.

الإسلام الأصيل

الإسلام يعني بناء نظام اجتماعي وحياة عامة لأمة ما، على أسس راسخة كفيلة بضمان سعادتها في الدنيا والآخرة (12/05/2000). إننا نؤمن بأن سبيل سعادة البشرية يكمن في تعاليم الأنبياء، وأكملها هي تعاليم الإسلام. فالبشرية من دون هدي الأنبياء لم تكن لتبلغ حتى هذا الحد من التقدم المادي، فضلاً عن السمو المعنوي والبهجة الروحية والسكينة النفسية التي تمهد الطريق لعروج الإنسان نحو مدارج الملكوت العليا؛ هذا هو سبيل السعادة (2008/09/28). مدرسة الإسلام هي مدرسة الدفاع عن الإنسانية والقيم الإنسانية؛ مدرسة ترويج الرحمة والمروءة، وبث روح الأخوة والترابط الإنساني؛ المدرسة التي تضع ميزان الحقوق الاجتماعية وفق القاعدة النبوية: «لن تُقدَّس أمة لا يُؤخذ للضعيف فيها حقُّه من القوي غير متعتع»؛ أي أن يتمكن الفرد الخالي الوفاض من المال والقوة، من نيل حقه في المجتمع دون أي عناء أو عائق من القوي الذي يمتلك المال والسلطة. هذه هي رسالة الإسلام (2002/10/05). الإسلام ليس ضد الأديان الأخرى، بل هو الدين الذي حين ساد في مناطق غير مسلمة، لهج أتباع الديانات الأخرى بالشكر لرحمة الإسلام، وقالوا: إنكم أرحم بنا من حكامنا السابقين. وفي منطقة الشام تحديداً، حين دخل الفاتحون المسلمون، قال اليهود والمسيحيون لهم: أنتم أيها المسلمون رحماء بنا؛ فقد عاملوا الناس بالرحمة. الإسلام دين الرأفة والرحمة، وهو «رحمة للعالمين». والإسلام يخاطب المسيحية: «تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم»، فينظر إلى المشتركات معهم. الإسلام ليس ضد الشعوب أو الأديان، بل هو ضد الغطرسة، وضد الظلم والاستكبار والهيمنة. إلا أن المستكبرين والظالمين يقلبون هذه الحقيقة أمام العالم، ويسخّرون كل إمكانياتهم، من هوليوود إلى الآلة الدعائية والأسلحة والقوى

العسكرية، للترويج لغير ذلك وتشويه صورته (2007/04/06). إن الدين الذي يعاديه [الأعداء]، والإيمان الذي يحاربونه، هو ذاك الإيمان الذي يفضي إلى إرساء النظام الإسلامي ويمنح الإسلام القوة؛ لذا هم يعارضونه. إنهم يخشون الإسلام؛ وأي إسلام؟ الإسلام المقتدر، صاحب الأنظمة والسياسة والحكومة، الإسلام الذي يمتلك جيشاً وقوى مسلحة وقدرات علمية ومكانة دولية. هذا هو الإسلام الذي يرهبونه، وإلا فلا خوف لديهم من إسلام - حتى لو ناصره مليون شخص في حزب هنا أو تيار هناك - لا يمتلك قوة في يده، ولا يحركون ضده ساكناً. إن الإسلام الذي يجابهونه ويعادونه ويضمرون له الحقد في قلوبهم هو الإسلام المقتدر (2016/08/21). لقد حصر البعض الإسلام في كونه مسألة فردية، ونزعوا السياسة منه؛ وهذا الأمر هو ما يُروج له اليوم في كثير من المجتمعات الإسلامية، وفي أفكار العالم الغربي الاستعماري المستكبر المهاجم، تحت شعار: «الإسلام منفصل عن السياسة!». لقد سلبوا السياسة من الإسلام، في حين أن نبي الإسلام المكرم، وفي مطلع هجرته، وأول ما استطاع إنقاذ نفسه من مصاعب مكة، كان أول عمل قام به هو "السياسة". إن بناء المجتمع الإسلامي، وتأسيس الحكومة والنظام والجيش الإسلامي، ومراسلة كبار السياسيين في العالم، والولوج في الساحة السياسية العظمى آنذاك، كل ذلك هو عين السياسة (2006/08/22). الإسلام العلماني يشبه المسيحية العلمانية التي تنزوي في ركن الكنيسة وتحبس نفسها هناك، ولا يكون لها أي حضور في واقع الحياة؛ الإسلام العلماني هو كذلك أيضاً؛ فهناك من يدعو اليوم إلى "إسلام معزول" لا شأن له بحياة الناس، ويدعوهم لمجرد عبادة وطقوس في زوايا المساجد أو البيوت (2015/03/12). يريد الإسلام أن تجتمع المادة والمعنى، والرفاه والمال، والإيمان والمعنوية، والتقدم الاقتصادي والازدهار الأخلاقي والروحي معاً في المجتمع. هذه هي «الحياة الطيبة» في منطق الإسلام (1995/10/14).

الخبير في الشأن الدولي

الدكتور محمد جواد لاريجاني

جمع بين الانتماء الإسلامي والنزعة الاستقلاليّة والفكر الدّولي

سؤال

استُشهد في الثامن والعشرين من شهر شباط / فبراير لعام 2026م، قائد الثورة الإسلامية، الإمام الشهيد آية الله السيد علي الخامنئي، إثر هجوم إرهابي أمريكي صهيوني غادر استهدف مكتب عمله، ليرتقي شهيداً بعد ستة وثلاثين عاماً وثمانية أشهر وسبعة وعشرين يوماً من قيادته لدفة المسؤولية الخطيرة للثورة الإسلامية. ما هو توصيفكم للإمام الشهيد لو تحدّثتم عن سماحته بإيجاز.

بسم الله الرّحمن الرّحيم،

إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

يصعب عليّ كثيراً الحديث عن شخصية الإمام الشهيد؛ فما إن يُذكر اسمه حتى تتجدّد أحزاننا وتغمرنا غصات الألم، مما يؤثر في تفكيرنا وحديثنا. ومع ذلك، لا بد لنا في الوقت ذاته أن نتحدث لأجيالنا وشعبنا وللعالم أجمع عن هذه الجوهرة البشريّة اللامعة. وإن أردتُ الإجابة عن سؤالكم بإيجاز شديد، أقول: إن شهيدنا العظيم سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي، **إمامنا الشهيد، كان فقيهاً بمقتضيات العصر وثورياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى.** وإذا كنتم تذكرون، فقد أشار سماحته في عدة خطابات له قائلاً: «أنا ثوري». ومن الأهمية بمكان إدراك ما كان يقصده من مفهوم الثورة، ولماذا بقيَ ثورياً حتى اللحظة الأخيرة.

لقد كان عالماً كبيراً معاصراً، بمعنى أنه فَهِمَ الدين الإسلامي فهماً عميقاً بكافة أبعاده؛ أبعادَه الأساسية، وتاريخَه، ومختلف جوانبه المتناسبة مع الوضع الراهن الذي يواجهه البشر والعالم الإسلامي اليوم، فكان يطرح قضاياه سواء قبل انتصار الثورة الإسلاميّة أو بعدها. إن سماحته ليس ممن بدأ نشاطه بعد الثورة الإسلاميّة؛ فخطاباته ونشاطاته الواسعة قبل الثورة تعكس شخصيته المهمّة جدًّا والمتجذرة. وكان ثورياً بمعنى أنه أدرك تماماً أن بلادنا ودول العالم الإسلامي لن تجد سبيلًا للتقدم ما لم تخرج من تحت نير سلطة الأجانب. لذا، كان يعتقد أن الصيغ المتمثلة في التوجه نحو الدول الغربية وقولنا «لنقدم لهم مقداراً من النفط مقابل جلب الاستثمارات» لن تجدي نفعاً في تحقيق التقدم والتنمية. كان يؤمن بضرورة كفّ يد نظام الهيمنة أولاً، وأن تحقيق

هذا الأمر متاح. وبالطبع، ليس هذا هو الركن الوحيد؛ فلقد كان للإمام [الخميني] الراحل (قدس سره الشريف) -وهو في الواقع المعلم الأول لإمامنا الشهيد- عقيدة خاصة جداً بشأن تقدم البلاد وسبل تحقيقه .

أساسًا، بدأ هاجس الإمام [الخميني] (قده) حيال الثورة من الالتفات إلى حالة التخلف التي مني بها شعبنا؛ فقبل سنوات طويلة من انتصار الثورة، طرح سماحته تساؤلاً مفاده: نحن الذين كنا يوماً مركز العلم والمعرفة والقوة في العالم، لماذا تردينا في مهاوي هذا الإفلاس والبؤس طوال ثلاثمائة عام؟ آنذاك، عادت مجموعة ممن ذهبوا إلى الغرب ليزعموا أن الإسلام هو العائق الأساس، وأنه يجب علينا أن نصبح كالإفرنج من الرأس حتى أخمص القدمين، بل وصل بهم الأمر إلى المطالبة بتغيير اللغة والخط. لم يكن سماحته ليقبل بمثل هذا الاستدلال، بل كان يبحث عن الجذور، حتى خلص إلى أن «الهيمنة» هي العامل الأول للتخلف؛ إذ تُعد هيمنة الدول الغربية والأجانب العائق الرئيس أمام التقدم، ولا بد من استئصالها حتماً. وبطبيعة الحال، يمثل هذا الركن الأول؛ فلو افترضنا أننا نحينا الهيمنة جانباً، فماذا سيحدث؟ وما الذي سنحتاج إليه؟ الحاجة التالية هي «الحكومة الصالحة». والحكومة

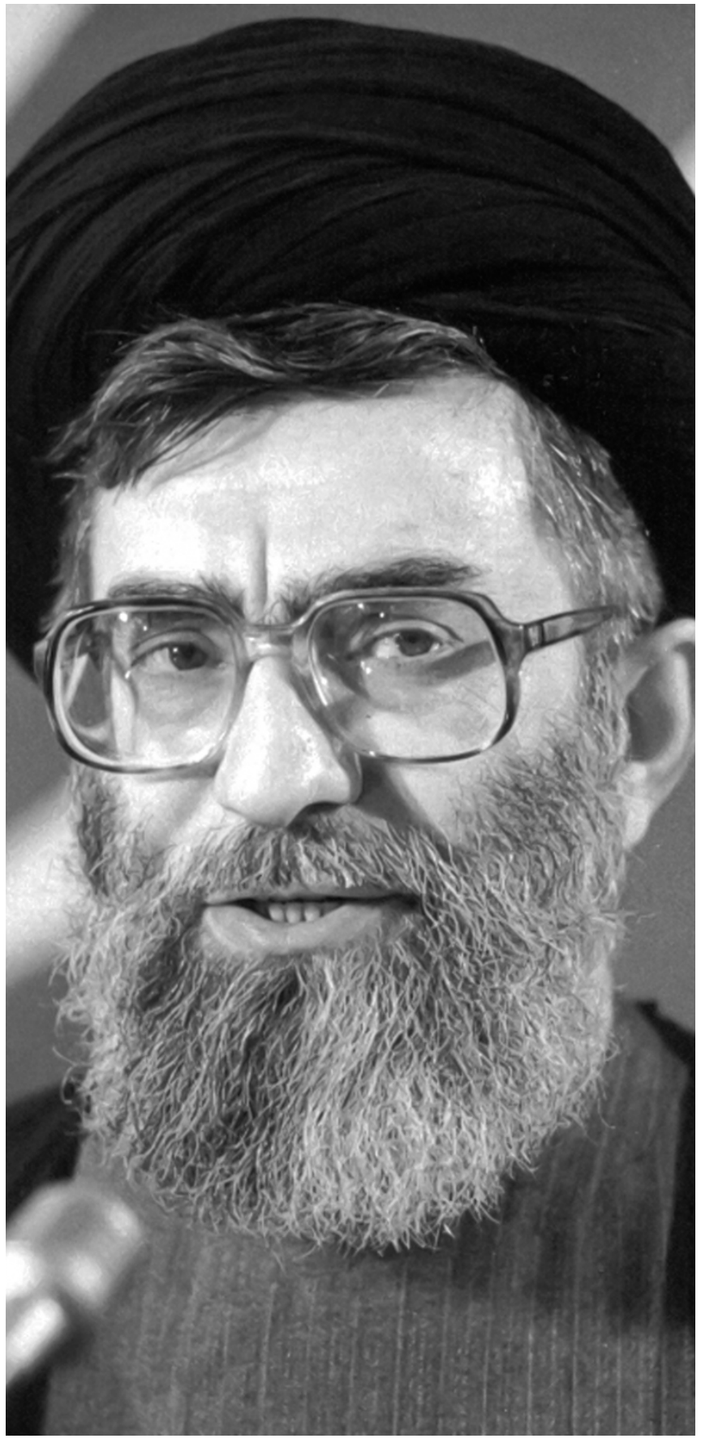

الصالحة في نظر الإمام هي تلك التي تجمع بين الشرعية والشعبية، وهذه الأمور كلها تتجسد معانيها في الثوريّة. لقد جسّد إمامنا الشهيد كل هذه الموارد التي ذكرتها في سلوكه وأفكاره، ولكن هذا وحده لا يكفي أيضًا.

ثالثاً: كان الإمام يعتقد أنه من أجل تحقيق التقدم، لا يكفي تشكيل الحكومة الصالحة، بل بد من العمل الجهادي. في الواقع، تمثل هذه الأركان الثلاثة «عقيدة» الإمام بشأن التقدم. ولقد عمل إمامنا الشهيد طوال فترة قيادته على بسط هذه الأركان وتفصيلها نظرياً وتطبيقياً. يُعدُّ هذا خدمة عظيمة جداً للفكر الإسلامي المعاصر في العالم أجمع، ولا يقتصر الأمر على إيران فحسب؛ فهذه الوصفة وهذا الفكر الذي قدمه قائدنا الشهيد يُعدُّ ملهماً مشرّعًا للآفاق أمام كل بلد إسلامي، بل وحتى للدول غير الإسلامية أيضاً. إننا أمام مدرسة متكاملة، ورغم أن سماحة الإمام الراحل كان هو المؤسس لها، إلا أن الأبعاد والدقائق والتوسعات والابتكارات التي أضافها إمامنا الشهيد ذات أهمية بالغة. لذا، أرى -وإن أردتُ تلخيص الإجابة في عبارة أو نصف عبارة- أن إمامنا الشهيد كان عالماً ومفكراً إسلامياً كبيراً معاصراً، وثورياً عظيماً.

سؤال

في سؤالنا الثاني جناب الأستاذ، كان القائد الشهيد للثورة الإسلامية في قلب وطليعة الثورة والحكومة التي تحدت لسنوات النظام الغربي السائد والمهيمن؛ وفي ظل هذه الظروف، يكتسب فهم الإمام الشهيد السيد الخامنئي للغرب أهمية بالغة. كيف كان الإمام الشهيد آية الله السيد الخامنئي يرى الغرب؛ من المنظور السياسي، والمنظور الثقافي، ومنظور الحوكمة؟

يُمثل الغربُ مجموعةً من الدول التي تشكّل الولاياتُ المتحدة الأمريكيّة محورها، ويُعدُّ الكيانُ الصهيوني والصهيونيةُ العالميةُ محركَها الأساس، ولها أتباعٌ غربيون كفرنسا وبريطانيا وألمانيا؛ هؤلاء يُسمّون «حلفاء أمريكا» لكنهم في الحقيقة أتباع. لقد حدد هؤلاء معالم الهيمنة الغربية، فما هي هذه الهيمنة؟ أولاً: «الهيمنة الثقافية»؛ إذ يعتقد الغربُ أنه لا يحقُّ لسائر شعوب العالم أن يحددوا أسس حياتهم بأنفسهم، ويقولون: «لدينا فكرٌ ليبراليٌّ علمانيٌّ يجب أن يسود في كل مكان». والسؤال هنا: لماذا لا تملك الشعوب الحق في اختيار نمط عيشها؟ لذا، **لم تكن معارضةُ إمامنا الشهيد للغرب معارضةً «صحفيةً» (هامشية)، بل ركز سماحتُه بدقة على نقاط مفصلية للغاية. يَدَّعون الدفاع عن «حقوق الإنسان»، فتساءل سماحتُه: ما معنى حقوق الإنسان؟ وهل نعارضها نحن؟ إنكم تريدون سلب الإنسان أهم حقوقه، وهو «حق اختيار نمط العيش»، لتفرضوا عليه ما تملونه أنتم.**

وينطبقُ الأمرُ ذاتُه على مسألة التنمية؛ إذ جعلت الدولُ الغربيةُ مِحورَ التنميةِ حكراً عليها تحت مسمياتٍ كـ«الاقتصاد العالمي»، لتكون هي المركزَ ويُصبحَ الآخرون مجردَ تابعينَ منضوينَ تحت لوائها،

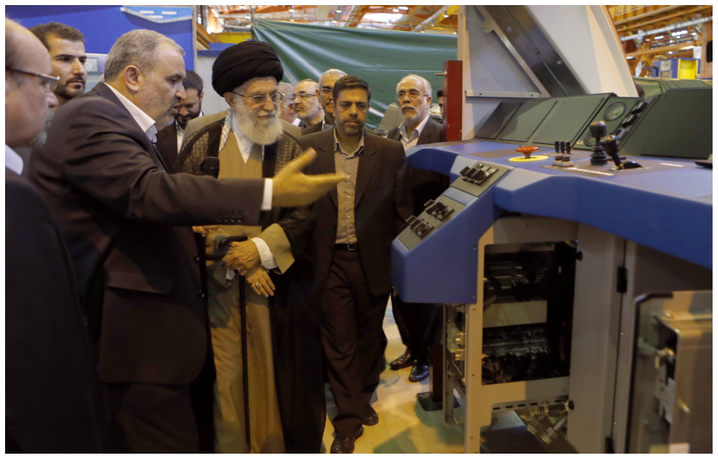

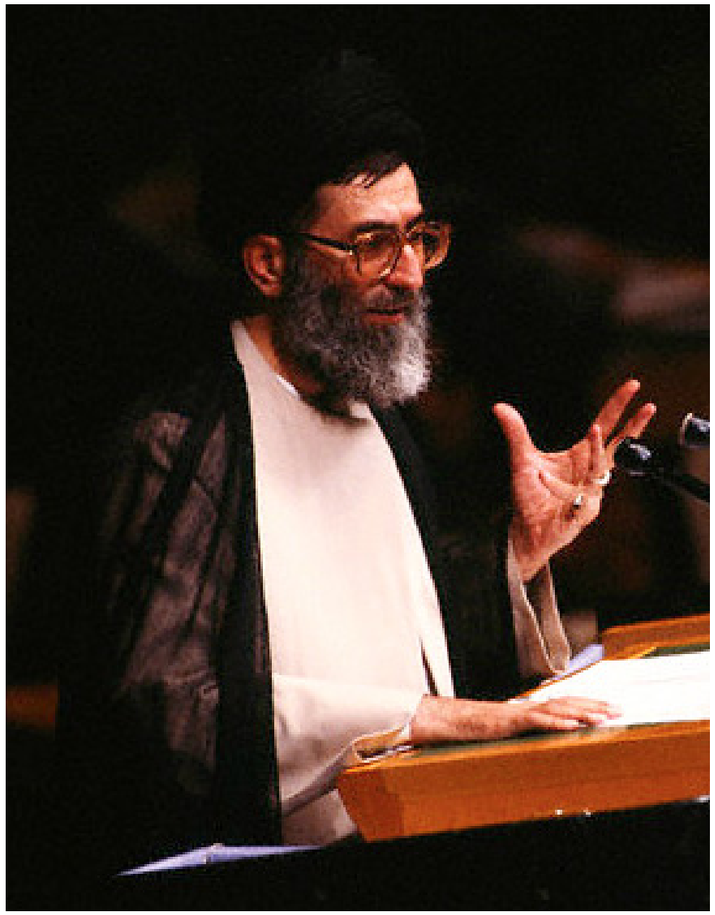

وأطلقوا على ذلك اسم «العولمة». وفيما يخصُّ العلومَ والتقنيات، فقد فرضوا احتكاراً تاماً؛ فهنالك مجالاتٌ علميةٌ وتقنيةٌ يجب أن تبقى حصراً في أيديهم. كانت هذه هي النقاطُ التي وضع قائدُنا إصبعَهُ عليها بدقة، فجاءت ثورتُنا وبلادُنا لتمزقَ هذه الحجب. لقد أثبتنا للعالمِ أنَّه لا حدودَ أمامَنا في تحصيلِ العلوم؛ ولو أردتُ أن أشرحَ لكم الخدماتِ التي قدّمها قائدُنا الشهيدُ للتقدّم العلميّ في البلاد، لوجدتُم أنَّ حتى أولئك الذين انخدعوا في الجامعاتِ وباتوا «أشباهَ علمانيين» يُقدرون عالياً دورَ إمامِنا الشهيد.

آمن سماحته بأن «العلمُ سلطان»، واعتقد بأننا إذا جعلنا العلم أساساً ومنطلقاً، فستتحقق لنا القدرة والمنعة، أما إذا ابتعدنا عن العلم، فسيُهيمن الآخرون علينا؛ وهذا النص مقتبس من كلام الإمام علي (عليه السلام).

كان سماحته يؤمن بدورة متكاملة تجمع بين العلم، والتكنولوجيا، والصناعة، وإنتاج الثروات؛ ويرى أن العلوم الأساسية بمثابة «رصيد مدخر»، لذا يجب أن نحافظ عليها دوماً بوصفها المحرك للتقدّم العلمي. ومن هذا المنطلق، قدم دعماً واسعاً وتابع بدقة التقدّم في علوم النانو، والخلايا الجذعية، والعلوم الأساسية، وعلم الفلك، والجسيمات الأولية. ومثالاً على ذلك، كان يعتقد بضرورة دخولنا في مضمار التنافس العلمي العالمي؛ فلا يقتصر طموحنا على إنجازات محلية نكتفي بها داخل إيران، بل يجب أن تفرض نتاجاتنا العلمية حضورها وتألقها على مستوى العالم.

وفي خضمّ تطوير العلوم والتقنيات النووية -التي تنهضُ معها وتزدهرُ أكثرُ من مائة وعشرين فرعاً من العلوم- أصدرَ سماحتُه فتوى تحريمِ أسلحةِ الدمارِ الشاملِ النووية؛ وهو أمرٌ عجيبٌ للغايةِ لم يستوعبْه العالَمُ بعد. فمثلاً، زعمَ الغربيونَ أنَّ سماحتَهُ يراوغُهم، ولم يدركوا أنَّ هذا الإنسانَ عندما ينطقُ عن مبدأ، فإنَّ مبدأَهُ أصيلٌ جداً. إنَّ فتوى الإمامِ بحرمةِ أسلحةِ الدمارِ الشاملِ النوويةِ كـ«حكمٍ أوّليٍّ» تضربُ بجذورِها العظيمةِ والدقيقةِ في فقهِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام). لقد برزَ هنا فقيهٌ هو -كما أسلفتُ- عالمٌ معاصرٌ؛ وهنالك روايةٌ تشيرُ إلى أنَّ الذين وصلوا إلى معدنِ

الفهمِ حين يقرؤون القرآن، فكأنما يَنزلُ عليهم الآن. تأملوا؛ فقد كان يفهمُ الدينَ برؤية عصرية لا برؤية الأمس، وكأنَّ القرآنَ يَنزلُ عليه في لحظتِهِ هذه، ومن ثَمَّ يستنبطُ دينَهُ.

وفي الوقت ذاته، لم يرتكز منطقه على ضرورة بقائنا في حرب دائمة مع الغربيين؛ بل على العكس، كان يعتقد بوجوب الحوار فيما بيننا، شريطة أن يتعلم الغربيون احترامنا، فنحن لا نقبل بتفوقهم، لكننا نؤمن بضرورة الاستفادة من تجاربهم كتجربة بشرية. لقد اتسم فكره بالعقلانية والحداثة؛ فبينما كانت بعض التيارات اليسارية تطلق على نفسها صفة «ثورية» وترى أصالة في الصراع الوجودي (Antagonism) المستمر مع الغرب، لم يكن إمامنا الشهيد يرى أصالة في مثل هذا الصراع، بل جعل الأصل في «رفع الهيمنة». فمتى ما زالت الهيمنة، يصبح التعاون بين إيران والغرب أمراً معقولاً، حيث نؤثر فيهم وقد نتعلم منهم بعض الأمور. لذا، كان فكر سماحته تجاه الغرب فكراً جوهرياً وأصيلاً؛ فقد رفض ودحض تماماً نزعة الهيمنة الغربية ونهب ثروات الشعوب. والآن، كُشفت الأستار؛ ففي آخر خطاباته، أشار سماحته إلى أن القابع في البيت الأبيض حالياً قدم خدمة كبيرة لفهم حقيقة الغرب، إذ إن تلك الأفكار والمخططات التي كانت تُطرح سابقاً في غلاف من الموارية، بات يطرحها هذا الشخص اليوم بلا قناع. لقد رأيتم كيف صرح قبل يومين فقط -بأسلوب صبياني- قائلاً: «أريد نفط إيران»، وكأنه يتحدث عن «مثلجات».

تأملوا؛ هذا هو الأمر الذي لم يكن سماحته يرتضيه من قبل، وكان يعارضه بشدة، وها نحن لم نمنحهم قرشاً واحداً، بل وقفنا في وجههم جميعاً. إن فكر إمامنا الشّهيد ضروري لسيادة منطقتنا بأكملها، وهذا فيما يخص البعد الدولي، أما في البعد الحكومي والقضايا الداخلية فالجوانب كثيرة. لقد أشرتُ إلى

أنه كان عالماً دينياً يفهم الدين برؤية عصرية ودقيقة. أما فيما يتعلق بالحكومة، فقد كان له رأيٌ سديد في شعبية النظام؛ إذ تعلمون أنه **كان من أشد المدافعين عن الآلية الشعبية لحكومتنا. ففي فتنة عام 2009م، حدث انقلابٌ على الديمقراطية، حيث طلبوا النزول إلى الشوارع بدل عدّ الأصوات في صناديق الاقتراع، لكن سماحته وقف بصلابة وأحبط هذا المخطط رغم كل الدعم الداخلي والخارجي الذي حظي به.** وتطول المباحث في هذا الشأن، لكني أود الإشارة إلى نكتة فقهية؛ فقد كان سماحته فقيهاً مجدداً، ليس من أولئك الذين يدّعون فقهاً مبتدعاً، بل كان ينهج «الفقه الجواهري» القائم على الاستنباط الصحيح. **ومن المجالات التي كان يمتلك فيها تسلطاً كبيراً في المباحث الفقهية: قضايا «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» و«الجهاد»، إذ تمتاز مباحثه الفقهية فيهما -وإن كانت مفصلة- بالابتكار والتجديد حقاً.**

أودُّ الآن أن أشيرَ مجدداً إلى نقطةٍ في المباحث الفقهية لهذه الأوجه، لعلَّ جيلنا الجديد لم يلتفت إليها قط. فمن الناحية الفقهية، يختصُّ الجهادُ بالميدان الذي يَشنُّ فيه العدو هجوماً على مصالحنا ويتوجبُ علينا الدفاعُ في مواجهته؛ فإذا لم يهاجم العدو ميداناً ما، فإنَّ سعيَنا مأجورٌ ولكنه لا يُعدُّ جهاداً. إلا أنَّ إمامنا الشهيد استنبط ميادين جهادية جديدة؛ أولها ميدان «الغزو الثقافي»، ففي عام 1994م، طرح سماحته قضية الغزو الثقافي، ولم يدرك الكثيرون حينها ماهيته، ثم تلاه بمصطلح «الناتو الثقافة» واستمر في ذلك. لقد اعتبر ميدان الثقافة ميدان غزو، ولذا رأى العمل فيه جهاداً في سبيل الله؛ أي أنه لم يحصر تعريف الجهاد في حمل البندقية فحسب، بل هو جهادٌ في سبيل الله. ويمتدُّ هذا المفهوم ليشمل مجالات التبليغ، والإعلام، والعلم. وهنا سأروي لكم خاطرة عن سماحته تتعلق بالجهاد في ميدان العلم: قبل تفشي جائحة كورونا، طلب سماحته في أحد أيام الخميس عقد اجتماع مع العلماء والكوادر العاملة في معهد الأبحاث ضمن نطاق العلوم الأساسية. ذهبنا يوم الخميس، وصلينا خلفه، ثم جلسنا بعد الصلاة حتى وقت متأخر من الليل، حيث تحدث سماحته عن ذرّة «هيغز»، وسأل عن معنى «الثقوب السوداء».

وتطرق الحديث إلى «علم الكونيات الحديث»، و«العلوم المعرفية»، والمباحث المتعلقة بـ«الجسيمات الأولية»، وغيرها من الموضوعات الشيقة للغاية. وهنا أستذكر ملاطفةً جرت؛ إذ بدأتُ ألمحُ شيئاً فشيئاً قائلًا: «ليس من السيء إن أمرتم لنا بالعشاء»، فتبسم سماحته وقال: «تناولوا هذه الحلوى الآن، فلعلها تفوتكم أيضاً». وفي ختام المجلس، قدم لنا هديةً غالية؛ إذ قال: «أود أن أبين لكم فتواي الفقهية؛ ففي تقديري، يُعدُّ العمل في ميادين العلم -إذا اقترن بنية الجهاد- جهاداً في سبيل الله بعينه، وشأنه شأن المرابطين المقاتلين في الفيافي». ثم أردف بابتسامة مليحة: «وبطبيعة الحال، يُنال فيه فيض الشهادة أيضاً». وهكذا كان؛ فقد رأيتم

أن ما تفعله أمريكا لا نظير له في التاريخ. قديماً، كان العلماء يُقتلون بسبب معتقداتهم، ولكن ما هو المعتقد الذي تسبب في إعدام الدكتور طهرانتشي؟ لقد كان فيزيائياً يعمل في مجال «المغناطيسية»، وهو مجالٌ لا يعاديه أحد! إن شهادة هؤلاء لم تكن بسبب أفكارهم، بل لأنهم كانوا يعملون في «ميدان الجهاد العلمي» من أجل استقلال بلادنا. تُعدُّ هذه الظاهرة مستحدثةً تماماً؛ إذ لم يسبق في تاريخ العلم أن أقدمت دولة جائرة ومستبدة على اغتيال علماء الدول الأخرى لمجرد منعهم من التقدم. ومن هنا، يتضح أنه حين ركز سماحته على مقولة «العلمُ سلطان»، كان يدرك تماماً أين يضع إصبعه.

سؤال

ما مدى فاعلية ذلك بالنسبة لنا؟ ومن أيّ جوانب كان هذا الأمرُ مشرّعًا للآفاق أمامنا؟

تتمثل النقطة الأولى في التساؤل: هل يسمح الفكر الإسلامي بقيام نظام إسلامي تُراعى فيه المعايير الأساسية للديمقراطية؟ فالديمقراطية تشتمل على حقوق متعددة. وما نمتلكه نحن هو نوعٌ مما يسميه «ماكس فيبر» بالديمقراطية الوظيفية (Functional)؛ أي الديمقراطية الإجرائية والعملية، إذ لا نحتاج لإطلاق الشعارات فحسب. فمن حيث الماهية، تخضع كافة معاقل السلطة في نظام الجمهورية الإسلامية لآراء الشعب، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وينطبق الأمر ذاته على منصب القيادة؛ فكما رأيتم مؤخراً عقب استشهاد قائدنا العظيم، اجتمع ممثلو الشعب في مجلس خبراء القيادة وانتخبوا القائد القادم بأغلبية الأصوات وأعلنوا ذلك؛ وهذه هي الديمقراطية الوظيفية.

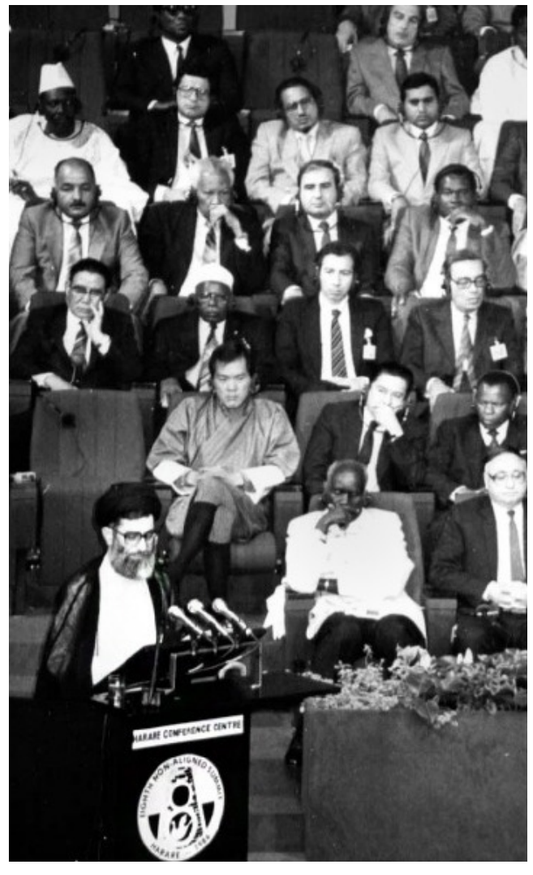

لقد كان هذا الموضوع بحد ذاته مثار نقاش جدي: هل يمكن إقامة نظم مدني وسياسي قائم على الإسلام تكون فيه الديمقراطية العملية هي ركيزة الحكم؟ آمن الإمام الراحل بإمكانية ذلك، وكان شهيدنا العظيم من حملة ألوية هذا الفكر الإمامي المدافعين عنه بصلابة، وقد ثبت عليه. ويُعد هذا الدرس الأول لمختلف دول العالم؛ إذ ليسوا مخيرين بين خيارين لا ثالث لهما: إما حكومة علمانية ديمقراطية، أو حكومة إسلامية غير ديمقراطية. كلا، بل يمكن للنموذج الإيراني أن يكون نموذجاً مشرّعًا للآفاق.

يتمثل الدرس الثاني الذي تقدمه الجمهورية الإسلامية للدول في الإجابة عن التساؤل: هل يمكن لبلد يتبنى هذا النموذج -أي جمهورية قائمة على الإسلام في العالم المعاصر- أن يكون بلداً قوياً، أم يتحتم عليه الخضوع والمهانة؟ لقد أثبتت الجمهورية الإسلامية قدرتنا على أن نكون قوة عظمى؛ تلك القوة التي ترونها اليوم حيث شنت قوة استكبارية عظمى، ومعها

كيان شرير للغاية لا يعرف حدوداً في إجرامه -وكلاهما يمتلك السلاح النووي- هجوماً على إيران، فبُهتا أمامها. واليوم، يقرّون هم أنفسهم بالهزيمة أمام إيران، وقد هُزموا حقاً وسيُهزمون إن شاء الله. وهذا إنجاز عملي آخر.

ثمة نقطة أخرى بالغة الأهمية، وهي رؤية إمامنا الشهيد للعلاقات مع العالم؛ إذ كان مطلعاً على أحوال العالم اطلاعاً دقيقاً. **وفي منظور سماحة الإمام الشهيد الخامنئي، لا يقتصر العالم على الغرب فحسب، بل هو واسع جداً. ومن هذا المنطلق، كان يؤمن بضرورة البدء بالمنطقة في أولوياتنا الدبلوماسية؛ أي الجيران ومنظمة «إيكو»، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومن ثم حركة عدم الانحياز، فكان يولي هذه الأطر أهمية كبيرة.**

فعلى سبيل المثال، هدفت زيارته إلى باكستان إلى تعميق دور منظمة «إيكو»، وقد استقبله الشعب الباكستاني حينها استقبالاً جعل الحكومة في حالة من الوجل والذعر الحقيقي. فمن الذي نظّم تلك الحشود؟ لم يكن أحداً، بل كان ذلك نابعاً من محبة الناس العفوية لسماحته. لم يكن نوع الاستقبال مما يُحشد فيه الناس ليُعبّروا عن مشاعرهم، بل خرج الناس من تلقاء أنفسهم، حتى لم تستطع الشرطة ولا غيرها السيطرة على تلك الجموع. وفي إحدى المحادثات، قال له الرئيس الباكستاني آنذاك «ضياء الحق»: «أترى كيف ولماذا يحبك هؤلاء الناس؟ إن هذا يعود إلى ثورتكم». وبالطبع، فإن أي بلد يرى مشهداً كهذا سيشعر بنوع من الخطر، وكان الرجل صادقاً في قوله ذاك.

ثمة نقطة بالغة الأهمية تتعلق بالظروف آنذاك؛ ففي ظل تلك الأوضاع، كان الإمام الخامنئي (رحمه الله) يعتقد بوجوب «النفوذ إلى قلب العالم الإسلامي». وصحيحٌ أنَّ ذلك قد يثير انزعاجهم أو قلقهم، إلا أننا لسنا ضدهم؛ فلدينا رؤيةٌ ولا بد من طرحها في عمق العالم الإسلامي. ومن هنا، كان سماحته يمتلك فهماً للعلاقات الدولية يرتكز على المعرفة الدقيقة بالدول؛ ولذا كانت زياراته إلى الصين ومناطق مختلفة أخرى مدروسةً بعناية. لقد أراد توسيع آفاق الدبلوماسية الإيرانية وتحريرها من حصرها في الإطار الأوروبي -الذي كان له جذور تاريخية وترسبات في أذهان بعض دبلوماسيينا- والعمل على إزالتها.

تُعدُّ هذه نقطةً مفصليةً في فهم العالم؛ لذا تجدون سماحته قد ركز كثيراً على حركة عدم الانحياز، وسعى لتحويلها إلى مؤسسة فاعلة في الساحة السياسية الدولية. وفي عهده، كان «راجيف غاندي» من الهند، و«كاسترو»، و«موغابي» يمثلون أقطاب حركة عدم الانحياز، وقد أصبحوا رفاق دربه، ولا سيما هؤلاء الثلاثة -أعني سماحته وراجيف غاندي وكاسترو- إذ استطاعوا التأثير في تيار حركة عدم الانحياز برمته بشكل ملحوظ.

أدرك سماحته ماهية الغرب، كما كان يعرف دول عدم الانحياز حق المعرفة، وآمن بوجوب العمل معها وإيجاد حراك فاعل. ولا بد لي من الإشارة إلى أنه، وبالإضافة إلى فهمه الصائب للمسائل الدولية، كان يمتلك استراتيجية دقيقة جداً في مفاوضاته؛ فكانت تُحضّر له المادة العلمية قبل ساعات، فيقوم بتنظيمها ومراجعتها وتصويب ما يحتاج إلى تعديل. لم يكن سماحته يفاوض بأسلوب «كتابي» عبر الاكتفاء بالنظر والقراءة من الأوراق، بل كان يمتلك ذهنيّة متسلسلة ومنسّقة ويملك براعة فائقة في فن التفاوض؛ فإذا ما وجد لدى الطرف الآخر نقطة حساسة، كان يتجنّبها ويقدمها بأسلوب آخر.

طبعًا، لقد كان إمامنا العظيم طلق اللسان وبليغاً للغاية، سواء في حديثه العادي أو الرسمي، وكان كبار قادة الدول يتأثرون به كثيراً في مفاوضاتهم مع سماحته؛ إذ كانت طروحاته منظمة، ومستدلة، وبليغة،

وغير مملة. وفي ذلك الوقت، كان بعض قادة العالم يتحدثون لنحو نصف ساعة فيأسرون القلوب، أما سماحته فكانت كلماته دقيقة، وموقوتة، ومتفاعلة مع الطرف الآخر؛ لدرجة أن «راجيف غاندي» -الذي قُتل في الهند لاحقاً- قال لي حينما ذهبت للتنسيق لقمة «هراري»: «إن محبتنا للسيد الخامنئي تتجاوز مجرد الإعجاب بشخص». ورغم أن آل غاندي كان لديهم توجه إيجابي خاص تجاه إيران، إلا أنه أردف قائلاً: «أنا مجذوب لشخصيته، وأتشوق بشدة للجلوس والحديث معه». وحينما كان سماحته في «هراري»، كان غاندي يقضي أغلب أوقاته في المجيء إليه والتباحث معه في شتى القضايا.

أختمُ هنا بالإشارة إلى أنَّ سماحتَه جمعَ بين هذا الانتماءِ الإسلاميِّ العظيم، والنزعةِ الاستقلالية، والفكرِ الدوليِّ ببيانِهِ الرصينِ وأسسِهِ المتينة، وبين شعورٍ وطنيٍّ عميقٍ بانتمائِهِ الإيراني؛ فلم يكن يرى في إيران مجردَ بلدٍ إسلاميٍّ عابر. إنَّ تضلعَهُ في الثقافةِ والأدبِ والشعرِ وتاريخِ إيران، وعشقَهُ اللامتناهي لهذه الأرضِ وثقافتِها، صاغَ منه شخصيةً استثنائيةً بالنسبةِ لنا. ولا أرغب هنا في التطلّع إلى الجانب الدولي لسماحته فحسب، بل أرى أننا -نحن الإيرانيين- لم نشهدْ عبرَ قرونٍ عديدةٍ بين قادتِنا مَن يضاهيهِ في وطنيتِهِ وحبِّهِ لبلادِه. وبينما يتحدثُ البعضُ ضدَّ الإسلامِ زاعمين أنَّ قادتَنا الدينيين تمسكوا بالإسلامِ وتخلوا عن الوطن، فإنَّ ذلك لا ينمُّ إلا عن جهلِهم وعدمِ فهمِهم للحقيقةِ قط؛ إذ **لم يسبق لأيّ قائدٍ في تاريخ بلادنا أن تعمَّق في أدب إيران وشعرها وثقافتها وتاريخها كما فعل إمامُنا الشهيد. لقد كان عارفاً بمختلف أساليب الشعراء، وكان هو نفسُه من أهل الشعر يتذوقُه ويحتفي بالشعراء المعاصرين منهم والقدامى. ولعلَّ أبلغ وصفٍ قيل في حقِّه هو ما قاله الإمامُ الراحل: «لقد كان شمساً ساطعةً للعالم الإسلاميّ ولبلادنا».**

سؤال

تحدّثتم عن مؤتمر هراري أيضًا؛ مؤتمر حركة عدم الانحياز. هل لديكم ذكريات عن ذاك المؤتمر والكلمة التي ألقاها سماحته هناك؟

لقد رسم إمامنا الشهيد هناك خريطة طريق لمستقبل حركة عدم الانحياز، وكان ذلك أمراً بالغ الأهمية؛ إذ اتسمت كلمته بدقة متناهية. ولا بد لي هنا من تبيان دور الإمام [الخميني] الراحل؛ فقبل أن يُلقي سماحته خطابَه، قال الإمام: «أرسلوا لي نصَّ كلمتكم»، فقد كان يهمه كثيراً ما سيقوله سماحته، وفي واقع الأمر، كان الإمام يُعدُّه ويُربّيه للمكانة العظيمة التي سيتبوأها في المستقبل. يقول المرحوم السيّد أحمد [الخميني] إنَّ الإمام طلب نصَّ الكلمة، فقال آية الله السيد الخامنئي: «نعم، لقد أخبرني بذلك، أرسلوها له». فقام الإمام بتحرير النص تحريراً كاملاً؛ فكان يلاحظ إن كانت الجملة طويلة، أو يضع الفواصل والنقاط في مواضعها. ومن الإضافات التي وضعها الإمام قوله: «لا تكتفِ بالصلاة على نبينا فحسب عند البدء، بل اكتب الصلاة على جميع الأنبياء وصولاً إلى نبينا». وفيما يخص قضية فلسطين، وجَّه الإمام بضرورة الحديث عنها بتفصيل أكبر؛ إذ كنا قد خصصنا لها فقرة واحدة، فحولها الإمام إلى فقرتين مسهبتين، وأضاف نقطتين أو ثلاثاً تتعلق بالتعاون، كما أكد الإمام على بُعد إسلامي معين.

ما أودُّ قوله هو أنَّ أحد أسباب تألق ذلك الخطاب يكمن في أنَّ أفكاره الأساسية استُمدت من الإمام الشهيد نفسه؛ وتجد فيه لمسات الإمام التحريرية، ثم صهرها سماحتُه بأسلوبه الخطابي البليغ.

تُعدُّ هذه البلاغةُ فناً عظيماً للغاية، وهكذا كان حالُ عليٍّ (عليه السلام)؛ إذ كان حين يرتقي المنبرَ ويتحدث، يأسرُ الجميعَ بفيضِ بلاغتِه، لدرجةِ أنه عندما شرعت السيدةُ زينبُ (س) بالكلام في مجلس يزيد، ضرب يزيدُ على فخذِ مَن بجانبه وقال: «أوه، هذه ابنةُ ذاك الأب!»؛ والمقصودُ هنا شهرتُهم بالبلاغة. نعم، لقد كان سماحتُه

من تلك السلسلةِ البليغة؛ فكان انتقاؤُه للكلماتِ بارعاً، وكأنَّ الكلمةَ في يده خاتمٌ يُقلّبُه كيف يشاء، فيضعُها في موضعِها الدقيقِ بفضلِ ذكائِه المتقد. وهنا أروي لكم خاطرةً أخرى: في لقاءٍ مع أحد القادة الكبار، كان مترجمُنا ضعيفاً، فكان يترجمُ أحياناً أشياءً لم ترد في نصّ حديث آية الله السيد الخامنئي، ويخلطُ الأمور ببعضِها. سألني سماحتُه: «ماذا يترجمُ هذا؟»، فقلتُ: «إنه يجتهدُ من عندِه». **قال سماحته: «إنني أعلمُ أنني حين أتحدث ولا تتغير ملامح وجوه الحاضرين، فبالتأكيدِ لم يفهموا مقصدي».** تأملوا هذه الدقة! فقد كان يدركُ من خلالِ تعابيرِ الوجوهِ ما إذا كان هنالك ردُّ فعلٍ على كلامِه أم لا. ثم التفتَ إليَّ وقال: «حسناً، تَرجم أنت». ولم يسبق لي قطُّ ممارسةُ الترجمةِ الفورية، فقال: «يا عليُّ، بسم الله». لم يمرَّ عليَّ وقتٌ بمثلِ تلك الصعوبة؛ إذ استنفرتُ كلَّ مهاراتي اللغويةِ لتكونَ الكلماتُ التي أنطقُ بها قريبةً من كلام سماحته. وبالطبع، قمتُ لاحقاً بمواساةِ المترجمِ وقلتُ له إنَّ الإرهاقَ والسهرَ ربما منعه من الترجمةِ الجيدة. إنما أردتُ من ذلك تبيانَ مدى دقةِ سماحتِه في المفاوضات.

الثورة الإسلامية

نظام الهيمنة من أكبر المصائب في عالم اليوم، والتي لم تنتهِ بعد، لكن ستنتهي، إن شاء الله. نظام الهيمنة يعني تقسيم العالم إلى مهيمِن ومُهيمَن عليه. قلّة يجب أن تحكم العالم كلّه بقوّة، وعلى الدول الأخرى أن تطيعهم تحت عناوين مختلفة. هذا هو نظام الهيمنة. 2022/10/19 لقد أسقطنا هذا النظام وهذه المعادلة الخاطئة في العالَم. لقد أثبتنا أنّه يمكن أن يكون هناك شعبٌ ليس مهيمِنًا ولا خاضعًا للهيمنة، شعبٌ لا يريد أن يفرض على أحدٍ منطق القوّة، ولا أن يخضع هو بدوره لمنطق القوّة أبدًا. 2017/12/27 تحدّت الجمهورية الإسلامية النظام العالمي الجائر، وهذا هو سبب المعارضة لنا. هذا هو [السبب] في أنّ النظام الإسلامي [يواجه] معارضة. 2016/3/15 لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الكسر للمعادلة القائمة؛ فمنذ اليوم الأوّل بدأت العداوات: بالحرب، وبالحظر، وبالشتائم، وبالافتراء، وبالاختراق، وبالمؤامرات، وبالعمليات الأمنية والثقافية، وبإثارة الخلافات الداخلية. ولم يبخلوا بإنفاق الأموال في إيران لفعل كلّ ما في وسعهم، لكنّهم فشلوا في جميع تلك الأمور. 2017/12/27 إنّ السرّ العظيم لديمومة هذا النظام، هما هاتان الكلمتان: «جمهوريّة» و«إسلاميّة». اجتماع هاتَين الكلمتَين معًا، والموجود الذي يتكوّن من هاتَين الكلمتَين، يجب أن يظلّ ثابتًا أيضًا؛ «جمهوريّة» وكذلك «إسلاميّة»... «جمهوريّة» تعني الناس، و«إسلاميّة» تعني الإسلام طبعًا.

الثورةُ الإسلاميّةُ تختلف عن سائر الثورات كلّها؛ فهي ليست مجرد ثورة روحيّة وثقافيّة، وليست مجرد ثورة اقتصاديّة، وليست مجرد ثورة سياسيّة، بل هي ثورة شاملة، مثل الإسلام نفسه. فكما أنّ للإسلام أبعادًا روحيّة وأخلاقيّة... فهو في الوقت نفسه يتوجّه إلى حياة الناس، وفيه بُعدٌ اقتصاديّ، وبُعدٌ سياسيّ، وبُعدٌ اجتماعيّ... 2008/6/3 لقد أحدثت الثورة قفزة في البلاد... ترون هذه القفزة في المجال السياسيّ، وفي المجال العلميّ، وفي المجال التكنولوجيّ، وترون هذه القفزة في مجال الأخلاق الاجتماعيّة... 2024/6/15

إنّ هذه الثورة أمرٌ عجيبٌ للغاية، وستحمل إلى أسياد العالم متاعب كثيرةً لمدّة طويلة؛ فما زلنا الآن في بداية الطريق. 2017/1/5 ليس لدينا أدنى شك في هزيمة العدوّ. 2018/5/23

KHAMENEI.IR

في رحاب الشهيد

KHAMENEI.IR

اهتمام الإمام الخامنئي تخطّى إيران ليشمل الأمة الإسلامية

آية الله السيد مجتبى الحسيني

ممثّل قائد الثورة الإسلاميّة في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على حبيب إله العالمين، المبعوث رحمةً للناس أجمعين، الرسول الأمجد المسدَّد أبي القاسم محمد.

سؤال

ما هي نظرة الإمام القائد، قائد الثورة الإسلامية، إلى الشعوب العربية عامة، وإلى الشعبين السوري والعراقي خاصة؟

زيارة الأربعين المليونية، ما دور السيد الشهيد في إحيائها؟ وما هو الدور المركزي للشعب العراقي في هذه المناسبة؟ ما طبيعة علاقة المرجعية العليا وعلماء العراق والنجف الأشرف بالسيد الشهيد، قدّست نفسه الزكية؟

ما هي رؤية الإمام القائد الشهيد لمسألة التقريب بين المذاهب؟ وما نظرته لسيادة الدولة العراقية؟ وكيف أسهم في دعم تقدّمها؟ هذا وأكثر سنعرفه إن شاء الله في هذه الجلسة مع ضيفنا الكريم، سماحة آية الله السيد مجتبى الحسيني. سلام عليكم ورحمة الله سيدنا.

وعليكم السلام ورحمة الله.

حياكم الله سيدنا.

تحياتي لكل الشباب المستمعين في عراق المقاومة.

سؤال

بارك الله فيكم سيدنا. في البدء، ما هي نظرة الإمام الشهيد وقائد الثورة الإسلامية إلى الشعوب العربية، وما الذي ميّزها عن الرؤى السياسية أو الدينية التقليدية؟

بسم الله الرحمن الرحيم، كما تعلمون فإن الثورة الإسلامية التي فجرها الإمام الخميني (رض) وسماحة الإمام القائد الشهيد (رض)، كانت منذ انطلاقتها ثورة شاملة لكل المسلمين، بل للبشرية جمعاء. الجمهورية الإسلامية كدولة لها حدود، لكن الثورة الإسلامية هي دعوة للإسلام والبصيرة وعزة المسلمين، ودعوة للالتحاق بركب رسول الله (ص) وركب الإسلام.

أُسّست هذه الثورة المباركة لتكون صحوةً لعامة المسلمين. ففي الداخل، قامت على السعي لتطبيق القوانين المستمدة من الكتاب والسنة والشريعة المقدّسة بنسبة مئة بالمئة. وفي الخارج، أطلق الإمام

الخميني دعوات إنسانية وإسلامية واسعة، فقدكان همُّ الإمامين الخميني والقائد هو المسلمين جميعاً.

وخصيصاً البلاد العربية، كون جُلّها بلاداً إسلامية، فرغم وجود غير المسلمين فيها إلا أنها بلاد إسلامية، لذا فإن نداء الثورة موجّه للجميع. في أوائل الثورة عندما قال الإمام: "نريد تصدير الثورة"، استنكر بعض المسؤولين في مجلس الشورى ذلك عبر التلفزيون وقالوا: لا نريد فرض الثورة على أحد.

كرر الإمام مراراً: "نحن نريد تصدير الثورة"، لكنهم توهموا أنه يريد تسيير الجيوش لفتح البلاد كما فعل هتلر أو الملوك لتوسعة نفوذهم. لكن الثورة في إيران لم تقم بالقوة بل بالدعوة، فالناس آمنوا بالإمام وتحملوا المشاق حتى النصر. أراد الإمام نشر الشريعة وإيصال صوت القرآن وأهل البيت (ع) إلى العالم، وهذا ما حدث بالفعل.

نحن نرى اليوم شعوب العالم تميل للقيم الإسلامية، بل ودخل الكثيرون في الإسلام ببركة هذه الثورة، وهذا كان هدف الإمام وكل مؤمن؛ لأن رسول الله بُعث رحمة للعالمين لا لشعب دون آخر.

حين نتحدث عن الثورة بمعنى اليقظة والعزة، فإن كرامة الإنسان لا يجوز حكرها على بقعة جغرافية واحدة. لذلك كان همّهم هكذا، وبالأخص البلاد العربية لأنهم ينطقون بلغة القرآن، ولما يربطنا بهم من مودة وأخوة.

وخصيصاً سوريا، فهي الدولة الوحيدة التي وقفت بجانب الجمهورية الإسلامية عند تأسيسها وساندتها، وكان استقبالها للثورة متميزاً؛ فرغم أن الحكومة السورية كانت علمانية، إلا أن تعامل الدولة والشعب السوري كان تعاملاً جميلاً.

وكذا العراق؛ فهذا التعبير "إيران والعراق لا يمكن الفراق" يعكس علاقةً عميقةً منذ سنين طويلة بل قرون، وتآخياً بين الشعبين اللذين يجمعهما دين واحد ومذهب واحد. أضف إلى ذلك أن العراق هو

مركز أهل البيت (ع) بنظر العالم كله، وكل من يحبهم ويزور قبورهم، أي كل من ينطق لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، ولذلك للعراق أهمية بالغة. لقد ابتلي العراق لنحو ثلاثين عاماً بالبعثيين الذين حاولوا التفرقة بين الشعبين ولم يستطيعوا؛ فرغم الجفاء بين الدولة البعثية والدولة الإسلامية، لم ينقطع الود بين الشعبين.

حتى في زمن صدام، كانت الجمهورية الإسلامية أول من فتح أبوابه لمساعدة الشعب العراقي مادياً. وكان اهتمام سماحة السيد القائد بالعراق اهتماماً بليغاً.

وأذكر أن السيد حسن نصر الله (رض) قال لي مرة: منذ سقوط صدام وتحرير الأرض، صار اهتمامي بالعراق أكثر من لبنان، والوقت الذي أصرفه للعراق أكثر؛ لأن العراق بلد الجميع وتهوي إليه القلوب.

عندما كلفني سماحته بالذهاب إلى سوريا، عملت هناك لأكثر من اثني عشر عاماً، وكان دعمه لنا في أعلى مستوياته. كنا مستأنسين بالشعب السوري، ولم تكن الدولة هناك تعارض أعمالنا. ولكن بعد وفاة آية الله الآصفي (رض)، وبسبب الأهمية البالغة للعراق لديه، أمرني بعد خمسين يوماً بالمجيء إلى العراق. جئتُ وعرضتُ عليه الأمور، فسألني: كيف ترى سوريا، أهي أحسن أم العراق؟ قلت: كلاهما جيد. قال: لا، النجف شيء آخر، النجف شيء آخر.

وذكر أنه زار النجف حين كان طالباً شاباً، وجلس في الصحن المبارك، ورأى حلقات الطلاب يتباحثون، فتمنى لو سكن النجف، لكن والده حينها لم يرضَ بمجيئه. هكذا كان اهتمامه بالنجف واضحاً، وكان يدعمنا باستمرار، وهذا الدعم متواصل إلى الآن من ابنه.

سؤال

سيدنا، كنتم ممثلاً للإمام لأكثر من ثلاثين سنة، ما هي أبرز نصائحه وتوصياته بخصوص الشعبين السوري والعراقي؟

بالنسبة لسوريا، أكد لي أن أعمالنا يجب ألا تخالف قوانينهم، وضرورة مراعاة قوانين الدولة وألا يضعف عملنا النظام هناك. كما أوصى بالانفتاح في العلاقات مع علماء الدين السنة والعلويين، العلويون هم شيعة اثنا عشرية، ولكن في نظرنا أهل الغلو في أهل البيت عليهم السلام، وبمقدار استطاعتنا كنا نقدم الخدمة للجميع. حتى الدروز أقمنا معهم علاقات وكنا ندعوهم ليلقوا كلمات في احتفالاتنا، وكذلك المسيحيون؛ كنا مستأنسين بالجميع.

أما في العراق، ففي جلستي الأولى أوصاني بمراجع النجف، ولا سيما آية الله العظمى السيد السيستاني (حفظه الله). أكد على رعاية شؤونهم وأن تتناسب أعمالنا مع أجواء النجف والعراق. كما شدد على أن مكتبنا ليس لمجرد المسائل الحوزوية البحته، بل رسالتنا هي رسالة الإسلام والثورة، أي إيقاظ الناس وتعميم البصيرة. أكد هذه الأمور، كما في كلماته العامة كذلك، كثيراً ما يؤكد هذا الأمر، فالثورة

الظلم، وإحياء القيم التي يرفضونها. لذا أرى، كما رأى سماحته (رض)، أن هذه الشعيرة هي إحياءٌ للإسلام، وتوادٌّ بين المسلمين، ومحاربةٌ للاستكبار. فمسيرة الإمام الحسين (ع) وحركته هما دوماً مسيرة تحرر للإنسان من قيد النفس الأمارة بالسوء ومن قيد الطغاة والسلاطين.

منذ شهادة الإمام الحسين (ع)، والطغاة يحاربون اسمه وقبره، وقد هدموا القبر المطهر مراراً. ومن الموازين التي ذكرها الإمام الخميني (رض) لمعرفة الحق ومصلحتنا: أن الشيء الذي يريده العدو ليس لمصلحتنا، وما لا يريده هو مصلحتنا. وهذا من موازين التشخيص بين الحق والباطل وبين المفسدة. لذا كان سماحة السيد القائد يؤكد على الأربعين، ويرى ضرورة توسيع مسارها قدر المستطاع، فكان يشجع ويدعم هذا الأمر.

سؤال

سيدنا الكريم. كيف يلعب الشعب العراقي دوراً مركزياً في إحياء هذه المناسبة؟ وهل دوره مجرد استضافة، أم أن له أهدافاً ثقافية واجتماعية أعمق؟

لكن الجوهر من وراء هذا السيل البشري هو إحياء القيم والشعارات التي رفعها الحسين (ع) وأصحابه: "هيهات منا الذلة"؛ هذا النداء الذي يردّده الناس كثيراً يحمل رسالة مخيفة للعدو. أمريكا تريد إذلال المسلمين وإشعارهم بالهوان والضعف والحاجة إليها. "إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف فئة منهم"؛ هناك استضعاف، استضعاف للمسلمين، ولذلك الهدف هو تحرير الإنسان من هيمنة النفس ومن هيمنة الحكومات الباطلة التي تدعو للإباحية والذلة والهوان.

سؤال

أحسنتم سيدنا. كان الإمام الشهيد يؤكد كثيراً على إحياء مسيرة الأربعين؛ فما الذي كان يريد ترسيخه في وعي الناس عبر هذا التأكيد؟

التواجد الجماهيري لمختلف الفئات من أصقاع العالم ليست إسلاماً تقليدياً محصوراً في فروع عملية، بل هي رسالة الإسلام والقرآن وما جاء به الرسول وأمير المؤمنين وأهل بيته (ع). ولذلك نشاطنا هنا يتركز على التبليغ وتوعية الناس بمقدار الميسور.

سؤال

سيدنا، بخصوص زيارة الأربعين المليونية، التي حاول الطغاة محوها ولم يستطيعوا، ورغم أن السيد القائد لم يستطع المشاركة فيها جسدياً، إلا أنه كان الداعم الأبرز لها، فما هي أبرز توجيهاته لإحياء هذه الشعيرة؟

هذا التعبير الذي استخدمتموه يدل على أهمية الأربعين؛ فمحاربة الطغاة لهذه الشعيرة تعني أنها تحمل روح مقارعتهم، وتحرير الإنسان من قبضة

في مكان واحد يعد أمراً في غاية الأهمية.

إن الله يأمرنا أن نكون جميعاً: "واعتصموا بحبل الله جميعاً"؛ فكلمة "جميعاً" ليست مجرد صفة للمعتصمين، بل هي دعوة لاعتصام جماعي.

في الحقيقة، يهدف هذا التجمع أولاً إلى أن يغذي كل فرد صِلته بالله وبالناس، ويرسخ القيم في نفسه، ويدرك أنه لم يُخلق لهذه الدنيا، بل هي طريق للسعادة الأبدية. أضف إلى ذلك أن تفاعل الشعوب التي تجتمع في هذا المكان له بركات كبيرة.

سؤال

سيدنا، ما طبيعة العلاقة بين الإمام الشهيد وبين المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف، وسائر علماء ومراجع العراق والنجف خاصة؟

لقد كان الإمام الخامنئي يرى أن أهم كيان في مجال الدين والمذهب هو "كيان المرجعية". وهذا الكيان ممتد منذ زمن الأئمة (ع). كان اهتمام الإمام الخامنئي رضوان الله عليه بالحوزات العلمية اهتماماً بالغاً وعجيباً!

ولم يكتفِ (رض) بإيران؛ بل كان يوزع الرواتب على الطلاب هناك وأنشأ المدارس، كما أسس "جامعة المصطفى العالمية"، وهي جامعة حوزوية تنتشر مدارسها في أكثر من تسعين دولة، من أوروبا وأفريقيا وسائر الأماكن. أضف إلى ذلك أنه في عهده انتشرت المدارس العلمية في كافة المحافظات وحتى القرى داخل إيران.

سؤال

أحسنتم سيدنا. ما هي أبرز نصائح الإمام القائد لكم في كيفية التعامل مع بقية العلماء في العراق؟

كما ذكرت في بداية كلامي، أكد على رعاية المراجع، ولا سيما مراعاة أجواء النجف الأشرف، وأن تكون أعمالنا منسجمة معهم. أوصى باهتمام بليغ في التعامل مع المراجع جميعهم، والتردد عليهم والاستماع لكلماتهم. وواقعاً أنا أشكرهم شكراً جزيلاً، وهم بدورهم يقدّرون هذا المكتب ويحترمونه وهناك إقبال عليه، ولولا دعم مراجع وعلماء النجف وسائر العراق لما حظي مكتبنا بهذا الاهتمام والالتفاف، وأنا خادم صغير في هذا المجال.

سؤال

سيدنا، هل هناك قصة تصف لنا طبيعة العلاقة بين

السيد القائد ومراجع النجف الأشرف؟

كان دائماً متوجهاً بقلبه للمراجع، حتى داخل إيران؛ فأحياناً كان يساعد بعضهم عندما يطرأ نقص في ميزانية نشاطاتهم ومؤسساتهم، ويهتم بهذا الأمر كثيراً. ومن الأمور التي قام بها في إيران، أنه كلف شخصاً في مكان ما -لا أريد ذكره- بتفقد العلماء "المنسيين". فبعض العلماء في المحافظات تقدم بهم السن، وبعضهم لم يعد قادراً على التبليغ، فكان المندوب يذهب إليهم ويسأل عن أحوالهم، ويخصص لهم مبالغ كريمة للعيش بأسلوب محترم. كان يذهب لبيوتهم ويقدمها لهم؛ فالاهتمام بالعلماء والشخصيات نابع من روح الحوزة التي لا تباعد فيها. هؤلاء العلماء كانوا محترمين عند الناس لكنهم انعزلوا لسبب ما، فكان اهتمامه بهم وبسائر المراجع بليغاً جداً.

ومما كنا نلمسه في سماحة السيد، أنه كان يفكر في الأمور الجزئية جداً؛ فبينما ينشغل البعض بالأمور الكلية ويغفلون عن التفاصيل، كان هو (رض) ينظر لشؤون الجمهورية الإسلامية والعالم، ومع ذلك يهتم بالجزئيات ويوصي الناس بها في تعاملاتهم. لقد كان إنساناً؛ وهذا تعبير يُقال في حق رسول الله (ص) -مع فارق الشأن طبعاً- بأن مَن يراه لأول وهلة تهابه هيبته، ولكن بعد أن يستأنس به يحبه. وهكذا كان الإمام القائد؛ من لا يعرفه تأخذه هيبته في أول لقاء.

كان الإمام القائد متواضعاً جداً ويُستأنس به كإنسان عادي. فمثلاً، كنت آتي من "زاهدان" إلى طهران كثيراً، وأحياناً نذهب مساءً، وعند صلاة المغرب يفرشون سجادة في باحة البيت، فيصلي ونصلي خلفه -نحن خمسة إلى سبعة أشخاص من الموجودين- وأحياناً مع بعض ضيوفه، وبعد الصلاة يجلس ويطلب الشاي، فنشرب الشاي وكل واحد منا يدلي بما لديه من معلومات وأخبار، وكان يتبادل الحديث معنا بكل بساطة.

كان سماحته إنساناً يُستأنس به، واهتمامه بهذا الجانب بليغ جداً. أذكر مرة كنا في مجلس، وكان أحد أحفاده -وقد أصبح اليوم رجلاً- طفلاً صغيراً حينها، فلبس "نعالي" الأبيض الذي كان بجانب السجادة، وأخذ يمشي به بين المصلين بصوت مرتفع. بعد الصلاة، جلس سماحته (رض) وقال لي مبتسماً: "إن حفيدي تبرك بنعالكم". قلت له: "بل نعالي هو الذي تبرك

به". فأمر بأن يأتوا لي بنعلٍ جديد من عنده وأهداني إياه. احتفظت به لسنوات لأنه كان أكبر من مقاسي، وقلت في نفسي: "إذا رزقني الله ولداً وصار طالباً حوزوياً سأهديه إياه"، وبالفعل أهديته له لاحقاً.

نعم، كان يستأنس بالناس، وأحياناً يسأل عن أصدقاء شبابه الذين لم يرهم منذ سنين: "كيف حال فلان وفلان؟".

أذكر لكم قصة تعكس شمائله؛ حين كنت في "زاهدان"، رتبت موعداً لأربعين من علماء السنة والشيعة لزيارته في طهران. دعوت العلماء، ومن بينهم سيد محترم وعالم كان وكيلاً للسيد الشريعتمداري، وكان لتيار "حزب خلق" في أوائل الثورة موقف منه جعل بعض الشباب الثوريين يتحفظون عليه، لكنه ظل عالماً له مريدوه في منطقة سيستان.

دعوته للقاء القائد فوافق، لكنه لم يحضر للمطار في "زاهدان". ذهبنا إلى طهران والتقينا سماحة السيد، وكانت جلسة ممتعة ومازحنا فيها جميعاً. حين عدتُ، اتصلت بذلك العالم وسألته عن سبب غيابه، فقال بصراحة: كنت مطمئناً لسماحة السيد القائد، لكني خشيت أن ينظر إليّ بعض الشباب عند الدخول نظرة إهانة، فآثرت عدم المجيء.

مضى زمن، وجاء الإمام الخامنئي في زيارة لمحافظة "سيستان وبلوشستان" استمرت تسعة أيام. ذهبنا ليلةً بـ"خفاء" إلى مدينة "زابل" قبل الموعد المقرر للقاء الأهالي. أخلى إمام الجمعة بيته لينزل فيه سماحة السيد دون أن يعلم أحد بوجوده. كانت الساعة تقارب الحادية عشرة ليلاً، فذهبنا لزيارة بيوت الشهداء في أزقة "زابل"، وهي من أفقر مناطق الحدود مع أفغانستان. هناك، استأنس به الأطفال الصغار، فصار يسأل عن أسمائهم ويهديهم الهدايا كأنه واحد من أهلهم. ورغم أن يده (المصابة) لا تعمل، إلا أنه كان يأخذ قطع الحلوى ويضعها في أفواههم، ففرحوا به كثيراً.

كان الحرس قد قطعوا خطوط الهاتف لضرورات، فلم يعرف أهل المدينة أن السيد يتجول في أحيائهم الفقيرة. هذه هي سيرته؛ يمزح مع الشباب والأطفال كإنسان عادي، يرى نفسه خادماً بلا تكبر.

بعدها، حين أقيم اللقاء العام في "زابل"، أرسل سماحة السيد بطلب ذلك العالم الذي خشي الحضور في طهران، وأجلسه بجانبه ورحب به وسأل عن أحواله وإخوته. وطوال فترة بقائه في "سيستان"، كان هذا السيد يرافقه ويجلس بجانبه؛ فتلطف به حتى استمال قلوب كل محبيه وأزال ما كان في نفوس الناس من ضغائن.

وهناك قصة أخرى؛ أحد الأفراد ممن اعتقلوا - اعتقلته وزارة الأمن - . كان مأمور تعذيب في السجن قبل الثورة، وقد لطم وجه سماحة السيد

حين كان سجيناً. عندما علم السيد القائد باعتقاله، أمر بأن يأتوا به إليه. حين حضر، استقبله السيد بالترحاب وقبّله واحتضنه، ثم قال له: "أي شيء تحتاجه، اتصل بي وأنا في خدمتكم". لم يوبخه أو يذكره بما فعل، بل تعامل معه بكل مودة.

سؤال

أحسنتم سماحة السيد. ننتقل إن شاء الله إلى محور آخر. من الأمور التي أرى ضرورة ذكرها، هي محاولات بعض الأعداء تشويه سمعة الإمام الخامنئي والآن السيد مجتبى، عبر ترويج أكاذيب غريبة عن حياتهم؛ في حين أن معيشتهم في أدنى مستوياتها، ليس كمتوسط الناس بل أقل، هكذا كانوا يعيشون.

نقل أحد العاملين في مكتبه قصةً قال فيها: "كان في بيتي طباخ (موقد غاز) قديم منذ زمن زواجي، وقد اهترأ تماماً فأخذوه للإصلاح. رآه أحد ضباط الحرس الثوري فاعتبره غير لائق، فاشترى لي طباخاً جديداً ووضعه في بيتي. حين عاد الإمام ورآه سأل: ما هذا؟ قالوا: أهداه لنا فلان. فأجاب: خذوه وأعيدوا موقدي القديم". لم يكن في بيته الخاص إلا قطعة سجاد واحدة تعود لزمن زواجه، وطعامهم زاهد جداً؛ يعيش كعامة الناس أو أدنى، حتى في السفر. حين زار "زاهدان"، كان يأكل مع الطباخين والناس مما يُوزع، وطعامهم غالباً أرزٌ مع مرق "القيمة" أو "السبزي" (مرق الخضار).

ولأننا كنا في "زاهدان"، ونعرف طبيعة البلوش والعشائر واهتمامهم بتقديم اللحم في ضيافاتهم، اقترحنا على المسؤولين زيادة قطع اللحم في "القيمة" هذه المرة، لأن الجلسة ستضم رؤوس العشائر المعتادين على الكرم في الطعام، فطلبنا أن يكون "أرزاً ولحماً". قال المسؤول: "سيعاتبنا السيد لاحقاً"، فقلنا: "لا إن شاء الله"، وفعلنا ذلك ليظهر الطعام بشكل أفضل قليلاً أمام الضيوف. هذه هي حقيقة معيشته

سؤال

سيدنا، بخصوص مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية، ما هي رؤية الإمام ونظرته إلى هذه المسألة؟ خصوصاً أن شعب العراق والشعب السوري شعبان معروفان بتعدد المذاهب والطوائف المختلفة فيهما، فما هي نظرة الإمام إلى هذه المسألة في هذين البلدين؟

على وجه التحقيق، إن الإمام الخامنئي (رضوان الله عليه) سيرته هي سيرة الإمام الخميني (رضوان الله

عليه)، فقد كانا ينظران إلى المسلمين جميعهم نظر الإخوة. الإمام الخميني من أول الأمر في داخل إيران أكد هذا الشيء، ففي كردستان في زمن الطاغوت كان الناس هناك ينظمون مسيرات ويقولون: "سواء شيعي وسني، قائدنا خميني". ولذلك بعد انتشار الثورة الإسلامية ما استطاعوا أن يأخذوا من أرض إيران شبراً واحداً، بما أن السنة كانوا يدافعون، وكثير منهم استشهدوا؛ فشهداء السنة من الأكراد ومن البلوش ومن غيرهم كثر، واحترامهم هو الثابت نفسه وجعل وكيلاً خاصاً له في مكان سيستان وبلوشستان، وبعد أن ذهبتُ عندهم لسبع سنوات كنتُ ممثله، فعند ذلك كان سعينا هو تأكيده على رعاية هؤلاء ورعاية مدارسهم العلمية، فكنا نحن ندعمها. وفي المدارس كانت بعض المناهج غير مناسبة، جاءت من باكستان وأمثال ذلك، فألغيناها بإرادتهم بعد أن شاورناهم، وكنا نجعل لهم أئمة الجمعة؛ فكان تقريباً في المحافظة أكثر من مئتي إمام جمعة سني كانوا تحت رعايتنا رعاية أبوية وخيرية.

ولذلك يوجد في مجلس الخبراء سني مثلاً من محافظة سيستان وبلوشستان، حيث كان العدد الأكبر يحتاج إلى نائبين، وهذه المرة النائبان كلاهما من السنة وهما الآن في مجلس الخبراء، يعني لا يفرقون أبداً.

وفي مجلس الشورى الإسلامي كذلك لا فرق بين السني والشيعي، وبالعكس، فقد صار هذا سبباً في أن يشعروا بأنهم منا ونحن منهم. ولذلك أنا ممن يؤكدون أن المثلث الذي يتحدثون عنه في العراق دائماً (سني وشيعي وكردي) هو مثلث أمريكي، إذ لا فرق بين الكردي والعربي؛ فالأكراد أصدقاؤنا وأحبتنا، والسنة كذلك أحبتنا، هم منا ونحن منهم، وهم مهتمون بأهل البيت عليهم السلام؛ فالسنة يحبون أهل البيت كثيراً. نعم، بعض المتشددين الجهلاء من جهلهم أحياناً يظهرون الاستياء من أهل البيت، وإلا فإن من كان دينهم هكذا يرون حب أهل البيت ضرورة من ضرورات الدين، وآيات القرآن تقول بذلك.

لذا أرى أن العراق لا يمكن حفظه قوياً ومنيعاً إلا بأن يكون هناك تواد وتآخٍ بين الشيعة والسنة، لا التنافس بقول: نحن كذا وأنتم كذا.

ومن كان يهين من بعض الشباب الجهلة، فإنه لا يجوز له إهانة رموز أهل السنة، وهذه فتوى، وغيره كذلك من بعض المراجع، مثل المرحوم السيد ميرزا حسن الشيرازي رضوان الله عليه، الذي كان يعيش في سامراء حيث أهلها سنة، وهو الذي أفتى في قضية التنباك، وكان الشيعة يحبونه كثيراً ويأتون إلى بابه.

سؤال

أحسنتم سيدنا. بخصوص الدولة العراقية، كيف كان نظر الإمام إلى سيادة هذه الدولة؟ وهل كان داعماً لهذه الحكومة وللشعب؟

لم يكن الإمام الخامنئي يتدخل في صغريات الأمور، ولا كان يرى المصلحة في ذلك. فأي دولة قائمة، كنا نقول إننا إذا أردنا الاستئناس بالناس فلا يكون ذلك عبر الحكومة فحسب؛ ولذلك فإن الحكومات التي تأتي إلى إيران تحترم رئيس الجمهورية، ورؤساء الجمهوريات حين يأتون يُجلّهم ويحترمهم لأنهم رمز لبلادهم، لكن ليس معنى ذلك بالضرورة أنه راضٍ عن كل أفعالهم.

كذلك بالنسبة إلى العراق؛ كان تأكيده أن تعاملنا مع الدولة يجب أن يكون تعاملاً جيداً، وهذا أمر ضروري، لكن ليس معنى ذلك أن أراه صالحاً من الجهات كافة؛ فلدينا عيوب، وعندهم أيضاً عيوب من جهات عدة.

كما أنني أقول إن عدونا أمريكا تريد إيقاع الخلاف بين الشعب والدولة؛ لكي نتعارك في ما بيننا ويصير

بأسنا بيننا (نستجير بالله). نحن نوجه سلاحنا كله نحو عدونا أمريكا والصهاينة، لا نحو دولتنا. وإذا كان عامة الناس وراء الدولة يطالبونها بحقوقهم، فقد كان الإمام الخامنئي يقول مراراً للشعب الإيراني: "عليكم أن تطالبوا الدولة بما تريدون، وبما فيه مصلحة البلد لكي يعملوا". حتى إنه قال مرة أو أكثر: "أنتم اطلبوا مني ما تريدون"؛ ومعناه أن الشعب إذا كان خلف الدولة وطلب منها إخراج المحتل من البلد عبر مسيرات سلمية وناصحة -لا بمحاربة الدولة بل بدعمها- فإن الدولة ستسير في هذا الاتجاه.

KHAMENEI.IR

KHAMENEI.IR

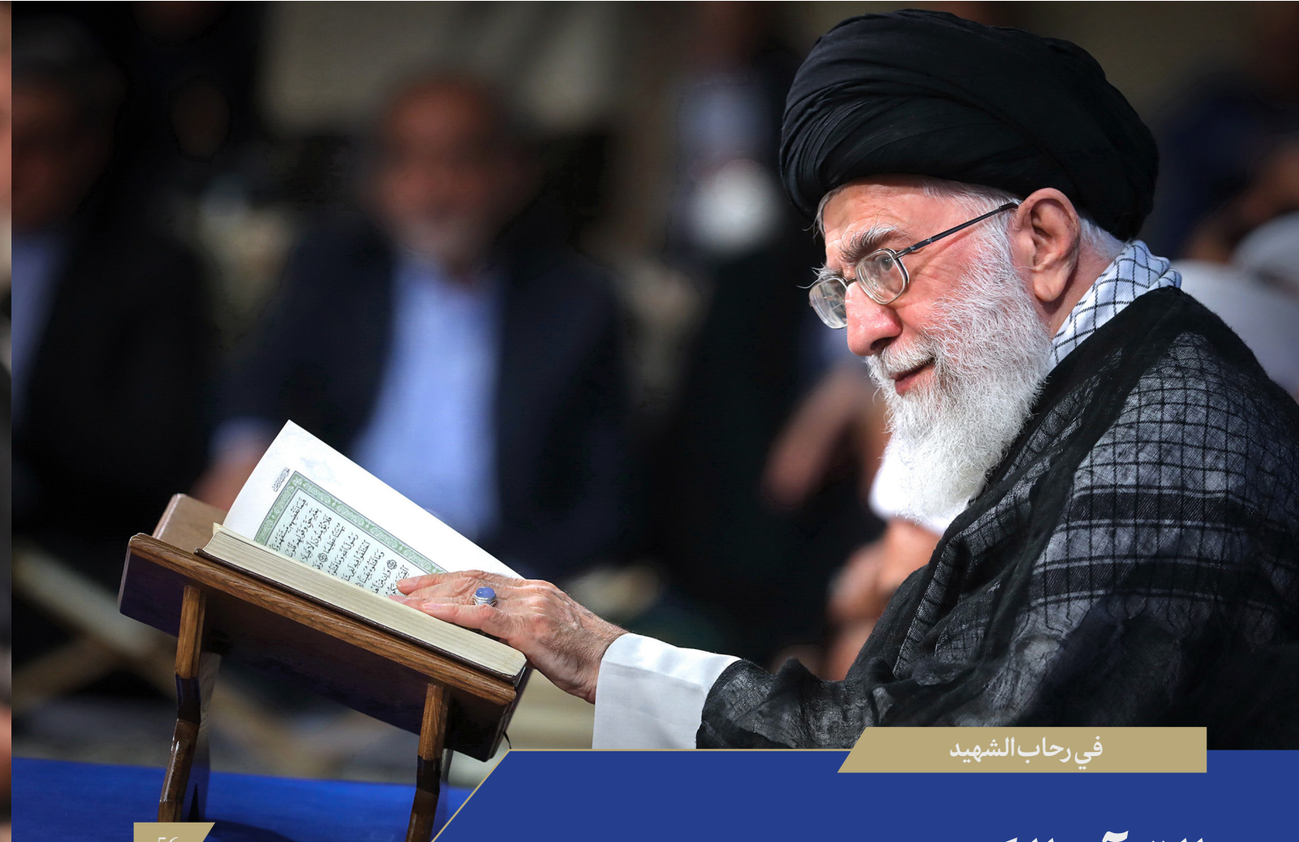

القرآن الكريم

القرآن هو معجزة النبي، وبما أن هذا النبي هو خاتم الأنبياء (ص) ودينه أبدي، فلا بد أن تكون معجزته أبدية أيضاً. وهذا يعني أنك في أي حقبة من تاريخ البشرية الطويل وإلى ما شاء الله – أي للأبد – وفي كل عصر، يجب أن تكون قادراً على استنباط المعارف التي تحتاجها لحياتك من القرآن؛ والحياة هنا بمعناها الواسع الشامل: الحياة المعنوية، الحياة الإلهية المتعالية، الحياة المادية، الأسرة، الحكومة، العلاقات الاجتماعية، وصولاً إلى الاتصال بالله المتعالي؛ فالقرآن لا بدّ أن يستطيع، وهو يستطيع فعلاً، الإجابة عن تساؤلاتكم في هذا النطاق الواسع كله، والهداية إلى المعارف الإلهية السامية. إن القرآن قادر على تقديم أرقى المفاهيم المتعلقة بحياة الإنسان لنا، وهو أمر يتحقق بطبيعة الحال عبر التعلم والتفقه (2022/04/03). القرآن أثر فني منقطع النظير، أي إن جانباً من عظمة القرآن وأهميته يكمن في جماله الفني؛ والمصادفة أن أول ما جذب القلوب نحو الإسلام كالمغناطيس كان هذا الجانب الفني للقرآن. لقد كان العرب يفهمون موسيقى الألفاظ ويألفون لغة الأدب – هكذا كان الحال في تلك البيئة العربية – وفجأة وجدوا أنفسهم أمام ظاهرة لم يسمعوا بمثلها قط؛ فهي ليست شعراً ولا نثراً، بل ظاهرة فنية استثنائية. وهذا هو بالضبط ما عناه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «ظاهِرُهُ أَنِيقٌ وَباطِنُهُ عَمِيقٌ»؛ و«الأنيق» هو ذلك الجمال المذهل الذي يقف الإنسان أمامه في حالة من الحيرة والذهول؛ هكذا هو الجمال في القرآن. حين يأنس الإنسان بالقرآن، ويكثر من تلاوته والاستماع إليه، حينها يدرك – بعيداً عن الجانب المعنوي – مدى بلاغة هذه اللغة وهذه الجمل ومدى جمالها (2019/05/06). إن حياة الأمم والشعوب تكمن في التعرف على معارف القرآن والعمل بمقتضاها وبالأحكام القرآنية. فالبشر

إذا كانوا ينشدون العدالة ويأبون الظلم، فعليهم أن يتعلموا سبل مقارعة الظلم من القرآن (2011/08/02). العالم اليوم بحاجة إلى القرآن؛ فهو يعيش اليوم في فراغ الهوية، وفراغ الفكر، وفراغ الإيمان. وما ترونه من تزايد القتل والجريمة في الدول الغربية يوماً بعد يوم، إنما يعود لهذا السبب، أو هو أحد أسبابه؛ وكذلك تزايد حالات الانتحار. لم يعد لدى البشر بضاعة يقدمونها لإقناع عقول وقلوب وأرواح الناس؛ يتحدثون وينسجون الأفكار، لكنها لا تجد قبولاً في قلوب الناس. أما القرآن فبلى، لو أُرسِل رشح من رشحاته – ليس القرآن كله بل مجرد رشح واحد – ببيان يتناسب مع لغة العصر، لجذبت القلوب؛ ونحن نلمس هذا بأنفسنا اليوم، فالبشرية محتاجة للقرآن (2016/06/07). علينا فهم القرآن؛ فنحن بعيدون عنه، ومن هذا البعد يستفيد العدو. انظروا إلى الحكومات الإسلامية، والدول الإسلامية، وانظروا إلى حالهم أمام أمريكا والصهيونية وأمام العدو والنهابين! هذا كله ناتج عن البعد عن القرآن. لو اقتربنا من القرآن، لملئت كل هذه الفجوات، ولسُدّت كل هذه الثغرات، ولأثبتت الهوية الإسلامية وجودها في مواجهة هوية الكفر. هذا هو معنى قولنا إننا لو عملنا بالقرآن لاستقامت الحياة (2017/04/27).

الشهيد الخامنئي والقرآن الكريم

عبد الكريم بهجت بور، مفسّر القرآن الكريم وعضو الهيئة العلمية في معهد الثقافة والفكر الإسلامي

KHAMENEI.IR

المدخل

في أيام الحزن والأسى إثر شهادة الإمام الشهيد، المظلوم المقتدر، أي آية الله العظمى السيّد علي الخامنئي، تُكتب هذه المقالة بهدف بيان جانبٍ من دور القرآن في تكوين شخصية سماحته، وفي حياته السياسية والاجتماعية، وفي قيادة ذلك الراحل العظيم الشأن. ونأمل أن يُحشر سماحته، الذي عاش مع القرآن حتى آخر لحظة من حياته الظاهرية، واستمدّ الاستقامة من القرآن، ودعا شعبه إلى الاستقامة القرآنية، وأظهر هذه المقاومة بقبضته المعقودة عند الشهادة، مع القرآن، وأن يتّخذ مسكنًا في المقام الرفيع لحَمَلة القرآن في جنة الرضوان.

مكانة الشهيد الراحل في تفسير القرآن

إنّ المطالبات الخارجية، والأسئلة أو الشبهات المتراكمة التي تُطرح أحيانًا حول الإسلام وكرامة القرآن، تجعل مقاربة المفسّر في مواضع متعدّدة من القرآن متوجّهةً إلى الإجابة عن هذه الأسئلة أو دفع هذه الشبهات؛ لكنّ تفسير القرآن وفهم معارفه الدقيقة ليسا ثمرةً للأمور الخارجة عن المفسّر وحدها؛ إلى جانب ذلك، فإنّ إدراك المفسّر، وروحيته، وحياته الثقافية، وحضوره الفطن في الأحداث العلمية والاجتماعية والسياسية، تؤثّر كثيرًا في استنباطه من القرآن، وفي ظهور الفهم الصحيح والدقيق للآيات على لسانه وقلمه وفي عمله. كما أنّ الروحية الثورية للإمام الشهيد، والتجارب المتحصّلة من انتصار الثورة الإسلامية في إيران، والتحوّلات السياسية الناشئة عنها، قد تركت تأثيرًا كبيرًا في كلمات قائد الثورة الإسلامية وآثاره القرآنية. وهذا التأثير ظاهرٌ تمامًا في ثنايا تفاسير آيات القرآن من سورة التوبة، في فترة النضال في مشهد، إلى

KHAMENEI.IR

تدريس بعض السور في المجلّد 28 من القرآن إبّان رئاسة الجمهورية، ثمّ تدريس سورتي الحمد وجزءٍ من سورة البقرة في بداية القيادة منذ عام 1989، وفي المستندات القرآنية لمواقف سماحته في مقام قيادة النظام وتدبير شؤون أمة الإسلام.

لقد أوجد العلم العميق بالعلوم الإسلامية، والحضور الفطن، والتنقّل الذهني لسماحته بين ميادين العمل والقرآن، في المراحل المختلفة لتأسيس جمهورية إيران الإسلامية وتشكّلها وتثبيتها، وكذلك مسؤولياته في المستويات العليا التشريعية والتنفيذية والإدارية، معارفَ بالغة القيمة مستفادةً من القرآن، دعت المفسّرين والباحثين إلى مائدة معرفته التفسيرية، وحفّزت مديري البلاد على ضرورة الإفادة من هذه المكتشفات.

واللافت أنّ سماحته يبيّن أيضًا مواقف مؤسّس الجمهورية الإسلامية من هذا المنظار؛ فسماحته يرى أنّ السيادة الشعبية في فكر الإمام الخميني (قدّس سرّه) ليست متأثّرة بالديمقراطية الغربية؛ بل إنّ جذورها تمتدّ في صلب الدين وفي آياتٍ مثل: {وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ} و{هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}.

وقد أشار سماحته إلى العلاقة بين الميدان والقرآن، وإلى دور معلومات المفسّر، وتجاربه، وحضوره في نظام الجمهورية الإسلامية، واصطفاف الأعداء في مواجهتها.

KHAMENEI.IR

المقاربة الاجتماعية للتفسير

إنّ دراسة الآثار التفسيرية لقائد الثورة الإسلامية الشهيد توضّح أنّ الأبعاد الاجتماعية للقرآن، وحضور التوحيد في الساحات الاجتماعية، كانا يحظيان بأهمية كبيرة جدًا عند سماحته. وبعبارة أوضح، تُعرف مقاربته في التفسير بأنّها مقاربة اجتماعية. ومن هنا، فقد ركّز في تفسير سور القرآن الكريم، في البداية، على السور المفعمة بالمباحث الاجتماعية. ويرى سماحته أنّ سبب شروعه في تفسير سور الجزء الثامن والعشرين من القرآن في فترة رئاسة الجمهورية (عقد الثمانينيات من القرن الماضي) هو هذا الجانب الاجتماعي فيها، وانطباقه على الظروف العامة للبلاد. وقد عدّ، في مستهلّ تفسير سورة المنافقون في بداية الجزء الثامن والعشرين من القرآن، أنّ علّة اختيار هذه السورة وسائر سور هذا الجزء هي كون أغلب سوره مدنية. وبرأيه، فإنّ هذه السور تحظى بالأهمية لأنّها ترتبط بما بعد تشكيل الحكومة الإسلامية، أي بما يشبه وضعنا الراهن. وبرأيه، فإنّ قضايا المنافقين والنفاق، والعدالة الاجتماعية، والحكومة، والنضال في جبهات الحرب، وعشرات المسائل من هذا القبيل، هي من القضايا الأساسية بعد تشكيل الحكومة، وهذه هي نفسها المسائل التي جرى تناولها أكثر في السور المدنية.

KHAMENEI.IR

المنهج التفسيري (مزيج من التفسير والتدبّر والتطبيق)

النقطة المهمّة هي أنّ سماحته لا يكتفي في تفسير آيات القرآن بكشف إبهامات الآيات، بل يُكمل إزالة الإبهام عن كلام الله بعملين آخرين هما التدبّر والتطبيق على المصاديق. فالتفسير هو رفع الإبهام عن كلمات القرآن وعباراته. وأكثر المفسّرين يسعون، في البداية، إلى إزالة ما يطرأ على ألفاظ القرآن من إبهام. ثمّ بعد ذلك، إذا اقتضت إزالة الإبهام دفعَ الشبهات عن الألفاظ والعبارات، وكان ظاهر الآية - مثلًا - يُحدث شبهة تجسيم الله سبحانه، فإنّهم يعمدون إلى دفع هذه الشبهة. وفي النهاية، يسعون إلى شرح المقصود والهدف الحكيم لله سبحانه من الآية. والمفسّرون، بعد عبور هذه المراحل الثلاث، يرون أنفسهم قد وُفّقوا في كشف المراد الجدّي لله المتعالي من الآية، ثمّ يُقدِمون على ترجمةٍ مستفادة من هذه المراحل الثلاث.

يُقدِم عددٌ قليل من المفسّرين، استكمالًا لفائدة التفسير، على التدبّر في الآيات. والتدبّر هو متابعة الفهم وتعميق المعرفة المتحصّلة من آيات القرآن. فعندما تتّضح حقيقةٌ ما عبر الآيات، يتابع المفسّر هذا الفهم، وعبر تقييمه له، يستخرج اللوازم العلمية والعملية لهذا الفهم، والالتزامات التي تترتّب عليه. ولعلّ الفرق بين التفاسير القديمة، مثل «جامع البيان» و«مجمع البيان»، وبعض التفاسير العصرية، مثل تفسير «من هدى القرآن»، يُبيّن هذا الأمر. وفي تفسير قائد الثورة الإسلامية، يتجلّى فيض التدبّرات بوضوح تامّ.

والخطوة الثالثة التي توسّع دائرة الفهم وإفادة المفسّر من القرآن، هي أن يجعل الآيات تجري

KHAMENEI.IR

من الأشخاص والمجتمعات الأُوَل الذين حكمت الآيات بشأنهم، إلى الأشخاص والجماعات الذين يأتون بعدهم ويقومون بسلوكٍ مشابه لسلوكهم. ويُسمّى هذا التوسّع، في الاصطلاح، «الجري والتطبيق». كما نشهد الجري والتطبيق لآيات القرآن في بعض التفاسير الروائية، وفي موارد قليلة من التفاسير الاجتماعية. وتفسير الشهيد الخامنئي مفعمٌ كلّه بالالتفات إلى تطبيقات الآيات على الظروف الراهنة، وبنقل فهم المخاطب من الرواية التاريخية للقرآن إلى الظروف والأوضاع المعاصرة، وإلى الأشخاص والجماعات الشعبية الحاضرة في عصره ومصره التفسيري.

إنّ الإمام الخامنئي الشهيد، عبر إجرائه الآيات على الظروف الاجتماعية والسياسية التي نعيش فيها، يُدخل القرآن إلى صلب الحياة الراهنة للمجتمع. كما أنّه، عبر إجرائه الآيات من مرحلة نزول القرآن إلى عصر إيران ومصرها، وإلى العالم الإسلامي، وتيار الاستكبار العالمي، والمذاهب الماركسية، والثورة الإسلامية في إيران، يستخرج قوانين عامّة أخرى تفتح أمام المخاطب بابًا واسعًا من المعارف القرآنية.

النماذج:

إنّ الإمام آية الله العظمى السيد الخامنئي (قدّس الله نفسه الزكية)، بعد تفسير الآيات، وفي مقام تبيين مجملات الآيات في قالبَي التدبّر والتطبيق، قد طرح مواضيع في تدبّر الآيات وتطبيقها، ونكتفي - للتعرّف إلى منهجه - بعرض بضعة نماذج:

النموذج الأوّل (سورة الحمد، الآية 5) {إِيَّاكَ نَعْبُدُ...}

أ. التدبّر في الآية

يطرح سماحته، في البداية، مباحث تدبّرية عدّة على هذا النحو: الفرق بين أنواع عبودية الإنسان الحسنة وأنواع عبوديته السيّئة. إنّ العبودية بالخصال الحسنة، كأن يكون الإنسان في أسر العلم، والصفاء، والطهارة، والنور، وما شابه ذلك، هي عبودية لله. وإنّ العبودية لغير الله، كالقوى الظالمة وهوى النفس، تُورث الإنسان ذلًّا. وخطأ توصيف علاقة الله بالإنسان على أنّها علاقة الأب بالابن بدلًا من علاقة العبد بالمولى. وعدم إمكان الجمع بين عبودية الله وعبودية الآخرين. وعبودية الله تعني عبودية الفضيلة. ومن الفصول الأساسية في القرآن ألّا يُعبد غير الله.

ب. التطبيق

ثمّ ينتقل إلى تطبيقات هذه الآية في العصر الحديث، فيذكر ما يلي:

ألف. يعتبر أنّ معاناة الشعب العراقي، الذي تتساقط عليه القنابل الأمريكية، تعود إلى هوى النفس لدى

صدّام، وشهوته التي تسوقه إلى السلطة، وطمعه في الثروة السهلة الناتجة عن نفط الكويت.
كما يفسّر مهادنة بعض الدول للولايات المتحدة وحلف الناتو ضمن إطار السعي وراء الأهواء الشخصية وضمان بقاء الحكم الفردي.
ويرى أنّ غياب روح الحرية في اتخاذ مواقف سياسية صحيحة في مواجهة القوة الظالمة للولايات المتحدة إنّما يرجع إلى ارتهان بعض القادة السياسيين في العالم للسلطة، ويحلّل أنّ جميع هذه الحالات تعود في حقيقتها إلى الوقوع في أسر الأهواء.
كما يحلّل أوضاع شعوب أمريكا الجنوبية واللاتينية، فيرى أنّ عدم تحرّرها من أسر الطواغيت وعدم مواجهتهم - على الرغم من إدراكها الثوري - يعود إلى خضوع غالبية تلك الشعوب لأهوائها، وانشغالها بالراحة والترفيه وشرب الجعة وما شابه. وبالنظر إلى هذه المظاهر من الانحطاط، يرى أنّ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» هو سبيل النجاة من مذلّة عبادة النفس والهوى والشهوات.

النموذج الثاني (سورة الحشر، الآيات 4-2)

«هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»

أ. التدبّر في الآية
1. «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ»؛ وبالاستناد إلى هذا المقطع من الآية، يستنتج أنّ اليهود ما داموا لم يتعرّضوا للإسلام وكانوا منعزلين ومحايدين، لم يدخل الله تعالى ورسول الله في مواجهةٍ معهم؛ أمّا عندما تحالفوا مع المشركين وشرعوا في الإيذاء والمكر، فقد بادر صلوات الله عليه إلى التصدّي لهم.
2. كما يقدّم سماحته، في قراءةٍ تدبّرية لهذه الآيات، تحليلاً لدوافع الأعمال الإيذائية لدى اليهود، فيرى أنّهم كانوا ينتظرون أن تُسلَّم إليهم الأمور بعد أن ينجح النبي (ص) في مهمّته، لأنّه في البداية لم يكن يمتلك عددًا ولا عُدّة؛ لكن بعد ظهور الدعوة الإسلامية، رأوا أنّ النبي (ص) استطاع أن يُنشئ من هؤلاء الناس البسطاء غير المتعلمين جيشًا وأتباعًا ومؤمنين وقوةً، ففاتتهم الفرصة؛ ومن هنا دخلوا في مرحلة الشقاق والصراع والإيذاء.

ب. التطبيق
إذا كان يهود صدر الإسلام ينتظرون أن يمسكوا بزمام أمور الإسلام بعد انتصاره، فإنّ ما يُسمّى بمثقّفي زماننا كانوا أيضًا يظنّون أنّه حين تنتصر الثورة الإسلاميّة، فإنّها ستقع في قبضتهم في النهاية، وأنّ هذه الجماهير وعامّة الناس وأنصارها وأفكارهم سيزولون تلقائيًا، ويتركون إدارة الثورة لهم؛ وأنّ الثورة ملكٌ

KHAMENEI.IR

لهم، وأنّ الناس ليسوا بشيء. ولذلك جلسوا جانبًا يراقبون، ولم يتدخّلوا في شيء، ولم يعرّضوا أنفسهم للخطر، ليقوم هؤلاء الناس- كالجرافة - بتهيئة الأرضيّة، ثمّ يأتي أولئك السادة ليشيّدوا البناء الذي يريدونه على هواهم.

وكما كان أولئك اليهود ينتظرون أن يأتي النبي (ص) فتقوم الثورة، ثمّ يتنحّى هؤلاء الأميّون من أهل يثرب، والكفّار والمشركون غير المثقّفين، لتؤول الثورة والدين والرسالة إلى أيديهم، كذلك كانوا يعيشون بهذه الأوهام والأحلام الواهية.

ويرى سماحته، في ما يتعلّق بصراع الثورة مع بعض المثقّفين بعد انتصارها، أنّ هؤلاء كانوا ينتظرون الفرصة للسيطرة على الثورة؛ لكن عندما رأوا أنّ الثورة قد كوّنت قوّتها ووجدت قاعدتها، دخلوا في مرحلة المواجهة والمكر تجاهها، وتحالفوا مع المنافقين والأعداء الخارجيين؛ ولم يكن بوسع الثورة أن تُبقي أفعى في كمّها، ولذلك اضطُرّت إلى مواجهتهم.

النموذج الثالث (سورة الممتحنة، الآية 1)

«يَـآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ»

الف. التدبّر في الآية:

1. يتوجّه هنا إلى التدبّر في معنى عداوة الكفّار المكيّين للمؤمنين، ويُوضّح أن لا إشكال في إقامة علاقة أو مودّة مع من لا يقبل معتقداتنا، ما دام لا يُخاصم المؤمنين بسببها ولا يُعاديهم؛ أمّا إذا كان يعادي المسلمين بسبب معتقداتهم، فإنّ الله قد نهى عن موالاة هذا الصنف من الأعداء.

2. ويُفهم من التدبّر في الآية أنّ بعض المؤمنين - على الرغم من خيانتهم - يبقون على إيمانهم. ومثال ذلك حاطب بن أبي بلتعة، الذي كتب إلى الكفّار - بدافع تأمين أسرته في مكّة - يُطلعهم على عزم جيش الإسلام على قتالهم؛ ومع ذلك، لم يصفه النبيّ (ص)، بعد كشف رسالته، بالكفر أو النفاق. وذلك لأنّ بعض الناس قد يقعون في الخيانة بدافع الجهل أو السذاجة أو ما شابه، فيُسرّبون المعلومات إلى العدوّ من دون أن يُحدث ذلك خللًا في أصل إيمانهم.

ب. التطبيق

1. من تطبيقات هذه الآية وضع الجمهورية الإسلامية، إذ لها أعداء يعادونها بسبب معتقدات الشعب الإيمانية والثورية؛ في حين أنّ هناك دولًا كثيرة، رغم عدم إيمانها بهذه المعتقدات، لا تعادي الثورة. فهؤلاء لا ينبغي عدّهم ضمن الأعداء، ولا قطع العلاقة معهم.

2. التطبيق الثاني يتعلّق ببعض القوى الثورية التي تتفوّه أحيانًا بما لا ينبغي قوله وفي غير موضعه. فهذه الفئة من الثوريين تُسيء إلى الثورة وتخونها، من دون أن تخرج عن كونها ثورية ومؤمنة؛ إذ تنقل معلومات - مثل موعد تنفيذ العملية - إلى جهاتٍ لا ينبغي إبلاغها، وبذلك تُلحق الضرر بالثورة. وهذا يُعدّ من أبرز تطبيقات الآية الأولى من سورة الممتحنة.

KHAMENEI.IR

الخلاصة

من خصائص وأبعاد التربية لدى النبيّ محمد (ص) أنّه كان يتلو آيات القرآن الكريم على الناس تبعًا للأحداث المتنوّعة التي كانت تقع في مجتمع عصر النزول؛ وهذا الأسلوب التربوي، إلى جانب إظهاره لحيويّة القرآن الكريم وفاعليّته وشموليّته، كان يجعل عقول الناس وأرواحهم تخضع لتربيةٍ عميقة ومؤثّرة بالقرآن الكريم؛ ولا سيّما أنّهم كانوا يستمعون إلى الآيات بما يتناسب مع الوقائع التي يعيشونها، الأمر الذي يُدخلهم في صلب فهم آيات القرآن. ويُعدّ الإمام الشهيد آية الله السيد الخامنئي (رضوان الله تعالى عليه) من القلائل بين مفسّري القرآن الذين استطاعوا - بحكم موقعهم السياسي وزعامتهم للأمّة الإسلامية - أن يعملوا بهذه السيرة النبوية، وأن يقدّموا القرآن الكريم للناس لا في إطارٍ ذهنيٍّ محض، بل في تفاعلٍ مباشر مع الأحداث التاريخية والاجتماعية المعاصرة. وهذه المنهجية، التي نتجت عن امتزاجٍ ثلاثيّ بين الفهم العميق للإمام الشهيد لأسس العلوم الإسلامية والقرآنية، وسلوكه وحياته القرآنية، وتجاربه التاريخية والنضالية خلال مسار النهضة الإسلامية، تُقدّم نموذجًا فريدًا لفاعلية القرآن وحضوره الحيّ في صلب التحوّلات الاجتماعية، وتُظهر إمكانيّة إعادة قراءة أحداث الثورة الإسلامية على ضوء القرآن الكريم، وهو أمرٌ قلّما يُعثر عليه في تفاسير أخرى.

KHAMENEI.IR

KHAMENEI.IR

المرأة والأسرة

إنّ القرآن الكريم، حين يريد أن يذكر نموذجًا للإنسان المؤمن، لا يذكره من بين الرجال؛ بل يذكره من بين النساء. 1997/3/11. هناك امرأتان جعلهما الله المتعالي نموذجًا وقدوةً لجميع البشرية، لا للنساء فقط؛ بل للنساء والرجال. 2024/12/22. أي إنّه في ساحة الإنسانية والتكامل المعنوي، حين يريد الله المتعالي أن يبيّن نموذجًا ممتازًا، لا يتحدث عن الأنبياء ولا عن الرجال العظماء ولا عن الشخصيات العلمية والدينية؛ بل يطرح امرأتين، إحداهما امرأة فرعون... والمرأة الأخرى هي مريم، أمّ عيسى وابنة عمران. 1997/3/11. فهل أراد الله المتعالي أن ينحاز إلى النساء؛ أم إنّ القضية شيء آخر؟ 1991/12/25. القضية هي أنّ هذه المرأة بلغت في ذروة الحركة المعنوية مقامًا لا يمكن أن يُضرب المثال إلّا بها لا غير. 1991/12/25. كان يمكن أن يختار رجلًا. لكن لا، فهذا في مواجهة تلك النظرة المنحرفة والخاطئة التي كانت سائدة تجاه النساء. 2009/10/20. إنّ الإسلام، في هذه الآيات، يحطم صنم التمركز حول الرجل، ذلك الصنم الذي كان يُعبد في الجاهليات دائمًا على أيدي الرجال، بل وحتى على أيدي النساء. 2000/9/21. أي إنّه، في مقابل الحضارة الغربية تمامًا التي تجعل الرجل نموذجًا، يجعل القرآن المرأة نموذجًا؛ لا للنساء فقط، بل لجميع الناس؛ سواء في ميدان الكفر أو في ميدان الإيمان. 2023/1/4.

نحن، في قضية المرأة، أصحاب دعوى على الغرب؛ نحن من نتهم الغرب؛ فهم الذين يظلمون المرأة، ويحتقرونها، ويخفضون مكانتها. 2011/5/22. وهناك جانب آخر أيضًا، وهو تحويل المرأة إلى وسيلة سهلة لتلذذ الرجل جنسيًّا، سواء كان التلذذ البصري أو المراحل الأسوأ والأبعد من التلذذ البصري. 2013/5/11. إنّ السياسة الاستراتيجية الأساسية والبنيوية للغرب قائمة على جعل المرأة معروضةً ومبتذلةً. 2011/5/22.

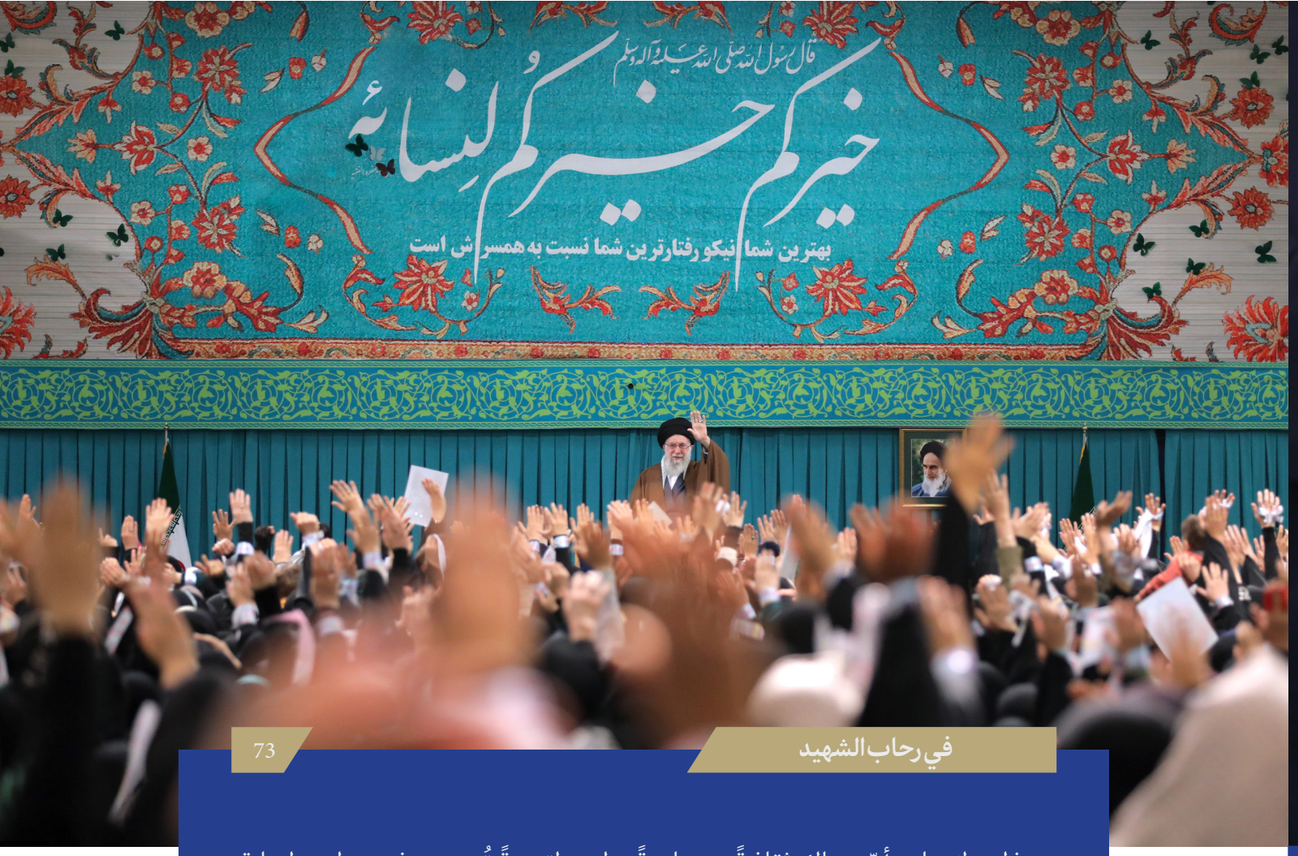

وهذا يدلّ على أنّ هناك ثقافةً، وسياسةً، واستراتيجيةً تُتبع منذ سنوات طويلة، وقاعدتها ترسيخ هذه المكانة الخاطئة والمهينة للمرأة، وهذا الشأن المسيء لها. 2011/5/22.

وفي النظرة الغربية، هذا هو الأصل الحاكم أساسًا: كلّ ما كانت المرأة أقلّ سترًا في البيئة الاجتماعية، كان ذلك أفضل. 2014/4/19. هذه ذكورية، وليست تحريرًا للمرأة؛ بل إنّها في الحقيقة تحريرٌ للرجل. إنّهم يريدون للرجل أن يكون حرًّا، حتى في التلذذ البصري؛ ولذلك يشجّعون المرأة على كشف الحجاب، والتزيّن والتبرّج أمام الرجل! 1997/10/22. ولذلك، يجب على العالم الغربي أن يكون مسؤولًا عن ذلك؛ لأنهم وجّهوا ضربةً إلى المرأة، واعتدوا على حقوقها، وخفّضوا من قيمتها، وخانوها باسم الدفاع عنها. 2007/7/4.

كيف كان الإمام الشهيد يرى الوضع الراهن للمرأة؟

«أزمة المرأة» بوصفها قضية محورية على المستوى العالمي

إحدى القضايا الأساسية التي كان يركّز عليها سماحته – ولا سيّما في حواراته مع النساء – هي ما كان يعبّر عنه بـ«أزمة المرأة». **ففي 22 أيار/مايو 2011، رأى أنّه على الرغم من أنّ الحديث يدور عادةً حول أزمات مثل تغيّر المناخ، أو الطاقة، أو المياه، فإنّ المشكلات الجذرية الحقيقية للبشرية تكمن في ميدان الروحانية، والأخلاق، والعلاقات الإنسانية.** وفي هذا السياق، تُعدّ قضية المرأة وكرامتها في المجتمع قضيةً مركزيةً ومتجذّرة.

ومن وجهة نظر سماحته، فإنّ هذه القضية ليست محدودةً أو إقليمية؛ فهي لا تخصّ بلدًا واحدًا أو ثقافةً بعينها، بل هي قضية عالمية غالبًا ما جرى التغافل عنها. وكان سماحته ينظر إلى هذا الموضوع نظرةً منهجية، فيتساءل: ما جذر هذه الأزمة؟ كيف يمكن تشخيصها؟ ما الحلول الممكنة لها؟ وما الدور الذي تؤدّيه النساء أنفسهنّ في مواجهة هذه الأزمة وحلّها؟

الدكتورة حكيمة سقّاي بي ريا
أستاذة مساعدة في جامعة طهران

نقدٌ منهجيّ للحضارة الغربية الحديثة

إذا أردتُ أن أقدّم خلاصةً لتشخيص سماحته، فيمكن القول إنّه كان يرى قضية المرأة متجذّرةً في نظام أكبر – نظامٍ يستفيد من نزع الإنسانية عن المرأة. ومن منظوره، فإنّ هذا النظام مرتبطٌ ارتباطًا عميقًا بالحضارة الغربية التي تشكّلت في سياق الاستعمار. كما كان سماحته يؤكّد مرارًا أنّ هذه القضية ليست مشكلةً منفردة، بل هي بنيوية ومنهجية.

وقد ارتكز نقد سماحته للحضارة الغربية على محورين أساسيين: ابتغاء الربح واللذة. فقد كان سماحته يرى أنّ هذا النظام يحوّل الإنسان – ولا سيّما المرأة – إلى أداةٍ للربح واللذّة. ويؤدّي ذلك إلى تشييء المرأة في الحياة الاجتماعية، إذ تُفرض عليها توقّعات صارمة، وغالبًا غير واقعية، تتعلّق بمظهرها وسلوكها – وهي توقّعات لا تُطبَّق بالمساواة نفسها على الرجال.

وكان الإمام السيد علي الخامنئي يطرح أيضًا هذا السؤال: لماذا لا يهيمن هذا النظام داخل المجتمعات الغربية فقط، بل يسعى بقوة إلى تعميم نفسه عالميًا؟ ولماذا هذا الإصرار على تصدير هذه المعايير إلى الثقافات الأخرى؟ ومن وجهة نظره، فإنّ ذلك جزءٌ من نزعة حضارية أوسع متجذّرة في الاستعمار – نزعة تقوم على الإحساس بالتفوّق، وتؤدّي إلى فرض نموذج واحد على سائر العالم.

وهذا يقود إلى الطبقة الثانية من المسألة: فذلك النظام لا يكتفي بوجوده، بل يسعى إلى جعل نفسه عالميًّا وشاملًا. إنّه يحاول تغيير الثقافات الأخرى، بل وإلغاء التصوّرات البديلة عن المرأة التي لا تنسجم مع إطاره. وفي هذا المسار، يقدّم نموذجه الخاص – رغم ما فيه من نقائص – على أنّه معيار الحرية والتمكين.

وكان الشهيد السيد الخامنئي يشير إلى أنّ كثيرًا من الدراسات في علم النفس وعلم الاجتماع قد بيّنت الآثار الضارّة للتشييء والتجنيس على حياة النساء. فهذه العمليات تُلحق الأذى بالرفاه الفردي، كما تُضعف البُنى الاجتماعية. ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه الشواهد، يواصل الغرب الترويج لهذه المسارات بوصفها أشكالًا من التحرّر.

وعليه، فإنّنا نواجه أزمةً عالميةً في مجال المرأة، متجذّرةً في نظامٍ مادّيّ واستعماريّ التوجّه. ووفقًا لسماحته، فقد بلغت هذه الأزمة حافّةً شديدة الخطورة. بل إنّه أشار، في أحد خطاباته الأخيرة، إلى «جزيرة إبستين» ليُظهر إلى أيّ حدّ بلغ التدهور، وأنّنا نقترب من مستوى غير مسبوق من الانحطاط الأخلاقي.

وفي الوقت نفسه، كان سماحته يعتقد أنّ شعوب العالم بدأت تدريجيًّا تدرك أنّ ثمّة مشكلة قائمة. وهذا يوفّر فرصةً للتفكير في الحلول. غير أنّ الحلّ، في نظره، لا يمكن أن يكون سطحيًّا أو متفرّقًا؛ فكما أنّ المشكلة بنيوية ومنهجية، ينبغي أن يكون الحلّ أيضًا منهجيًّا وشاملًا.

الرؤية الإسلامية وإحياء كرامة المرأة

كانت مقاربة سماحته للحلول تقوم على بُعدين رئيسيين. أوّلًا: أهمية النماذج والقدوات. فقد كان يؤكّد على ضرورة إعادة النظر في فهمنا للمرأة عبر التأمّل في نماذج بديلة. وفي هذا السياق، كان يذكر مرارًا السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بوصفها نموذج المرأة الكاملة، والشخصية التي جمعت بين الروحانية، والعلم، والحضور الاجتماعي، والمسؤولية الأسرية، والدور السياسي.

ولم يكن سماحته يقدّمها بوصفها شخصيةً بعيدة المنال في صفحات التاريخ، بل بوصفها نموذجًا حيًّا لا يزال معاصرًا. ففي 27 تموز/يوليو 2005، قال سماحته: «**إنّ الإسلام يقدّم السيد فاطمة (ع)، تلك الإنسانة المميزة والسماوية – بوصفها قدوةً ونموذجًا للمرأة**؛ حياتها الظاهرية، وجهادها، وفاعليتها، وعلمها، وفصاحتها، وإيثارها، ودورها زوجةً وأمًّا، وهجرتها، وحضورها في جميع الساحات السياسية والعسكرية والثورية، وكمالها الجامع الذي كان يحمل حتى الرجال العظماء على التواضع أمامها».

علاوةً على هذه النماذج المثالية، كان سماحته يشير أيضًا إلى نماذج حيّة في المجتمع المعاصر؛ إلى نساءٍ كنّ حاضرات في زمن الثورة، وفي سنوات الحرب المفروضة التي امتدّت ثمانية أعوام، بوصفهنّ أمهاتٍ وزوجاتٍ للشهداء، وكذلك في أدوار اجتماعية متنوّعة وفاعلة. وعبر هذه النماذج، كان سماحته يبيّن أنّ الفهم البديل للمرأة ليس مجرّد طرحٍ نظري، بل هو واقعٌ متحقّق في الميدان أيضًا.

وهذا يقود إلى فكرةٍ أوسع: فالإسلام، في نظر سماحته، يقدّم إطارًا يُعيد إلى المرأة إنسانيتها، ويصون كرامتها، ويُتيح لها المشاركة الفاعلة في مختلف ميادين الحياة، مع الحفاظ – في الوقت نفسه – على الدور الجوهري للأسرة بوصفها أساس المجتمع.

وفي الوقت الذي كان سماحته يؤكّد فيه على كرامة المرأة ودورها الفاعل، كان يشير كذلك إلى ما فُقد في نظام الهيمنة العالمي. ومن أبرز انتقاداته أنّ بعض الأبعاد الأساسية للحياة الإنسانية قد أُضعفت، بل وربما دُمّرت، في سياق السعي وراء الربح. وكان من بين أبرز هذه الجوانب التي أشار سماحته إليها مرارًا: الزواج والأسرة.

فقد كان سماحته يرى أنّ الزواج، في الإطار الغربي الحديث، قد تحوّل تدريجيًّا إلى أمرٍ مؤقّت قابلٍ للاستبدال، لا إلى رابطةٍ ثابتة ذات معنى. كما أنّ الحياة الأسرية، التي يُفترض أن تكون البيئة الأولى لتنشئة الإنسان السليم، قد تعرّضت للتفكك والإضعاف. وفي نظره، لم يكن ذلك أمرًا عارضًا، بل نتيجةً مباشرةً لمنظومةٍ تُقدّم الربح الاقتصادي واللذّة الفردية على المصلحة الإنسانية بعيدة المدى.

ومن هنا، حين كان سماحته يتحدّث عن الحلّ، كان يعود دائمًا إلى مركزية الأسرة. فقد كان ينظر إلى الأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع، أو «الخلية» التي يُبنى منها المجتمع السليم. فإذا ضعفت الأسرة، فلن يكون المجتمع قويًا. وفي هذا السياق، تحتلّ المرأة موقعًا محوريًا؛ لا بمعنىً تقييديّ، بل بوصفها عنصرًا أساسيًا في صناعة إنسانٍ متوازن، أخلاقي، وذي أساسٍ روحي متين.

ومع ذلك، لم يكن سماحته يحصر دور المرأة في الأسرة أبدًا. بل على العكس، كان يؤكّد دائمًا أنّ المرأة ينبغي أن تكون حاضرة وفاعلة في جميع ميادين الحياة: في التعليم، والعلم، والسياسة، والاقتصاد، وحتى في الدفاع. فالمسألة ليست اختيارًا بين الأسرة والمشاركة الاجتماعية، بل في فهم كيف يمكن لهذه الأدوار أن تتعايش ضمن إطارٍ متوازن ذي معنى. وكان يرى أنّ هذا التوازن هو تحديدًا ما أخفق النظام الهيمنة العالمي في تحقيقه.

الأسرة، والمجتمع، وضرورة إعادة التوجيه الحضاري

ومن هنا، ينتقل سماحته إلى مفهومٍ أوسع يمكن تسميته «إعادة التوجيه الحضاري». **فهو يرى أنّ أزمة المرأة لا يمكن حلّها من دون إعادة التفكير في الإطار الكلّي الذي نفهم من خلاله الحياة نفسها.** واليوم، يتحدّث كثير من مفكّري العالم عن «نزع الاستعمار»؛ أي إنّ ما يُقدَّم بوصفه حداثةً عالميةً شاملةً، إنّما هو في حقيقته متجذّر في تجربةٍ تاريخية خاصة من الهيمنة الاستعمارية.

وفي هذا الإطار، يستدل سماحته بأنّ المطلوب ليس فقط نزع الاستعمار عن الأنظمة السياسية والاقتصادية، بل أيضًا عن أساليب تفكيرنا نفسها: عن مخيّلتنا، وعن افتراضاتنا المسبقة بشأن التقدّم، والحرية، والعلاقات الإنسانية. ففهمنا للمرأة، ولدورها، ولموقعها القيمي، يتأثّر بعمق بهذه الأطر التأسيسية. ولذلك، فإنّ معالجة الأزمة تقتضي تحوّلًا جذريًا في الرؤية والمنظور.

وهذه الدعوة ليست حكرًا على المجتمعات المسلمة، بل هي موجّهة إلى البشرية جمعاء. فكلّ من يشعر بالقلق إزاء المسار الذي اتّخذه العالم الحديث، ولا سيّما في القرون الأخيرة التي تشكّلت تحت وطأة الاستعمار، عليه أن يتأمّل في ضرورة إعادة التوجيه هذه. ولأنّ النساء يشكّلن نصف البشرية، فإنّ أوضاعهنّ تنعكس مباشرةً على بنية المجتمع كلّه. فإذا جرى تقييد هذا النصف من البشرية، أو تشويهه، أو تقديمه بصورةٍ زائفة، اختلّ النظام الإنساني برمّته.

يشير سماحته أيضًا إلى نقطةٍ مهمّة: فعلى الرغم من عالمية هذه الأزمة، فإنّها ليست مسألةً خارجية منفصلة عن مجتمعات خاصة. حتى في إيران نفسها، كان يقرّ سماحته بوجود هذه الإشكالات، فبفعل تغلغل وسائل الإعلام العالمية والصناعات الثقافية، تسلّلت الأنماط نفسها إلى مجتمعاتٍ متعدّدة، بما فيها تلك التي حاولت أن تقاومها.

كما كان سماحته يستحضر التجربة التاريخية لإيران، ولا سيّما في العهد البهلوي، حين فُرضت النماذج الغربية بطريقةٍ أربكت الثقافة المحلية وأحدثت فيها خللًا. فقد جرى تمرير تحوّلات تحت عناوين التقدّم والتحديث، لكنها في الواقع قادت إلى العملية نفسها من نزع الإنسانية، وإن كانت في ظاهرها تروّج للحرية والتقدّم.

ومن هنا، فإن سماحته لا يعدّ أيّ مجتمعٍ بمنأى عن الإشكال، بل يتناول التحدّيات الداخلية بصراحةٍ تامّة. فعلى سبيل المثال، كان يشير مرارًا إلى روايةٍ مشهورة تصف المرأة بأنّها كائنٌ رقيقٌ ونفيس، لا أداةٌ للعمل أو للاستغلال. وتكرار مثل هذه التصريحات يكشف أنّ سوء الفهم والاختلالات لا تنبع فقط من التأثيرات الخارجية، بل تنشأ أيضًا من بعض البُنى الثقافية الداخلية نفسها.

كما يتحدّث سماحته أيضًا عن حقوق المرأة داخل الأسرة، ويؤكّد أنّ أوّل حقوقها هو أن تنال المحبّة والرفق، وأن تعيش حياةً خاليةً من العنف. وهذه ليست مجرد مفاهيم، بل مبادئ واقعية وعينيّة يجب أن تُراعى في الحياة اليومية. وإنّ تأكيده على هذه القضايا يُظهر أنّ مسائل من قبيل العنف الأسري لا تقتصر على منطقة بعينها، بل هي قضية عالمية ينبغي أن تحظى باهتمام جادّ.

كما يشدّد سماحته أيضًا على ضرورة وجود أطر قانونية لحماية النساء من الأذى، ويذكّر بمسؤولية وسائل الإعلام والمؤسّسات الثقافية في تجنّب إعادة إنتاج السرديات الضارّة. وعلى وجه الخصوص، يحذّر من القبول غير المشروط بالخطاب الغربي السائد حول المرأة؛ وهو خطابٌ يعرّف قيمة المرأة، في الغالب، على أساس مظهرها أو وظيفتها.

وفي المقابل، يؤكّد على فهمٍ مختلفٍ تمامًا: فالمرأة إنسان، لا أداةً للربح أو اللذّة. وكرامتها يجب أن تُعترف بها لذاتها.

ومن الأساليب التي يبيّن بها هذا المعنى، استناده إلى الآية الخامسة والثلاثين من سورة الأحزاب، التي تذكر الفضائل الإنسانية الأساسية – الإيمان، والصدق، والصبر، والتواضع، والإنفاق، وذكر الله – على نحوٍ متساوٍ للرجال والنساء. وهذا يدلّ على أنّ المرأة والرجل، كليهما، يمتلكان القابلية الروحية نفسها، ويسيران في طريقٍ مشترك نحو الكمال الإنساني.

في هذا الإطار، تُعدّ أزمة المرأة في جوهرها أزمةً في الروحانية والعلاقات الإنسانية. وهذه الأزمة هي انعكاس لاختلالٍ أوسع في فهم قيمة الإنسان داخل المجتمع. فعندما تسود الاعتبارات المادية ويُختزل الإنسان في وظيفته أو مظهره، تُهمَل الأبعاد الأعمق للحياة.

ومن هنا يؤكّد سماحته أنّ المسألة ينبغي أن تُفهم على نحوٍ منظّم؛ فالتعامل مع القضايا بشكلٍ منفصل – سواء كانت عنفًا أو تمييزًا أو لا مساواة – ليس كافيًا، إذ إنّ هذه كلّها أعراضٌ بُنيويّة أعمق. ومن دون معالجة تلك البُنى، سيبقى أيّ حلٍّ مؤقتًا وناقصًا.

كما يذكّر سماحته أيضًا بأنّ الإحاطة بهذه القضايا في يومنا هذا آخذةٌ في الازدياد أكثر من أيّ وقتٍ مضى. فقد أظهرت الشواهد المستقاة من البحوث والإحصاءات والحركات الاجتماعية أنّ كثيرًا من أبعاد النظام القائم غير فعّال. غير أنّ تشخيص المشكلة ليس سوى الخطوة الأولى؛ أمّا التحدّي الأساسي فهو الانتقال من ردود الأفعال المتفرّقة إلى مسار تحوّلٍ شامل. وهنا يؤكّد على أهمية النماذج العملية، أي الحالات التي طُبّق فيها نهجٌ بديل وتمّ اختباره.

وفي عرضه للحلول، لا يكتفي سماحته بطرح النظريات، بل يؤكّد أنّ مقاربةً بديلة قد طُبّقت عمليًا واختُبرت، ولا سيّما في تجربة إيران بعد الثورة الإسلامية. وعلى الرغم من كلّ الضغوط والتحديات والهجمات الخارجية، يرى في هذه التجربة دليلًا على إمكانيّة تحقيق نموذجٍ مختلف للتقدّم وتمكين المرأة.

ويشير سماحته على نحوٍ خاص إلى النموّ الملحوظ في حضور النساء في المجالات العلمية والفكرية والاجتماعية. ويذكّر بأنّ عدد النساء الناشطات في ميدان المعرفة والمجتمع كان في الماضي محدودًا جدًا، بينما يُلاحظ اليوم ارتفاعٌ كبير في هذا العدد. ومن وجهة نظره، فإنّ ذلك يدلّ على أنّ تحقيق التقدّم أو الحرية أو التمكين لا يستلزم بالضرورة التخلّي عن المبادئ الثقافية أو الدينية، مثل الحجاب. وفي الوقت نفسه، يقرّ سماحته بأنّ هذا النموذج البديل قد واجه المعارضة دائمًا: ضغوطًا ثقافية، ومحاولاتٍ لتشويهه، وأشكالًا أوسع من المواجهة الثقافية. ومع ذلك، يؤكّد أنّ النتائج بحدّ ذاتها ناطقة بالحقيقة، وينبغي أن تدفع الآخرين إلى تأمّلٍ جادّ في هذا المسار.

«النموذج الثالث» للمرأة والتجربة الإيرانية

تُفضي هذه المناقشة إلى إحدى أفكار سماحته المحورية: طرح «النموذج الثالث» للمرأة. ووفقًا لسماحته، فإنّ الخطاب العالمي السائد لا يطرح عادةً سوى خيارين. فمن جهة، تُقدَّم صورة نمطية للمرأة «الشرقية» بوصفها كائنًا سلبيًا، محصورًا في البيت ومحرومًا من المشاركة الاجتماعية. ومن جهة أخرى، يوجد النموذج الغربي الذي ينتقده لكونه يختزل المرأة إلى شيء وسلعة، من خلال التركيز المفرط على المظهر والجنس والاستهلاك.

يرفض سماحته كلا النموذجين. فالنموذج الأول قائم على سوء فهمٍ وتحريف، وغالبًا ما تعزّزه السرديات الاستعمارية. أمّا النموذج الثاني، فعلى الرغم من تقديمه كتحرّر، فإنّه يفضي في الواقع إلى نوعٍ آخر من التقييد، إذ يسلب المرأة كرامتها الإنسانية العميقة.

«النموذج الثالث» الذي يقترحه سماحته يسعى إلى تجاوز هذه الثنائية الزائفة. ففي هذا النموذج، تُعترف المرأة اعترافًا كاملًا بوصفها إنسانًا؛ إنسانًا ذا كرامة ومسؤولية وقدرة على النمو في جميع أبعاد الحياة.

ويُتوقّع منها أن تشارك بفاعلية في المجتمع – في المجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية – وأن تحافظ في الوقت نفسه على الدور المحوري للأسرة. والنقطة المهمّة هي أنّ هذا النموذج لا يُقدَّم بوصفه وصفةً جامدةً وموحّدة لجميع النساء، بل هو إطارٌ مرن يتكيّف مع الظروف. فالحياة نفسها ومتطلبات الواقع هي التي تحدّد كيفية تحقيق التوازن بين هذه الأدوار. ومع ذلك، تبقى الأسرة في موقع الأولوية، لأنها الأساس الذي يقوم عليه المجتمع.

ولشرح هذا النموذج، يشير سماحته غالبًا إلى نماذج واقعية؛ إذ يتحدّث عن والدته، ولا يقدّمها بوصفها مجرّد ربّة منزل، بل يراها إنسانًا كاملًا أدّى دورًا أساسيًا في تشكيل المناخ الأخلاقي والروحي للأسرة. ومن خلال التعليم والتربية والتوجيه، أسهمت في إعداد الأجيال القادمة. كما يشير سماحته في سيرته الذاتية «إنّ بعد الصّبر نصرًا» إلى زوجته، ويبرز صفاتًا من قبيل البساطة والإيثار والزهد في الأمور المادية. وهذه النماذج تُطرح للتأكيد على أنّ الكمال الإنساني لا يُقاس بالمكانة الظاهرية أو بدرجة الظهور، بل يرتبط بصفاتٍ أعمق كالتضحية والإخلاص والالتزام.

وفي الوقت نفسه، يشير سماحته أيضًا إلى نساءٍ برزن في الأدوار الاجتماعية والعامة. وليس الهدف

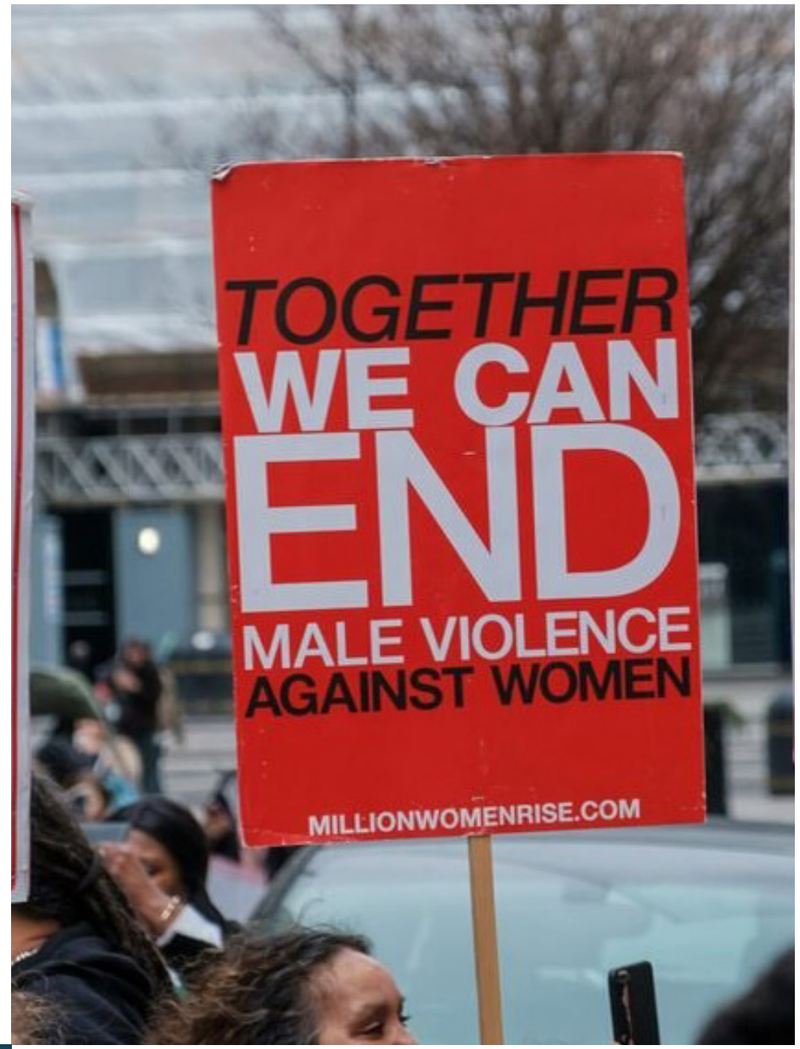

إحداث تراتبية بين الأدوار الأسرية والاجتماعية، بل التأكيد على قيمة كلا البُعدين. فالفهم الكامل للمرأة ينبغي أن يستوعب كلا الجانبين.

وبالعودة إلى النقاش العام، يؤكّد سماحته أنّه إذا أردنا معالجة أزمة المرأة على المستوى العالمي، فعلينا أولًا التغلّب على نوعٍ من التكبّر الفكري، الذي يمكن تسميته بالغُرور الحضاري. وتكتسب هذه المسألة أهميةً خاصة بالنسبة للمجتمعات التي ترى نموذجها السبيل

الصحيح الوحيد. ومن دون التشكيك في هذه المسلّمات، لن يكون الانتقال نحو حلولٍ حقيقية أمرًا ممكنًا.

وسماحته يستدلّ قائلًا بأنّ كثيرًا من الجهود المبذولة لمعالجة قضايا مثل العنف ضدّ النساء بقيَت غير فعّالة، لأنّ هذه القضايا تُدرس بصورةٍ منفصلة ومجزّأة. فتُسنّ القوانين، وتُعالج القضايا، وتُدفع التعويضات، لكنّ الأسباب الجذرية لا تتغيّر، وبذلك تستمرّ المشكلات.

فعلى سبيل المثال، لا يمكن معالجة مسألة العنف ضدّ النساء معالجةً كاملة من دون دراسة السياقات الثقافية والاجتماعية الأوسع التي تحدث ضمنها. فإذا استمرّ النظر إلى النساء بوصفهنّ سلع وأشياء – سواء في وسائل الإعلام أو الإعلانات أو التفاعلات اليومية – فإنّ أيّ قدر من التدخّلات القانونية وحده لن يكون كافيًا لحلّ المشكلة بصورةٍ كاملة.

وبالمثل، فإنّ انهيار البُنى الأسرية لا يمكن معالجته بإجراءاتٍ متفرّقة، بل يتطلّب إعادة نظرٍ عميقة في القيم والأولويات وطريقة فهم العلاقات الإنسانية. فإذا استمرّ النظام السائد في تفضيل الفردانية وإشباع الرغبات قصيرة الأمد على الالتزام طويل الأمد، فإنّ استقرار الأسرة سيبقى مهدّدًا.

ومن هنا يؤكّد سماحته أنّ الاستجابة ينبغي أن تكون منظّمة. فلا بدّ من بذل جهدٍ واعٍ من أجل «منع تسليع» المرأة على جميع مستويات المجتمع. ويشمل ذلك النظام التعليمي – حيث تتشكّل القيم – ووسائل الإعلام – التي تصوغ الصور والسرديات – والإنتاجات الثقافية مثل الأفلام والترفيه، وكذلك التفاعلات الاجتماعية اليومية.

ويستلزم ذلك أيضًا تحوّلًا في كيفية تواصل الأفراد بعضهم مع بعض. فطريقة تفاعل النساء والرجال، والتوقّعات المتبادلة بينهم، والقيم التي توجّه هذه العلاقات، جميعها ينبغي أن تخضع لإعادة نظر.

وبهذا المعنى، تتحوّل مسألة المرأة إلى نافذة لفهم أزمةٍ أوسع في البشرية؛ فهي لا تخصّ فئةً بعينها، بل تعكس مشكلاتٍ أعمق في كيفية تنظيم المجتمع وتقييم الإنسان.

وفي النهاية، يرى سماحته أنّ هذا الوضع يشكّل نقطة تحوّل؛ إذ إنّ اللحظة الراهنة تتيح فرصةً لإعادة التفكير في الأطر القائمة واستكشاف البدائل. غير أنّ ذلك يتطلّب استعدادًا لتجاوز المسلّمات المألوفة ومواجهةً جادّة لوجهات النظر المختلفة.

والتجربة التي يشير إليها ليست مفروضة على الآخرين، بل تُطرح بوصفها أحد المسارات الممكنة، مسارًا أثمر العديد من النتائج، وعليه، فهو يستحقّ التأمّل.

لذلك، حين أنظر إلى الإطار العام لفكر سماحته – ولا سيّما في ما يتعلّق بالمرأة – أجد أنّه يتناول هذه القضية بالمنهج الشمولي نفسه الذي يعتمده في مختلف أبعاد الحياة الإنسانية. فهو لا يفصل مسألة المرأة عن الوضع العام للبشرية، بل يربطها مباشرةً بالنظام العالمي السائد، وهو نظامٌ يقوم على المادية والسعي إلى الربح واللذّة، ويسعى إلى بسط هيمنته على جميع جوانب الحياة.

تبدو المسألة واضحة من هذا المنظور: لقد تعرّضت النساء لعملية نزعٍ للإنسانية؛ إذ جرى اختزالهنّ بسلع، سواء باسم الحرية أو التمكين أو التقدّم. وبما أنّ هذه العملية متجذّرة في نظامٍ أوسع، فإنّه لا يمكن إصلاحها بحلولٍ جزئية وسطحية.

ولهذا يؤكّد سماحته على ضرورة إعادة التفكير في المسألة على مستوى حضاري؛ إذ ينبغي إعادة النظر في فهمنا للمفاهيم الأساسية، كالحرية، والكرامة، والتمكين، بل وحتى التقدّم. فإذا استمرّ تعريف هذه المفاهيم ضمن الإطار نفسه الذي أفرز المشكلة، فإنّ أيّ إصلاح سيبقى محدودًا.

ويؤكّد سماحته مرارًا أنّ معالجة هذه الأزمة تتطلّب تجاوز المقاربات المرحلية؛ فلا يكفي التركيز على المظاهر – كالعنف أو التمييز أو عدم المساواة – من دون معالجة الأسباب الجذرية. فهذه ليست سوى تجلّياتٍ لمشكلةٍ أعمق: تسليع المرأة وانتقاص قيمتها داخل نظامٍ ماديّ النزعة.

فعلى سبيل المثال، في مسألة العنف ضدّ النساء، لا يكفي مجرّد سنّ القوانين أو وضع السياسات. وعلى الرغم من ضرورة هذه الإجراءات، فإنّها ليست كافية. إذ ينبغي معالجة القضية على مستوى الثقافة والقيم والعلاقات الاجتماعية. وينطبق الأمر نفسه على قضايا مثل تفكّك الأسرة أو تسليع جسد المرأة؛ فهذه القضايا لا يمكن حلّها بصورةٍ منفصلة.

ويُصرّح سماحته بأنّ هذا التحوّل يجب أن يحدث في مجالاتٍ متعددة؛ ففي التعليم ينبغي تعزيز فهمٍ مختلف للكرامة الإنسانية، وفي الإعلام والإنتاجات الثقافية ينبغي الابتعاد عن الصور التي تختزل المرأة ضمن حدود التسليع، وفي الحياة الاجتماعية ينبغي إعادة تعريف العلاقات على أساس الاحترام والمسؤولية المتبادلة.

وهذه العملية، التي يمكن تسميتها «عدم تسليع المرأة»، لا تقتصر على مجتمعٍ أو ثقافةٍ بعينها، بل تُعدّ مهمةً عالمية. ومع ذلك، قد تختلف المجتمعات في قدرتها على تنفيذ مثل هذه التحوّلات؛ فعلى سبيل المثال، في سياقٍ يكون فيه الإطار السياسي والثقافي منسجمًا مسبقًا مع هذه القيم، يصبح تطبيق الإصلاحات المنظّمة أكثر سهولة.

وفي الوقت نفسه، يقرّ سماحته بوجود تحدّيات حتى في مثل هذا السياق. فعلى سبيل المثال، لا يزال تأثير الضغوط الثقافية طويلة الأمد في إيران – التي تعود إلى فترات تاريخية سابقة – فاعلًا في تشكيل الاتجاهات الاجتماعية. وهذه الضغوط لم تختفِ، بل تحوّلت واستمرّت في أشكالٍ مختلفة. ومن ثمّ، فإنّ عملية التحوّل هي عملية مستمرة وتتطلّب جهدًا دائمًا.

وعلى الرّغم من وجود هذه التحديات، نجد سماحته متفائلًا بإمكانية التغيير؛ إذ يرى في اللحظة الراهنة فرصةً، حيث أصبحت حدود النظام السائد وإخفاقاته أكثر وضوحًا من أيّ وقتٍ مضى، وهو ما يوفّر مجالًا لظهور الأفكار البديلة وأخذها على محمل الجد.

كما يؤكّد أيضًا أنّ هذه المسؤولية لا تقع على عاتق النساء وحدهنّ؛ بل ينبغي للرجال والنساء أن يعملوا

معًا لمعالجة هذه الأزمة. فإصلاح المجتمع يتطلّب مشاركةً جماعية، لأنّ المشكلة نفسها متجذّرة في البُنى والعلاقات المشتركة.

وفي الوقت نفسه، للنساء دورٌ خاص؛ فباعتبارهنّ نصف البشرية، تُعدّ مشاركتهنّ ضرورية لأيّ تغييرٍ ذي معنى. وإذا استطاعت النساء تحرير أنفسهنّ من قيود النظام الذي يقيّد طاقاتهنّ، فإنّ لذلك آثارًا واسعة على المجتمع بأسره.

غير أنّ هذه «الحرية» ينبغي أن تُفهم على نحوٍ صحيح؛ فهي لا تعني مجرّد التكيّف مع المعايير السائدة أو المشاركة في نظامٍ معيبٍ في جوهره، بل تعني القدرة على تحديد الدور والهوية ضمن إطارٍ يعترف بالكرامة الإنسانية الكاملة.

وهذا يعيدنا مرةً أخرى إلى فكرة النموذج البديل؛ فالمقصود ليس استبدال نوعٍ من القيود بنوعٍ آخر، بل إيجاد فهمٍ متوازن ومتكامل للحياة الإنسانية. ففي هذا النموذج، لا تُحاصَر المرأة ولا يُنظر إليها بوصفها شيئًا، بل تكون مشاركةً فاعلة ومسؤولة ومحترمة في الأسرة والمجتمع.

ويرى سماحته أنّ التفكير بهذه الطريقة يفتح آفاقًا جديدة؛ فعندما نتجاوز حدود الأطر المهيمنة، يمكننا تصوّر أساليب مختلفة لتنظيم الحياة الاجتماعية، وفهم العلاقات، وتعريف النجاح والرضا.

ومن هنا، يدعو سماحته إلى تغيير زاوية الرؤية؛ إذ ينبغي النظر إلى مسألة المرأة – وإلى مسألة الإنسان عمومًا – من منظورٍ مختلف، والتشكيك في المسلّمات التي عُدّت بديهية، واستكشاف خياراتٍ قد تقدّم حلولًا أكثر استدامة وإنسانية.

وخلاصة ما أفهمه من رؤية سماحته أنّ أزمة المرأة ليست مسألةً هامشية، بل تقع في صميم الوضع الراهن للبشرية؛ فهي انعكاس لاختلالاتٍ أعمق في القيم والأنظمة وسُبل التفكير.

ومعالجة هذه الأزمة تتجاوز حدود الإصلاح إلى الحاجة لإحداث تحوّل شامل، تحوّلٍ يستلزم إعادة التفكير في الحضارة ذاتها؛ أي الانتقال من أنظمةٍ تُقدّم الربح واللذّة إلى أنظمةٍ تجعل الكرامة الإنسانية والروحانية والعلاقات الأخلاقية في مركز الاهتمام.

وفي تقديري، لا نزال في بداية هذا المسار؛ فالأفكار موجودة، والنماذج حاضرة، والحاجة واضحة. وما يبقى هو أن تأخذ البشرية هذه المسألة على محمل الجد؛ تفكّر، وتتساءل، وتعمل بما يقود نحو مستقبلٍ أكثر توازنًا وإنسانية.

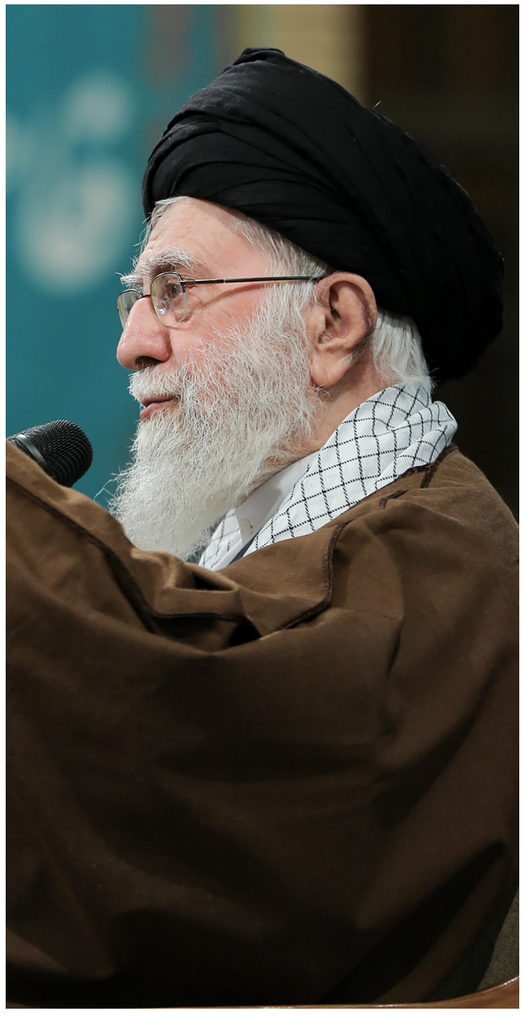

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

نحن المسلمون، يكفينا لنجد طريق الهداية أن نعرف شخصية النبي. وعقيدتنا بطبيعة الحال هي أن البشرية قاطبة يجب أن تستفيد من وجود النبي، وهي تستفيد بالفعل. هذا الإنسان العظيم، ذو الخلق العظيم، وهذه الشخصية التي صنعها الله المتعالي لأعظم رسالة في تاريخ البشرية. (2012/02/10) حين نذكر اسم النبي الأعظم، فكأنما شخصيات إبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى، ولقمان، وجميع العباد الصالحين والبارزين، وشخصية أمير المؤمنين والأئمة الهداة (عليهم السلام) قد تبلورت وتجسدت في هذا الوجود المقدس. يمكن تشبيه النبي الأعظم بأكثر النجوم سطوعاً في مجرات هذا الكون، والتعبير عن ذلك الوجود العظيم والمقدس بهذا الوصف؛ فالنبي الأعظم هو وجود مجرّاتي، يزخر بآلاف النقاط المضيئة من الفضائل. (2006/03/21) إنه الأنموذج الكامل الذي لم يخلق الله في الوجود أكمل منه؛ هو المبشر والمنذر، والشاهد والناظر على البشرية جمعاء وعلى امتداد التاريخ؛ هو الداعي إلى الله والسراج المنير لدروب الإنسان. (2006/03/21) ففي شخص النبي الأعظم، يقترن العلم بالأخلاق، والحكم بالحكمة، وعبادة الله بخدمة الخلق، والجهاد بالرحمة، وحب الخالق بحب المخلوقات، والعزة بالتواضع؛ حيث تمتزج طمأنينة الروح المستغرقة في ذكر الله مع السعي لصحة الجسد وسلامته. (2006/03/21) كان النبي يأكل بين الناس كما يأكل العبيد، ويجلس كما يجلسون، متجرداً من هيئة أبناء الأشراف؛ فرغم انتسابه للأشراف، لم يكن يفتخر عليهم بذلك، في حين كانت إشارته ونظرته المباركة ترعد فرائص أباطرة ذلك الزمان. (2000/04/14) إن أخلاق النبي في الحكم تتلخص في كونه يقظاً أمام دسائس العدو، ومتواضعاً بين المؤمنين. (2000/05/12) لقد كانت بعثته المباركة روحاً نُفخت في جسد العالم الميت آنذاك؛ ذلك العالم

الذي كان حياً في ظاهره بحكوماته وسلطناته ونشاطاته، لكنه كان غارقاً في موت الإنسانية والفضيلة. لم يكن يسود فيه سوى الجفاء والظلم والتمييز والقسوة، فجاء الرسول الأكرم ليحيي بوجوده ودعوته تلك الفضائل الميتة. (2015/12/29) إن بعثة النبي الأعظم (ص) هي أعظم عطاء إلهي للبشرية جمعاء. ومع أنه «وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها»، إلا أنه لا توجد نعمة تضاهي في عظمتها ووزنها بعثة النبي الأكرم؛ والسبب في ذلك أن البعثة تحمل للبشر كنوزاً خالدة لا تنفد أبداً. (2023/02/18) لقد أنارت البعثة والوحي الإلهي حقائق غابت عن البشرية، وهي حقائق لو آمن بها الأفراد والمجتمعات والتزموا بها عملياً، لنالوا الحياة الطيبة. والحياة الطيبة تعني العيش الهنيء، النافع، والمثالي؛ إنها الحياة الزكية التي تعين الإنسان في مسير كماله وتجعله يهنأ بكل جمال ونعيم في الدنيا والآخرة. تلك هي الحياة الطيبة؛ فإذا ما أنست القلوب بهذه المعارف وتلك الحقائق، وأقبلت عليها واستمسكت بمقتضياتها، فإن الحياة الطيبة ستكون بانتظارها يقيناً. (2020/03/22) إن في هذا العالم الكثير من البشر الذين لو عرفوا نبي الإسلام بمقدار ما يعرفه المسلمون، أو حتى دون ذلك، أي لو لاح لقلوبهم مجرد خيال من ذلك الوجه المنير، لضُمن إيمانهم وميلهم نحو الإسلام وقيمه الروحية. (1989/10/16)

الإمامة

يقول الله عز وجل في [الآيات] الأولى من سورة المائدة: «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم» (المائدة، 3)؛ أي في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، يوم إعلان الغدير وخلافة أمير المؤمنين، وهو اليوم الذي يئس فيه الكفار من قدرتهم على استئصال جذور الدين الإسلامي المبين. حتى ذلك اليوم، كانوا لا يزالون يحدوهم الأمل في القدرة على فعل ذلك؛ لكنهم في ذلك اليوم يئسوا تماماً. «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون» (المائدة، 3)؛ [أي] لا ترهبكم بعد الآن هيبة الكفار؛ ولا تعيروا اهتماماً لمظاهرهم وأفعالهم واستعراضاتهم؛ بل راقبوا سلوككم أمام رب العالمين؛ هذا هو [مفهوم] الآية. ولماذا يئس الكفار؟ كان ذلك بسبب ديمومة «الحاكمية السياسية للإسلام».

تارةً تكون هناك عقيدة إسلامية، وعمل إسلامي، ولكن تغيب السياسة الإسلامية، والحاكمية الإسلامية؛ وعندما توجد الحاكمية الإسلامية، فإن روح الإسلام ستتحقق واقعياً؛ وروح الإسلام هي «الإمامة». الإمامة هي إحدى المراتب المهمة لشؤون الأنبياء الإلهيين؛ أي أن كل واحد من الأنبياء هو إمام، ويتمتع بمقام الإمامة. ومقام الإمامة للأنبياء أرفع من مقام الرسالة. فمعنى رسالة النبي هو إيصال النداء الإلهي إلى الناس، أما معنى إمامة النبي فهو تطبيق هذه الرسالة في قلوب الناس، وفي أفكارهم، وفي أعمالهم وممارساتهم.

ولذا ترون أن الله المتعال يقول للنبي إبراهيم (عليه السلام)، بعد كل تلك الابتلاءات العسيرة التي واجهها

ذلك العظيم، وفي أواخر عمره: «إني جاعلك للناس إماما» (البقرة، 124)؛ أي أنك الآن بلغت مقام الإمامة. وكيف عرفنا أنه في أواخر عمره؟ لأن إبراهيم يقول بعدها مباشرة: «قال ومن ذريتي؟» (البقرة، 124)؛ أي هل ستكون هذه الإمامة في ذريتي أيضاً؟ وقد رُزق النبي إبراهيم (عليه السلام) في سن الشيخوخة - ربما في التسعين من عمره أو أكثر - بولدين؛ حيث يقول القرآن على لسانه: «الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق» (إبراهيم، 39). هذا هو معنى الإمامة.

لقد واصل النبي الأكرم هذه الإمامة بأمر إلهي، غير أن استمرار هذه الإمامة لا بد أن يقترن بالحاكمية السياسية؛ ولذا أعلن الخلافة، وأعلن الولاية: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه». وبالمناسبة، اعلموا أن حديث الغدير لم ينقله الشيعة فحسب، [بل] هو متواتر بين الشيعة والسنة؛ فقد نقله جميع أو جلّ المحدثين من الشيعة والسنة. حسناً، عندما تستمر الإمامة، يستمر معها «نمط العيش الإسلامي». حسناً، عندما تحكم الإمامة في المجتمع، يتخذ العيش المجتمعي صبغة إسلامية، ويتحقق النموذج الإسلامي في المجتمع. وإذا ضاعت الحاكمية السياسية للإسلام، فإن الخسارة الكبرى تكمن في زوال العيش الإسلامي، والعيش الاجتماعي الإسلامي؛ هذه هي الخسارة العظمى.

إن تلك الجهود التي بذلها أئمتنا (عليهم السلام) على امتداد مئتين وخمسين عاماً من أجل إرساء حاكمية الإسلام، وذلك النضال الذي خاضوه، وما قام به لاحقاً بعض كبار الشيوخ والعلماء، وما أنجزه الإمام الراحل والشعب الإيراني في هذه المرحلة الزمنية لتفجير الثورة الإسلامية، كل ذلك كان يهدف إلى استناد الإمامة إلى الحاكمية السياسية، ليفضي ذلك إلى انتشار «نمط العيش الإسلامي» في المجتمع. وماذا يعني «نمط العيش الإسلامي»؟... يمكن العثور على ذلك في القرآن الكريم، وفي نهج البلاغة، وفي

الروايات. في هذا النموذج، نجد «ليقوم الناس بالقسط» (الحديد، 25)، أي «العدالة»؛ وفي هذا النموذج نجد «أشداء على الكفار» (الفتح، 29)، أي «رسم الحدود مع العدو»؛ وفي هذا النموذج نجد «رحماء بينهم» (الفتح، 29)، أي «تراحم المؤمنين والناس فيما بينهم»؛ هذه هي الخطوط العريضة؛ وأيٌّ منها نغفل عنه... سيُحدث نقصاً في نموذج نمط العيش الإسلامي.

في هذا النموذج نجد «عزيز عليه ما عنتم» (التوبة، 128)؛ أي أن حاكم المجتمع يدرك معاناة الناس بكيانه كله، وبكل جوارحه. يقول القرآن: «عزيز عليه ما عنتم»؛ أي أنكم عندما تقاسون الصعاب، يتألم النبي لأجلكم. هذا من جانب الحاكم تجاه الناس. ومن جانب الناس أيضاً نجد «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» (النساء، 59)؛ فالناس يقفون إلى جانبه، ويطيعونه، ويعينونه، ويتبعون نهجه. وهناك ألف مورد، أو ربما آلاف الموارد المشابهة من هذه الخطوط الواضحة لتبيين العيش الإسلامي في القرآن ونهج البلاغة والصحيفة السجادية، وتزخر بها الروايات، ويمكن استخراجها.

هذا هو معنى الغدير. إن الغدير في الواقع يقدم هدية «نمط العيش الإسلامي» لاستمرار مسيرة التاريخ الإسلامي... وهذا لا يفرق فيه بين شيعي وسني؛ فجميع الفرق الإسلامية تستفيد منه. علينا أن ننظر إلى الغدير بعين «الوحدة»؛ وألا نجعل منه ذريعة للنزاع بين الشيعة والسنة.

حياة الإمام الشهيد الخامنئي نموذج لنمط العيش الإسلامي

حجّة الإسلام
رضا رمضاني
الأمين العام للمجمع العالمي
لأهل البيت (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم. نحن في محضر سماحة آية الله الحاج «رضا رمضاني»، الأمين العام الموقر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) وعضو مجلس خبراء القيادة. لقد حظيتم سماحتكم أيضاً بسنوات من الخبرة في الساحة الدولية، في النمسا وألمانيا وغيرها من الأجواء الدولية، وكنتم على اتصال مباشر بمكتب سماحة قائد الثورة الإسلامية، القائد الشهيد، وسماحة الإمام الخامنئي شخصياً..

سؤال

يتركز محور حديثنا اليوم تحديداً حول توجهات ورؤى القائد الشهيد، وذلك البعد الدولي في أفكار سماحته. نود أن نبدأ الحوار من هذا المنطلق: كيف كانت نظرة القائد الشهيد إلى المجال الدولي بشكل عام؟ الكلام لكم.

من النقاط المهمّة التي يجب أن نوليها اهتماماً في بداية هذا البحث -وهي في غاية الأهمية حقاً- هي أن يصل الإنسان في دراساته وأبحاثه إلى «منظومة فكرية»؛ بحيث يكون كل ما ينطق به، أو يدونه ويكتبه، أو يديره، مضبوطاً وفق تلك المنظومة. لقد كان إمامنا الشهيد سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي (قدس سره الشريف) يمتلك مثل هذه المنظومة الفكرية؛ فمنذ أكثر من خمسين عاماً، وتحديداً حينما

طرح مباحثه حول الفكر القرآني العام وكان عمره حينئذ يناهز الخامسة أو السادسة والثلاثين، كان هذا الهاجس حاضراً في نقاشاته بوصفه عالماً دينياً، وعالماً عصرياً، وعالماً ومثقفاً دينياً، يرتبط بالمحافل العلمية والأوساط الجامعية والأساتذة والطلاب، فضلاً عن ارتباطه بالحوزة وأساتذتها وكونه مدرساً حوزوياً.

وحينما تولى رئاسة الجمهورية، كان بالإمكان لمس الاستفادة التامة من هذه المنظومة الفكرية في طروحاته. وكذلك الأمر في خطب صلاة الجمعة بطهران، والتي أعتقد أنه يجب عقد ندوة أو مؤتمر خاص حولها؛ لإجراء تحليل للمسائل التي كان يطرحها بوصفه خطيباً حاذقاً ومطلعاً على قضايا العصر.

أو مثلاً المباحث التي كان سماحته يطرحها كل عام في اليوم الأول من العام الهجري الشمسي الجديد في «مشهد الإمام الرضا (ع)»؛ أرى مرة أخرى ضرورة عقد ندوة حول تلك المباحث تحديداً. أي أن تُعقد هذه المؤتمرات والندوات في المستقبل حول مختلف

أقسام طروحاته، ليدرك المجتمع البشري اليوم، بل وحتى الشعب الإيراني الغيور والمثقف، تلك الأبعاد غير المكتشفة لإمامنا الشهيد.

هذه النقطة مهمة جداً؛ تأملوا في شخصية سماحته التي تأنس بالكتب الروائية حول العالم لكي تكون لغتها لغة عصرية. أولئك الذين كانوا روائيين وقراء روايات مهرة، أقرّوا بأنهم شعروا بالعجز أمام علمه حينما كانوا في حضرته. ومن المؤكد أنكم سمعتم كلام بعض الشخصيات حول تلك اللقاءات التي كانت تُعقد أيام الخميس في الساعة الحادية عشرة، ويقال إنها استمرت لنحو 160 جلسة، حيث كان ثلاثة أو أربعة من الشخصيات الثقافية ذات هذه التوجهات والأفكار يجتمعون معه ويطرحون هذه المباحث.

برأيي، تلك المباحث إذا طُرحت في الخارج أو دُوّنت وقُدمت، أو حتى لو عُرضت هي ذاتها كما هي لأنها مصورة، فستكون كنزاً عظيماً. لقد فعل ذلك لكي يتمكن من استخدام المفردات العصرية في خطابه، سواء في خطب صلاة الجمعة، أو حينما تولى قيادة الجمهورية الإسلامية عام 1989م، وذلك في أدبياته الكلامية في مختلف المجالات.

أحياناً يخوض سماحته مجال الثقافة السياسية، أو عندما يشير إلى مباحث الفلسفة السياسية، نجد أنه ليس مطلعاً على المفاهيم فحسب، بل هو محيطٌ بها تماماً. وعندما يصل إلى المجالات الثقافية، نراه مطلعاً ويجيد مفاهيمها أيضاً.

تلاحظون أن إمامنا الشهيد عندما يتناول القضايا الثقافية، يقوم بابتكار المفاهيم؛ فمثلاً في هذا المجال الثقافي، طرح مفاهيم مثل «الهندسة الثقافية»، و«الناتو الثقافي»، و«الغزو الثقافي»؛ وهي مصطلحات لم نكن قد سمعناها من قبل، فهو يبتكر المفاهيم. أو مثلاً في المجال الاقتصادي، حينما يدخل في النقاش مع الاقتصاديين، يُلزم

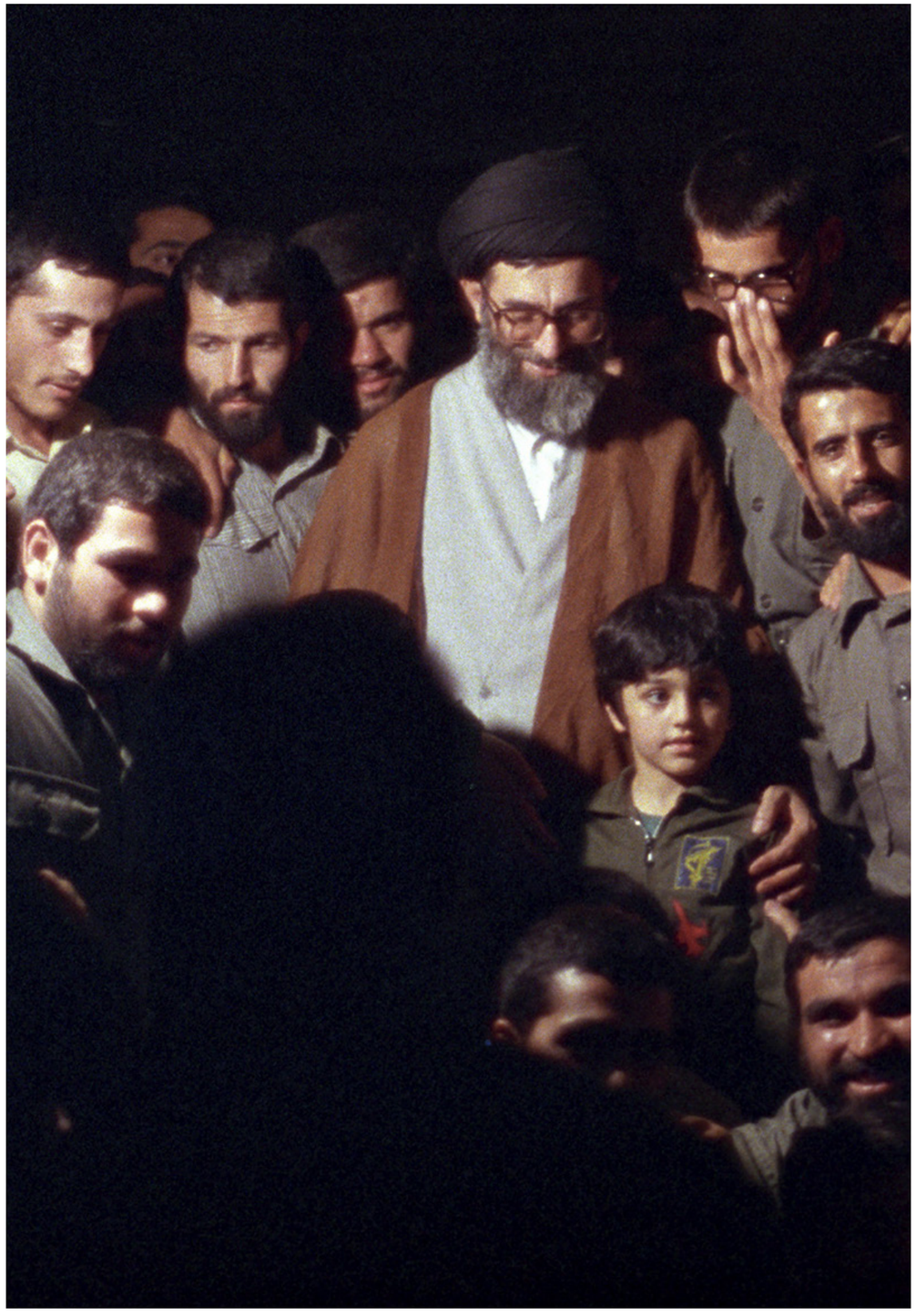

نفسه بالقراءة والتفكير لساعات طويلة، ليخرج بعدها برؤية وفكرة ما، من أجل إيجاد مخرج للقضايا الاقتصادية في البلاد، وهذا أمر مهم للغاية!

عندما يطرح مسألة «الاقتصاد المقاوم» بمؤشراتها ومتطلباتها، نجد عند التدقيق أنه يرى للخروج من الأزمات الاقتصادية ضرورة تفعيل دور الشعب، وتنشيط الإنتاج المحلي، وإيجاد منافسة حقيقية في ساحة الإنتاج، وهنا يمكن لحضور الناس أن يكون مؤثراً جداً، إلى حدّ كبير. خلاصة الأمر، سماحته كان يبتكر المفاهيم.

سؤال

سماحتكم الآن الأمين العام لمجمع أهل البيت (ع) العالمي، ومعيّنون من قبل الإمام الشهيد، أي أن المجمع ضمن المؤسسات التي تعمل تحت إشراف مكتب القيادة، وهو متكفل بتسيير شؤون الشيعة وأتباع أهل البيت (ع). وفي الوقت ذاته، نرى أن لدينا المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية المتكفل بالحوار والتقريب بين أتباع المذاهب المختلفة.

أنا أذكر، وأظن ذلك كان في أيلول / سبتمبر 2022م، لقاء أعضاء المجمع العالمي لأهل البيت (ع) مع الإمام الشهيد؛ في تلك اللقاءات كان المخاطب شيعياً، وكان الحضور شخصيات شيعية مؤثرة أيضاً، وربما يظن البعض أنه لا داعي هنا لطرح قضايا خارج العالم الشيعي، لكن حين تلاحظ وتطالع تلك المحاضرة، تجد سماحته يؤكد فيها أيضاً على الوحدة، ويطرح قضية فلسطين.

أو كما كان يقول أحد الأعزة: كانت تقام في حسينية الإمام الخميني (قده) أكبر أو من أكبر وأكثر مراسم الأيام الفاطمية عظمة وبحضور القائد كل عام، وكذلك في عاشوراء، وكان يجري الاهتمام بالأربعين والرموز الشيعية. وهذه الشخصية نفسها تجلس مع علماء العالم الإسلامي، وتملك رؤى دولية ناظرة إلى وحدة العالم الإسلامي؛ فكيف يجتمع هذان الأمران معاً في هذه المنظومة؟

حسناً، إذا سمحت لي، سأعرض بدايةً بضع جمل حول أهمية الوحدة ذاتها. التفت، إن **قضية وحدة الأمة الإسلامية ليست مسألة عادية، بل هي «وصفة الخلاص» التي كان الإمام الشهيد يؤكد عليها؛ لذا ينبغي لنا جميعاً إدراك ضرورتها، وما الذي سيتحقق من اقتدار في المجتمع الإسلامي والمجتمع العالمي إذا ما تحققت هذه الوحدة. هذا أمر يجب دراسته والتفكير فيه. يجب التفكير في المشتركات، فلدينا مشتركات كثيرة، لا في الأصول فحسب، كالإيمان بالله والمعاد والنبوة وأمثالها، بل في الصلاة والصوم والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكل هذه مشتركات، ويمكنها أن توجد اقتداراً. يجب على نخب المجتمع التأكيد على هذه المشتركات، وهي ذاتها القادرة اليوم على إيجاد اقتدار عالمي في أوساط المجتمع الإسلامي تحت مسمى «وحدة الأمة الإسلامية».**

النقطة الأخرى التي يجب أن نوليها اهتماماً هي «معرفة العدو»؛ أي يجب على جميع

فستوضع البشرية في المسار الصحيح للتاريخ. وهذه نقطة مهمة جداً، وإذا سمح الوقت، فهناك نقاط يجب أن نذكرها بخصوص «المسار الصحيح للتاريخ». إن هذا البحث مهم جداً فيما يخص الوحدة، إذ يجب علينا دراسة عوامل الوحدة، ثم سبلها، وآثارها بشكل دقيق.

الوقت ضيق، وإلا فإن لدينا جملة من النقاط بشأن هذه الأمور، لعلنا نتطرق إليها في وقت آخر. أما ما ورد في سياق سؤالكم، فأنتم ترون أن أعضاء الجمعية العامة للمجمع العالمي لأهل البيت كانوا يتشرفون بلقاء الإمام الشهيد مرة كل أربع سنوات، حيث كان يُشار هناك إلى أهم قضايا العالم الإسلامي، وتُستلهم التوجيهات بشأن الوظائف والتكاليف الملقاة على عاتق أعضاء الجمعية العامة والمجلس الأعلى والأمين العام وأمثالهم، لتكون بمثابة «وصفة عمل». من المناسب دراسة هذه الدورات السبع التي عُقدت، وإعادة مراجعة المؤشرات التي أكد عليها إمامنا الشهيد بوصفها أهم الواجبات، لتحويلها إلى استراتيجيات وسياسات وآليات عمل وأهداف؛ وهذا سيؤدي بالتأكيد إلى معرفة الطاقات والكثير من المسائل الأخرى. أما لماذا كان يشار هناك إلى قضايا العالم الإسلامي -رغم ضرورة نهوض الشيعة بواجباتهم في معرفة أهل البيت (عليهم السلام) وتعريف آحاد ونخب المجتمع بهم- فلأن أحد تأكيدات الإمام الشهيد في هذه الدورة السابعة هو وجوب تعريف العالم بأهل البيت (ع)؛ إذ لو عُرّف أهل البيت للعالم فلن نواجه طريقاً مسدوداً في أي مكان.

لقد كان بعض غير المسلمين -من المسيحيين مثلاً- عندما يطالعون "نهج البلاغة" يقولون: "لو كان لدينا نهج البلاغة لفتحنا العالم على المستوى الفكري".

علماً أن نهج البلاغة يمثل جزءاً صغيراً من كلمات أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) لا كلها؛ فإذا وضعنا هذا الكتاب إلى جانب سائر الكلمات المجمعة

المسلمين أن يعلموا ويدركوا ويفهموا أن للمسلمين أعداء. قد يقول البعض إننا يمكننا التواصل مع الآخرين بناءً على المصالح المشتركة، لكن هناك فئة تعادي أساس الإسلام وتسعى للقضاء عليه. انظروا إلى ما يسمى بـ «حرب الـ 12 يوماً»، ونحن نعتقد أنّها حرب الثلاثة عشر يومًا (1+12)، فهي كانت حرباً لمدة 13 يوماً؛ ذلك اليوم الذي أتوا فيه ليحرقوا المصحف والمساجد والحوزات العلمية وهذه الأماكن، فهؤلاء جاؤوا لمحاربة الإسلام.

إن الحرب على الدين -وفي حديثنا هنا الحرب على الإسلام- كانت قائمة عبر التاريخ بأشكال مختلفة؛ والسبب هو أنه إذا طُبق الإسلام بمعناه الحقيقي،

في المصادر الأخرى، وكلمات الأئمة المعصومين والنبي الأكرم، فإن هذه المجموعة تشكل منشوراً للحياة الإنسانية، يعرّف «نمط الحياة» بمعناه الدقيق.

وأودّ في الواقع التأكيد على أن حياة إمامنا الشهيد هي بذاتها نموذج عملي لنمط العيش الإسلامي؛ نموذج عملي من الناحية الفكرية، والعقائدية، والسلوكية، والإدارية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية. يمكنكم طرح شخصيته من أبعاد مختلفة كقدوة للمجتمع الإسلامي في تعليم نمط العيش. وبالطبع، فقد ذكر سماحته في بيان «الخطوة الثانية» سبع توصيات: أولها التقدم العلمي، والثانية الأخلاق والمعنوية، والثالثة تحقق العدالة، والرابعة مكافحة الفساد، وصولاً إلى السابعة حيث يقول إنها قضية «نمط العيش»، وهو نفسه يمثل نموذجاً كاملاً لنمط العيش في هذا المجال.

وهذا أمر بالغ الأهمية يجب أن نلتفت إليه؛ فهو يتطرق إلى تحديات العالم الإسلامي: لماذا يسود الفقر في العالم الإسلامي؟ ولماذا يسود الجهل؟ لقد كان العالم الإسلامي يوماً ما مركز ثقل العلوم، بل إن العالم الغربي استمد هذا العلم من العالم الإسلامي، وهو أمر يمكن إثباته تماماً في فلسفة العلم. لماذا التمييز؟ لماذا يعيش البعض تحت خط الفقر في هذه الدول المسلمة بالذات؟ لماذا يجب أن تصنف الدول المسلمة ضمن العالم الثالث؟ ولماذا لا تمتلك القوة السياسية الأكبر في النظام العالمي؟ ولماذا لم نحقّق ذاك النمو العلمي المنشود؟ ولماذا لم نصل في مواجهة الأعداء الألدّاء والمعاندين إلى ذلك المستوى من الردع الذي لا يجرؤ معه أحد أو يراوده الطمع في الهجوم على بلد إسلامي؟

لماذا لم نصل إلى هذه المرحلة؟ لأننا يجب أن ندرس أنفسنا مجدداً، ونعيد مراجعة طاقاتنا ومواردنا، سواء الموارد الطبيعية أو البشرية، وكلاهما مما أكد عليه الإمام الشهيد. نحن نملك طاقات عظيمة في الموارد الطبيعية والبشرية وفي النمو العلمي. وتلاحظون في هذا الصدد تأكيد سماحته على ضرورة رفع مستوانا من خلال هذه الموارد البشرية لتحقيق النمو العلمي، ضارباً النموذج بإيران الإسلامية؛ ففي بداية الثورة كانت رتبة إيران العلمية 57، أما الآن فهي 15، وفي بعض التخصصات تحتل المرتبة العاشرة، وفي أخرى هي ضمن الدول الخمس الأولى عالمياً. لقد وصلت إلى هذا الحد من النمو بحيث أصبحت اليوم «أم القرى» للعالم الإسلامي على مستوى العلم والرّدع. لقد كان ذلك نتيجة لهذه التوجهات. والإمام الشهيد يريد في هذه اللقاءات التأكيد على هذه الطاقات، والنقطة الأساسية هي أن تعتبروا الأئمة العامل الأهم لهذا الارتقاء.

عندما يقيم الإمام الشهيد مجالس عزاء الأيام الفاطمية، فإن السيدة فاطمة (سلام الله عليها) حين تصل إلى فلسفة الإمامة تقول: إن هذه الإمامة هي التي توجد نوعاً من الأمن للأمة الإسلامية، «أماناً للفُرقة»، وهي نوع من الأمن، و«طاعتنا نظاماً للملة»، فبإمكانها أن تجعل الأمم كافة مرتبة، ومنظمة، ومقتدرة، وقوية. وأساساً فإن مسألة «نظام الإمامة» من وجهة نظرنا ليست محصورة بالشيعة؛ فالإمام هو إمام المسلمين جميعاً، بل نحن نطرح هذا البحث في المجال الكلامي ونقول: «السلام عليك يا إمام الإنس والجن»، أي أننا نعتبر الإمام إماماً للإنس والجن، وهذا يعني أن الإمام ليس لفئة خاصة فحسب.

نعم، الشيعة يمكنهم تحقيق أكبر قدر من الاستفادة نظراً لرؤيتهم التي تعتبر الإمام معصوماً، ولذا يعتبرون كلام الإمام حجة من الناحية العلمية، ويستخدمون كلامه في الروايات لاستنباط الأحكام، سواء في الجانب الأخلاقي أو العقائدي وفي المعارف الإلهية. وعندما ننظر في كتب مثل كتاب المرحوم الكليني، وكتب المرحوم الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، والكثير من العظماء، والكتب الأربعة القديمة والجديدة، فإننا إذا علمنا أن هذا الكلام هو كلام المعصوم نعتبره حجة؛ وفي تعريفنا للسنة نقول إنها: «فعل وقول وتقرير المعصوم»، نبياً كان أو إماماً. لذا نحن نوسع هذا المفهوم ولا نحصره بالنبي الأكرم (صلوات الله عليه).

ونحن لو عرفنا الأئمة المعصومين حق المعرفة، فهم الهداة الشاملون للمجتمع البشري المعاصر؛ أي يجب أن يُعرف الأئمة (ع) بشكل صحيح، فنحن لم نستطع تعريفهم كما ينبغي، وكان لدينا ضعف وتقصير، وعلينا جبران هذا التقصير. يجب على علماء الإسلام الكبار تعريف الأئمة (عليهم السلام) للأجيال البشرية المعاصرة بشكل جامع ودقيق

وعميق. اليوم إذا تعرف المجتمع البشري على هذا الفكر وهذا السلوك وهذه الشمولية، فإن ذلك يمكن أن يمهد للمخرج من أي أزمة في المجتمع البشري الحالي؛ فلن نواجه أزمة أبداً، لا في العقيدة، ولا في الأخلاق، ولا في العمل والسلوك وأمثالها.

لذلك كان إمامنا الشهيد يتناول الأئمة (ع) في ذلك المؤتمر من هذا المنظور، وهذا أمر مهم للغاية، وعلينا أن نتعلم أنه بوجود الأئمة (ع)، فإننا نملك

قدوات كانوا أهل حوار وأهل منطق؛ فكانوا يناقشون ويطرحون الأسئلة، وأحياناً كان الطرف الآخر يقتنع وأحياناً لا. انظروا إلى تلك المناظرات والاحتجاجات التي خاضها الإمام الرضا (عليه الصلاة والسلام)، والإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام)، والوفود التي كانت تأتي لمحضر النبي وأحياناً لمحضر أمير المؤمنين (ع)؛ فعندما كان البعض يرى تلك الإجابات الدقيقة والعميقة والجامعة كان يهتدي، والبعض الآخر.. حسناً، ولم يكن الإمام يصرُّ على ذلك كثيراً. إنَّنا إذا عرفنا بالأئمة، فإنَّهم في الحقيقة -وبناءً على تعاليم أهل البيت عليهم السلام أنفسهم- يدعون البشرية إلى العدالة؛ وهل هناك أحد في المجتمع البشري يكره العدالة؟ لقد قيل يوماً إنَّ التعريف بأمير المؤمنين (ع) هو تعريف بالعدل، والتعريف بأمير المؤمنين (ع) هو تعريف بالروحانيّة. إنَّكم إذا طرحتم تلك المكانة المعنوية لأمير المؤمنين (ع) في العالم، فسيفتخر الجميع بنسبة جذورهم إليه؛ وذلك كلُّه بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، لأنَّ كل ما نقوله في حق أمير المؤمنين (ع) إنَّما هو بَعد النبي (ص)، وهو (عليه السلام) نَفسُ النبي (ص)، والنبي الأكرم (ص) قد قدَّم نَفسَه للعالم بَعده من حيث الهداية العلمية والمعنوية والمرجعية الروحية.

لذا فإنَّ جميع المسلمين يعتقدون بالمرجعية العلمية للأئمة، باستثناء فئة قليلة لا مكانة لها ولا قاعدة، كالنواصب وأمثالهم في السابق؛ وإلا فإنَّكم إذا نظرتم إلى المذاهب الأربعة، لوجدتم أنهم كانوا يكنُّون المودة للأئمة وكانوا تلامذة لهم، سواء بالواسطة أو من دونها. ومن هذا المنطلق، عندما تنظرون إلى أئمتنا، تجدون أنَّهم مقبولون لدى الجميع من حيث المرجعية العلمية، ومقبولون لدى الجميع من حيث المرجعية المعنوية.

سؤال

لقد توليتم لعدة سنوات إمامة ورئاسة مركز الإمام علي الإسلامي في فيينا بالنمسا، وشغلتم المنصب ذاته لسنوات أطول في مركز الإمام علي الإسلامي في هامبورغ؛ ومن الطبيعي أن تكون لكم مراودات مع العلماء والمراجع وكبار الشخصيّات والبيوتات، ومن المحتمل أنكم قدمتم تقارير لإطلاع المراجع الدينية على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (ع) في مختلف أنحاء العالم. فهل حدث أمر مشابه في تعاملكم مع الإمام الشهيد؟ وهل لديكم ذكرى في هذا الصدد؟ نحن في خدمتكم.

كانت علاقتنا المباشرة من خلال اللقاءات الشخصية التي كنا نتشرف بها بلقاء سماحته، أكثر في الفترة التي تلت تولينا منصب إمامة الجمعة في مدينة كرج، حيث كنا نتشرف بلقاء سماحته بين الحين والآخر.

سؤال

هل إمام جمعة كرج مُعيّن من قبل قائد الثورة الإسلامية أيضًا؟

يحظى بتأييد القائد؛ فبالطبع قبل أن تصبح محافظة، كان من الضروري أخذ رأي القائد لأنها مدينة كبرى، وتعرف بـ«إيران الصغيرة» نظراً لوجود كافة القوميات فيها، بل وحتى بعض الجنسيات المختلفة، لذا فإنّ رأي سماحته له أهميته هناك. وقد فصلت في أماكن أخرى كيف انتقلنا من قم حيث كنت منقطعاً تماماً للدرس والبحث؛ علماً أنني لم أترك التدريس أبداً سواء حين ذهبنا إلى كرج أو حتى خلال تواجدنا في أوروبا، والآن أيضاً أحد مهامنا هو «المواساة العلمية» بتوفيق من الله، وبالطبع ليس كمن هم منقطعون كلياً للعلم، فنحن نقوم أيضاً ببعض الأعمال الثقافية والدينية. أما المهام التنفيذية فلم نقبل بها، وحتى في المجمع العالمي لأهل البيت يتم التركيز نوعاً ما على هذه الشؤون الدينية وأمثالها.

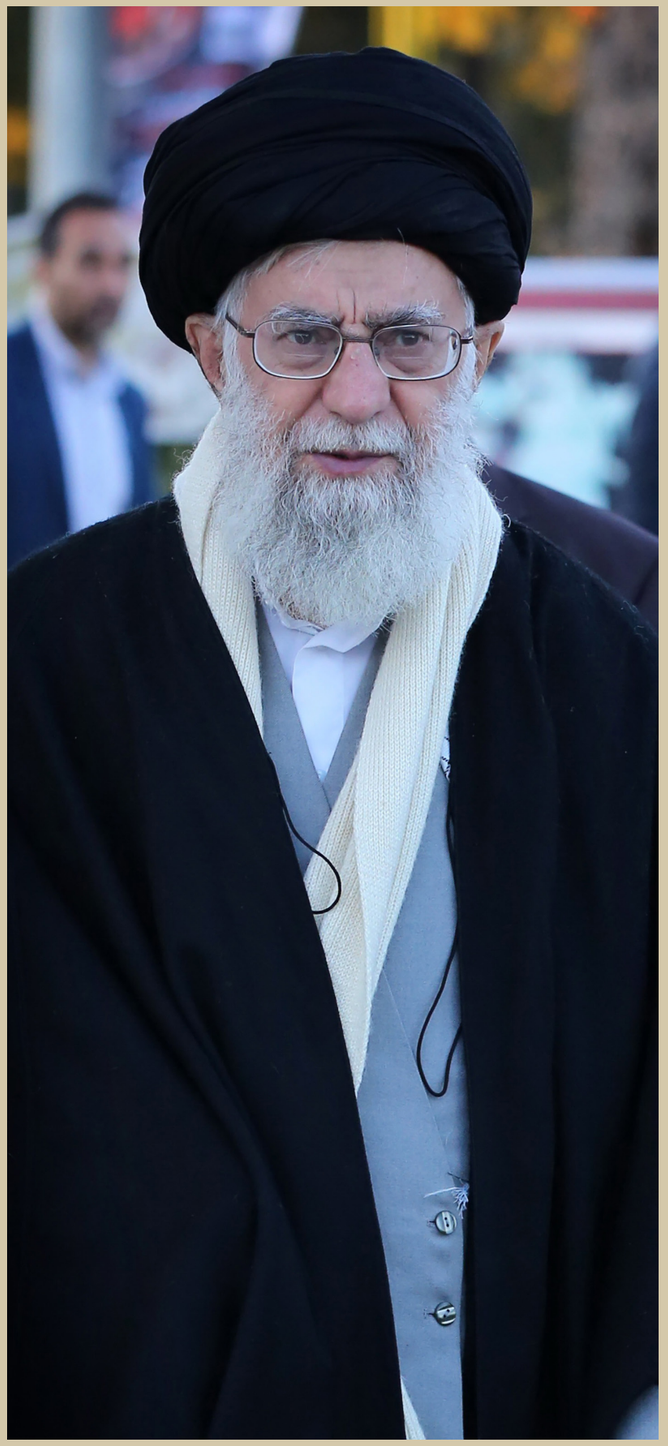

لقد تشرفنا بلقاء سماحته مراراً سواء للصلاة، أو في تلك الفترة التي كانت تقام فيها جلسات أسبوعية كل يوم اثنين؛ لم نكن نوفق دائماً، ولكن كلما سنحت الفرصة كان يُؤذن لنا باللقاء. وفي كل مرة كنا نستطيع فيها حضور صلاة يؤمّها سماحة السيد –إمامنا الشهيد– كنا نتشرف بالحضور ونستفيد من صلاته وتوجيهاته، وأحياناً كان يتفضل بذكر نقاط خاصة.

أما حينما كنا في فيينا لثلاث سنوات، قبل أن ننتقل إلى هامبورغ –مع استمرارنا

في إدارة مركز فيينا لخمسة أو ستة أشهر أخرى– فقد قدمت تقريراً، أظن ذلك كان في عام 2008م؛ فبين عامي 2008 و2009م، أي قبيل انتقالنا إلى هامبورغ، أُقيم معرض لمجمل الأنشطة في الخارج والمؤسسات التابعة للقيادة بشكل ما. وعندما وصل دور الإمام الشهيد لتفقد جناحنا الصغير وشاهد بعض الصور والأعمال هناك، قال: «إن الحضور الجماهيري كبير جداً». وحينها أوضح أحد الإخوة –وهو مسؤول القسم الدولي– أنه بعد وصول سماحة الشيخ (رمضاني)، أصبح حضور الإيرانيين هناك مكثفاً، واتسعت الأنشطة في المجالات الأخرى؛ دعا لنا كثيراً، وكان لدعائه ذلك أثر بالغ، ولطالما شملنا بعنايته في هذا الجانب.

وعندما انتقلنا إلى ألمانيا، فقد كانت دائرة العمل هناك تشمل أجواء «شنغن» وكانت أوسع بكثير. كنا نتشرف بلقائه بين الحين والآخر لتقديم التقارير. وفي إحدى الجلسات الثلاثية، وبعد أن تشرفنا بالحضور في محضره للصلاة، كان قد خُطط مسبقاً لعقد جلسة؛ فقال سماحته: «تفضلوا بالبقاء»، وذلك بعد لقاءاته مع الأفراد الذين كان يقابل كل واحد منهم لبضع دقائق، فقلنا: «سمعاً وطاعة». جلسنا هناك وكنا ثلاثة: سماحة السيد القائد، وأنا، ومسؤول القسم الدولي سماحة الشيخ القمي (حفظه الله).

وهناك قدمنا تقريراً عن هامبورغ وأنشطتها التي كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أنشطة المسجد، وأنشطة المركز الإسلامي، وأنشطة الأكاديمية. ذكرنا لسماحته في قسم أنشطة المسجد أن هذه الفعاليات قد توسعت؛ فأنشأنا جلسات للمعارف العامة، وكنا ندعو في محرم وصفر شخصيات قوية ومتمكنة لإلقاء المحاضرات، وفي شهر رمضان كنا نخصص الشهر كله لمباحث التفسير.

وبينما كنا نقدم هذه التقارير عن المسجد والحشود، وصلنا إلى التقرير الخاص بـ «الاعتكاف». حينها عرضنا التقرير وذكرنا أن ذلك كان في العام الثاني لتنظيمنا الاعتكاف هناك؛ فقد كان يُقام قبلنا لسنة أو سنتين ولكن ربما لم يكن مخططاً له بشكل مفصل. لقد رأينا في الاعتكاف فرصة ذهبية لتوسيع نطاق الروحانية المنبثقة من المعارف الإسلامية، فوضعنا له برنامجاً مفصلاً شمل «حلقات معرفية» بأربع لغات، وقراءة أجزاء القرآن، ومحاضرات بلغات متعددة، حتى صار الناس يأتون للاعتكاف من 15 أو 16 دولة، وبلغ الترحيب حدًّا جعلنا نلجأ للقرعة سنوياً. في ذلك العام، وحسب التقرير الذي قدمته في بدايات حضورنا –أي بعد سنة أو سنتين– قلت لسماحته إن هناك 120 شخصاً..

سؤال

كان ذلك في أوائل العقد الثاني من القرن الحالي؟

نعم نعم. ربّما في العام...

2010، 2011...

أحسنت، هكذا كان الأمر تقريباً؛ أي بعد عامين من استقرارنا هناك –علماً أننا بقينا هناك عشر سنوات– فبمجرد أن قلت «120 شخصاً»، قال سماحته: «120 شخصاً!». لقد كان يعرف الساحة الدولية جيداً، وفكرة أن يأتي 120 شاباً في أوروبا للاعتكاف، تاركين تلك الزخارف والمغريات الزائفة الموجودة هناك، كانت مثيرة جداً لاهتمامه.

ثم تفضل بالقول إنه في ذلك الزمان الذي كنا فيه في قم، حين كنا نعتكف في المسجد الجامع –أو لعله هو نفسه كان من المعتكفين– لم يكن العدد يتجاوز السبعة أو الثمانية أشخاص. لذا فإن ذلك العدد في أوروبا كان بارزاً جداً بالنسبة له ومثيراً للإعجاب، حتى بدا ذلك على ملامحه التي استبشرت وظهر

عليها ابتهاج كبير، وشعر بالسرور والحبور تجاه ذلك التقرير؛ لأنه كان تقريراً واقعياً نقلنا فيه الحقيقة كما هي.

ومن هذا المنطلق، كنت أسمع لاحقاً أن مثل هذه التقارير التي كانت تصله كانت تحظى برضاه. وبعد ذلك تكرر حضورنا في الصلوات التي كنا نقيمها خلف سماحته، وكانت تُتاح لنا أحياناً فرص لدقائق معدودة خلال تلك الصلوات، وأحياناً كان اللقاء حضورياً، وفي أحيان أخرى كانت التقارير تُقدم لمحضر سماحته عبر مسؤولي المكتب؛ حيث كانت التقارير المكتوبة تُسلم ليد مسؤول المكتب، سماحة السيد «حجازي» -وهو شخصية بارزة ومعنوية ويتبع نهج سماحة القائد تماماً في العمل- فكان يتفضل بتقديم التقارير إلى محضره، وصولاً إلى المباحث والمسائل الأخرى التي يطول شرحها...

أعتقد أنني أجريتُ عدة جلسات من الحوار حول هذا النوع من المراودات مع المؤسسة، ولذا أظنها مسجلة، وأرجح أنه سيتم الاستفادة منها في وقتها المناسب. ولكن واقع الأمر أن الحدث الأكثر مرارة في عام 2026م، بل وعلى امتداد تاريخ الثورة الإسلامية بعد رحيل الإمام [الخميني] -مع وجود فارق بطبيعة الحال- هو ما نعيشه الآن. فرغم أننا كنا في غاية التأثر والانقلاب النفسي عند رحيل الإمام، وأذكر تماماً أنني لم أكن أقوى على الحديث مع أحد لعدة أيام، إلا أننا في الحقيقة لم نُقم مراسم العزاء لإمامنا الشهيد بعد؛ وسيكون ذلك في وقته إن شاء الله بعد مراسم التشييع.

لكن ما أود قوله هو أن ما نشهده الآن من أحداث يتمثل في «انبعاث الشعب»؛ وهو أمر أشار إليه سماحته نفسه حين قال إن لهذا الخطاب أثماناً، وقد تتبعه أحداثٌ معيّنة، لكن الشعب يبعث من جديد، وبهذا الانبعاث ينجزون عملهم. وسيكون علينا مناقشة موضوع «انبعاث الشعب» هذا بشكل

مفصل عندما تتاح الفرصة. ولديّ جملة من النقاط في ذهني سأعرضها في حينها حول هذا الانبعاث.

لقد اتخذت جلساتنا في ليالي القدر، والمسائل التي طُرحت بشأن الإمام الشهيد، ومراسم عزائنا، صبغة ملحمية وفي إطار التوجه نحو المسار الصحيح للتاريخ. نسأل الله أن يمنحنا جميعاً الصبر؛ فدم هذا الشهيد دمٌ مولّدٌ للتيارات، ومطالبٌ بالحق. وكما ذكرنا، فقد كان مرجعاً، وقائداً، وإماماً، وفي اعتقادنا كان نائباً لصاحب الزمان (عج).

لقد كان أملنا دائماً أن هذا السفير سيمهد الظروف والأرضية، ويدعو الإمام [الحجة] للمجيء، تماماً كما فعل جناب مسلم [ابن عقيل]، غاية الأمر أن هناك تجلى غدر أهل الكوفة وذلك الجفاء، أما نحن ففي المقابل نرى وفاء هذا الشعب بكل أطيافه وفئاته، إذ نزلوا إلى الميدان وخاضوا غمار الميدان؛ وهذا حدث عظيم، بل هو معجزة في نظري، وهو في الواقع ضمانة ليس فقط للثورة في الداخل، بل لذلك الاقتدار في الساحة الدولية، ولعله مقدمة للحدث الأكبر، إن شاء الله. وإذا وجد هذا الإيمان وهذا الحضور وهذا الانبعاث، فسنكون المنتصرين في الميدان كما كنا حتى الآن، وهذا هو ما عزّز قدرتنا على الصمود طوال هذه الأعوام الـ47.

تلاحظون أن الشعب الإيراني كان صامداً طوال هذه الأعوام الـ 47، وقدّم الشهداء؛ خمسة شهداء، وأربعة، وثلاثة، قدموا أعزاءهم من الأطفال الصغار إلى الكبار، قدموا الجميع لكي تبلغ هذه الثورة وجهتها النهائية، ويتحقق ذلك الحدث العظيم إن شاء الله. ولذا ترون كيف أنها المرة الأولى التي تتحول فيها هذه التعازي إلى نوع من صناعة التيارات لاستمرار تلك الحركة الكبرى للثورة الإسلامية، التي هي حركة في مسار العدالة، ومواجهة الاستكبار، ومجابهة الغطرسة، ومواجهة التمييز والظلم والعبودية وأمثال ذلك.

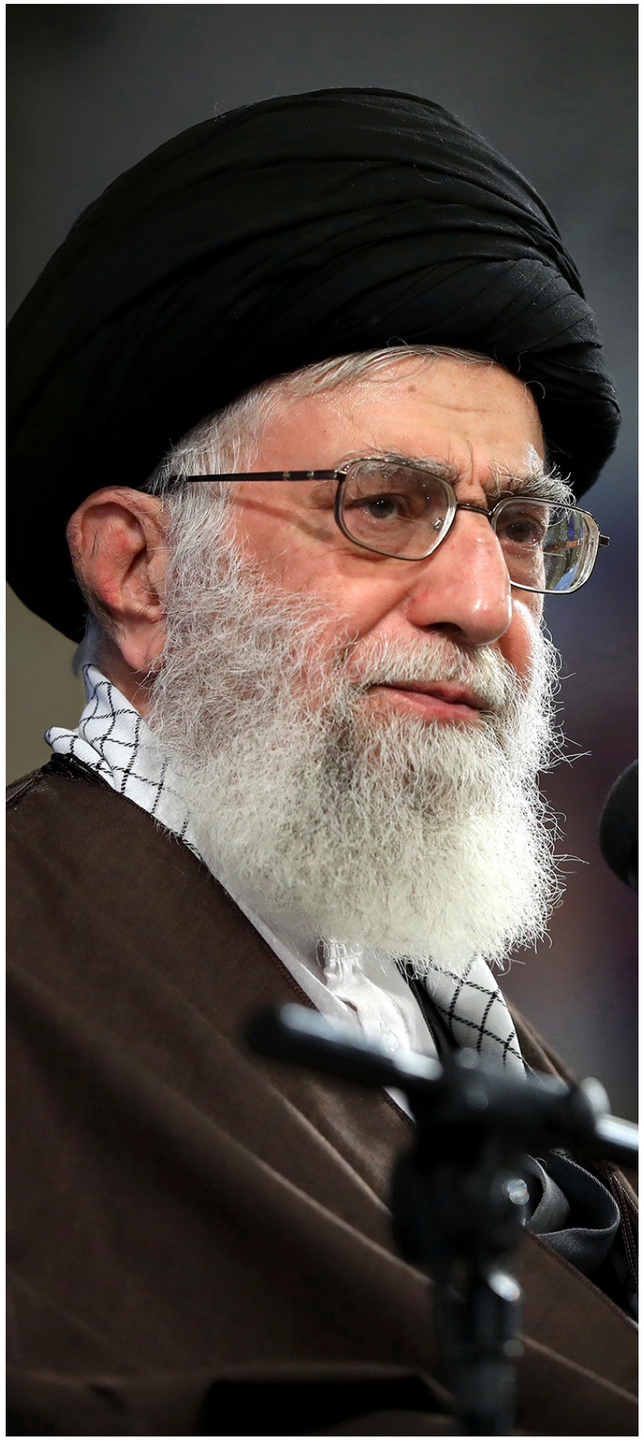

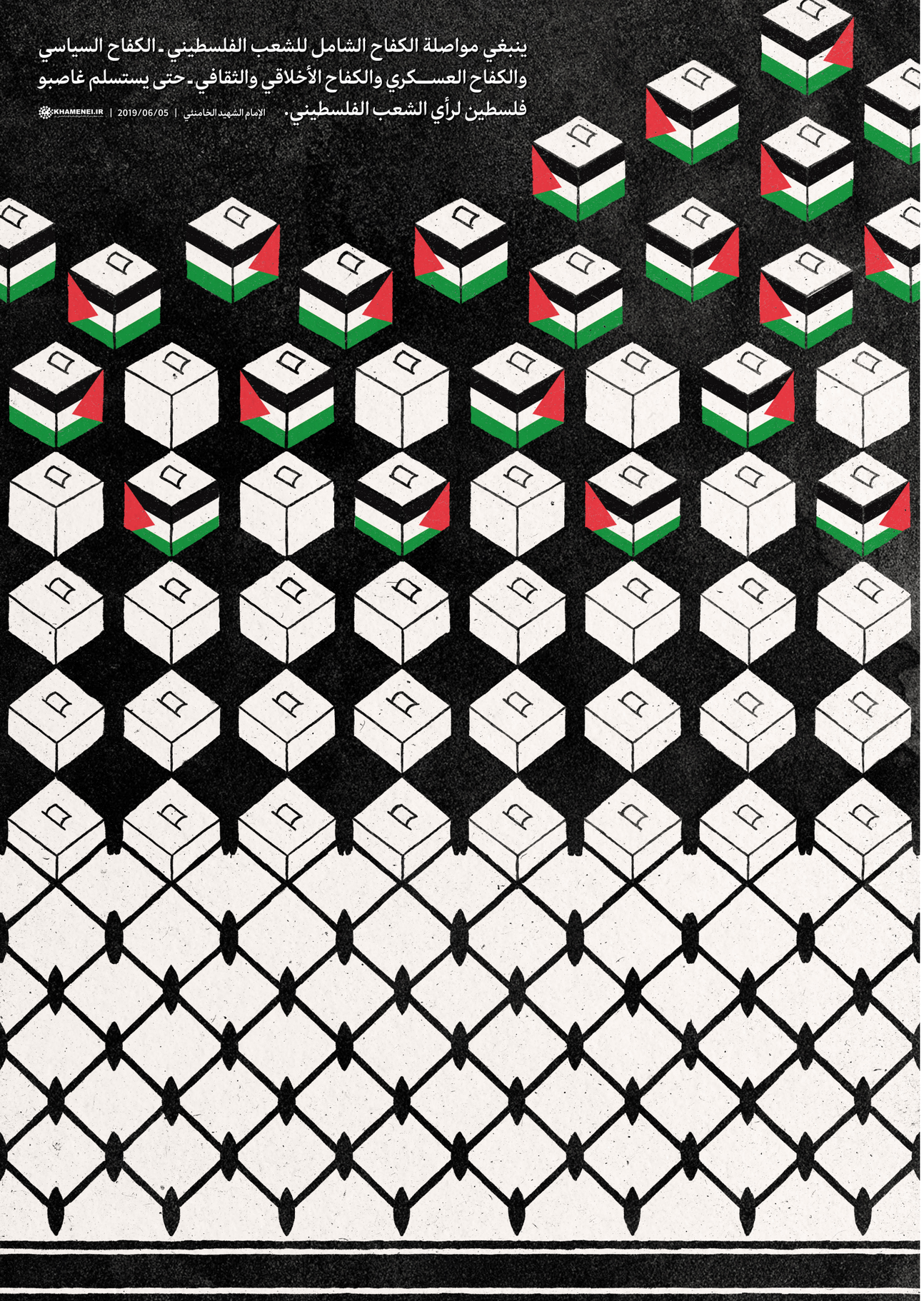

لتعلم
الحكومات
أنّه لا يتوفّر
الأمن لأيّ دولة بالاتكاء على
الكيان الصهيوني.
فلسطين ملكٌ للفلسطينيين،
ويجب أن تُدار بإرادتهم.
ما لم تعد فلسطين
إلى أصحابها، فلن تُحلّ مشكلة
غربي آسيا. يجب أن تستمرّ
لنضالات الشاملة للشعب
الفلسطيني حتى يخضع
مغتصبو **فلسطين لإرادة**
الشعب الفلسطيني.
نحن ندعم كلّ مَن يقف ويقاوم في مواجهة
التحركات الخبيثة **للكيان الصهيوني،**
أينما كان. **فلسطين** حيّة، وتواصل جهادها،
وبعون الله ستتمكّن في نهاية المطاف
من التغلّب على **العدو الخبيث.**
القدس الشريف
و**كلّ فلسطين** ملكٌ **لشعبها**، وستعود إليهم،
إن شاء الله؛ **«وذلك على الله ليس بعسير».**
"إسرائيل" ليست دولة، بل ثكنة إرهابية
ضدّ الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب المسلمة.
الإدارة الأمريكية أسيرة اليوم، وللأسف،
لطلسم الصهيونية في مختلف المجالات؛
المالية والإعلامية والثقافية وغيرها.
كلّ ضربة تُوجَّه إلى **الكيان الصهيوني**
هي خدمة للمنطقة بأسرها،
بل للبشرية جمعاء.
أول خطوة في **اتحاد**
العالم الإسلامي
ضدّ هذه العصابة الإجرامية
التي تحكم **فلسطين،**
هي أن تقطع الدول الإسلامية
علاقاتها الاقتصادية
بالكامل
مع هذه
العصابة.

KHAMENEI.IR

حل قضية فلسطين

قضيّة فلسطين ليست مجرّد قضيّة إسلاميّة، بل هي إنسانيّة أيضاً... 2023/4/22 إنّ كلّ شخص في العالم، مسلم أو غير مسلم، يعلم بحقائق الأحداث في فلسطين، سيتصدى للكيان الغاصب ويواجهه. 2023/4/22
الكيان الصهيوني كيانٌ غير شرعي، وقد أُسّس هذا الكيان على أساس باطل. 2018/6/15
إنّ بلداً مستقلاً ذا هوية تاريخية واضحة اسمه فلسطين قد اغتُصِبَ من شعبه في إطار مؤامرة مُرعبة غربية بزعامة بريطانيا في عقد الأربعينيات من القرن العشرين، ومُنِحَ بقوة السلاح والقتل والخداع لجماعةٍ هُجّر معظمهم من البلدان الأوروبية. تَرافقَ هذا الغصب الكبير... مع ارتكاب مجازر بالناس العزّل في المدن والقرى... 2012/8/30
الشعب الفلسطيني لديه ثقافة وتاريخ وتجربة وحضارة. لقد عاش هذا الشعب في هذه الأرض آلاف الأعوام، ثم تأتون أنتم لتخرجوا هذا الشعب من بيته ومدنه وتفصلوه عن تاريخه! ثم تجمعون شرذمة من المهاجرين والمشردين وخليطًا من الناس والانتهازيين من بلدان العالم وتصنعون شعباً مزيّفاً من العدم! 2000/10/20
أثبتت "إسرائيل" أنها لا تفهم سوى لغة القوة. 1991/10/19 لا يمكن التحدّث مع عدوّ متوحّش إلّا باقتدار ومن موقع القوة. 2020/5/22 العلاج يكمن في المقاومة الحاسمة والمسحلة ضد هذا الكيان؛ يجب أن يظهر الفلسطينيون يد القوة في مواجهة الكيان الصهيوني. 2014/7/23 لا سبيل لحل قضية فلسطين وإنهاء معاناتها إلا بالنضال. 2010/2/27

إنّ من جملة الأساليب التي يستخدمها الصهاينة وحماتهم الذين تعدّ أمريكا أهمّهم، هو استغلال مصطلح «السلام» الجميل يقولون: اذهبوا إلى السلام. ما هذا الكلام؟ نعم؛ السلام أمر جيد جدًا، ولكن أيّ سلامٍ ومع مَن؟ دخل شخص بيتك، كسر الباب بالقوة وضربك وأهان زوجتك وأبناءك واستولى على غرفتين ونصف من غرفك الثلاث وجلس فيها، ثم يقول لماذا تشتكي باستمرار لهذا وذاك؟ لماذا تنازعون وتحتجّون باستمرار؟ تعالوا لنصنع السلام. وهل هذا سلام؟ 1999/12/31
لا يمكن تنفيذُ أيّ مشروعٍ بشأن فلسطين في غيابِ أصحابها أي الفلسطينيين، أو في تَعارُضٍ مع وجهة نظرهم. هذا يعني بُطلانَ الاتفاقياتِ السابقة كلها مثل أوسلو وحَلّ الدولتين أو صَفْقَةِ القرن أو التطبيع المذلّ الأخير. 2022/4/29
ما ندعو إليه هو تحرير فلسطين وليس تحرير جزء من فلسطين. أيّ مشروع يريد تقسيم فلسطين هو مرفوض فوراً. مشروع الدولتين الذي خلعوا عليه لبوس الحق المتمثل في «الاعتراف بحكومة فلسطين عضواً في منظمة الأمم المتحدة» ليس سوى الرضوخ لمطلب الصهاينة، أي «الاعتراف بالدولة الصهيونية على أرض فلسطينية». 2011/10/1 اليوم، تعدّ الديمقراطية واستطلاع الرأي العام أسلوبًا حديثًا ومتقدمًا يقبل به العالم كلّه. حسنٌ جدًا، فلتستطلعوا الرأي العام لدى الناس في فلسطين من أجل تحديد نوع الحكومة في دولة فلسطين التاريخية، ولتجروا استفتاءً عامّاً. 2018/6/10 ليُستفتى الناس في فلسطين كلّهم من مسلمين ومسيحيين ويهود فلسطينيين، والذين أُبعدوا ونُفوا إلى خارج فلسطين، وليحدد هؤلاء النظام الذي سيحكم فلسطين، وليرضخ الجميع لذلك. 2019/6/5 [الاستفتاء] منطقٌ مقبول وحضاري

أن يتبناه العالم لإدارة فلسطين. 2023/11/29 هذه هي الديمقراطية. أَوتصلح الديمقراطية للعالم بأسره، ولكنها لا تصلح للشعب الفلسطيني؟ كيف يحق لشعوب العالم التدخّل في تقرير مصيرها ولا يحق ذلك للشعب الفلسطيني؟ 2002/4/5 ينبغي مواصلة الكفاح الشامل للشعب الفلسطيني - الكفاح السياسي والكفاح العسكري والكفاح الأخلاقي والثقافي - حتى يرضخ غاصبو فلسطين لرأي الشعب الفلسطيني. 2019/6/5 قد يقول بعض الأشخاص: حسناً، ما تطرحونه يرفضه الكيان الصّهيوني ولن يرضخ له. نعم، نعلم أنّه لن يرضخ... أحياناً لا ترغب حكومة ما أو دولة ما في شيء معيّن ولكنّه يُفرض عليها وتُضطرّ إلى تنفيذه... إذا أصرّت فصائل المقاومة على إرادتها وأظهرت عزماً راسخاً وقراراً جاداً، فسوف يتحقّق هذا الأمر دون أدنى شكّ. 2023/11/29 بعض الأشخاص يستبعدون ذلك ويقولون كيف يمكن لفلسطين أن تستقلّ بعد سبعين عاماً؟ لقد استقلّت بلدان البلقان وبعض البلدان الأخرى أيضاً بعد ستين عاماً أو سبعين عاماً من احتلال الآخرين لها، وعادت إلى شعوبها. 2019/11/15 دول القوقاز كانت في يد روسيا القيصرية قبل مئة عام من تأسيس الاتحاد السوفيتي، ولكنها عادت ونالت الاستقلال؛ فها هي كازاخستان وأذربيجان وجورجيا وغيرها مستقلة وموجودة. إذاً، هذ الأمر ممكن. 2002/4/5 تنبغي مواصلة الكفاح الشامل للشعب الفلسطيني... حتى يرضخ غاصبو فلسطين لرأي الشعب الفلسطيني. 2019/6/5

الدكتور خالد القدومي

ممثل حركة حماس
في طهران

كان السيد الخامنئي يرى في القضية الفلسطينية – وفي فلسطين على وجه الخصوص – قلبَ العالم الإسلامي؛ وفي قلب هذا العالم تقع القدس، وفي قلب القدس تتجلى المقاومة، متمثلةً في حركة حماس وسائر فصائل المقاومة الفلسطينية. لذلك، حين كان يتحدث عن نصرة القضية الفلسطينية، كان يطرحها دائمًا بوصفها قضيةً جامعة؛ فالجميع يعلن محبته لفلسطين ويعبّر عن رغبته في دعمها، ومن هنا فهي المشروع القادر على توحيد مختلف الأطياف. وهذا الفهم امتدادٌ لإرث مؤسس الثورة الإسلامية؛ إذ إن فكرة يوم القدس العالمي في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك تمثل بحد ذاتها مبادرة جامعة توحّد العالم الإسلامي حول قضية عادلة ونبيلة هي القضية الفلسطينية.

وعندما ترأس الاجتماع الأخير لدول عدم الانحياز الذي عُقد في طهران، شدّد الشهيد السيد الخامنئي على ضرورة توحيد الجهود، لا على مستوى الدول الإسلامية فحسب، بل على مستوى جميع الدول التي تنصر الحق الفلسطيني وتقف إلى جانب المستضعفين. وذكّر تلك الدول بمسؤوليتها الإنسانية التي تقتضي منها أن تتكاتف لنصرة هذا الحق، كما طرح تساؤلًا جوهريًا: لماذا لا يُمنح الشعب الفلسطيني حقه في أن يقرر مصيره بنفسه ويتخذ قراره بيده؟ مؤكدًا أن ذلك حق أصيل لا يجوز إنكاره.

أبومجاهد

الناطق باسم لجان المقاومة الشعبية في فلسطين

لقد كان تأثير الإمام الشهيد آية الله خامنئي وحضوره كبيرا بين كافة الفصائل والتيارات والنخب المقاومة واستطاع من خلال هذا الحضور القوي والفاعل أن يوحد كافة الجهود لكافة الأحرار في الأمة والعالم الإسلامي الأجمع باتجاه قضية مصيرية واحدة هي قضية الإنتصار للحق والعدالة في وجه الظلم والعدوان والطغيان والاستكبار والاحتلال وأصبحت القصية الفلسطيني وقضية القدس والمسجد الأقصى هي قضية مركزية واولوية عنده ومحور ومركز عمله. لقد كان الامام الشهيد آية الله خامنئي يعتبر ان من اهم اولويات العمل له هو تمكين فصائل المقاومة في لبنان وفلسطين بكل ما يمكن من اجل ان تصل هذه القوى وتصبح الى قوة حقيقية فاعلة وتعمل بعقل وقلب واحد لتكون قادرة للتصدي للعدو الصهيوني وحلفاؤه من دول الغرب الظالم فهو رحمه الله كان دائما عند لقائه مسؤوليه فصائل المقاومة يسعى للوصول بها الى مرحلة الند للكيان عبر دعمه بالسلاح والخبرات والعلمية والافكار من اجل ان تكون قادرة على الوقوف بوجه الكيان الصهيوني. لقد عمل الشهيد آية الله خامنئي طول توليه مقام القائد العام والمرشد للثورة الإسلامية على توحيد كل الجهود الممكنة من أجل الوصول الى وحدة إسلامية حقيقية تقف في وجه الكيان الصهيوني وداعميه من قوى الطغيان والاستكبار العالمي.

إحسان عطايا

عضو المكتب السياسي لحركة
الجهاد الإسلامي في فلسطين

تتميز نظرة الإمام السيد علي الخامنئي الثاقبة إلى القضية الفلسطينية بأنها تجمع بين البعد العقدي الديني المستند إلى القرآن الكريم، والبعد السياسي الإستراتيجي المستند إلى التاريخ والواقع الراهن. فهو يعتبر فلسطين قضية مركزية للأمة الإسلامية، ومؤشراً لقياس الوضع الحالي في العالم المعاصر؛ حيث يربط بين تحرر الفلسطينيين والمستضعفين في العالم، باعتبار أن تحرير فلسطين سيكون مدخلاً طبيعياً لسقوط منظومة الاستكبار العالمي. وعلى المستوى السياسي، قدم مبادرة سُجلت في الأمم المتحدة تحمل طرحاً ديمقراطياً حديثاً كحل سياسي للقضية، يعتمد على استفتاء شعبي عام يشارك فيه جميع سكان فلسطين الأصليين من مسلمين ومسيحيين ويهود لتقرير مصيرهم ونظامهم السياسي. أما على المستوى العسكري، فقد أوصى بتسليح الضفة الغربية في الوقت الذي كان فيه الجهد العسكري مركزاً في قطاع غزة؛ لتتسع دائرة المواجهة وتنتقل إلى العمق الإستراتيجي لكيان الاحتلال، وتتحول من حالة الدفاع ضمن منطقة جغرافية محاصرة إلى حالة الهجوم والمقاومة في قلب المشروع الصهيوني.

عدنان عبدالله الجنيد

الكاتب والباحث اليمني

قضية الثأر لم تعد مجرد مسألة عاطفية أو رد فعل عسكري، بل صراع وجودي واستراتيجي بين محورين: محور الخير الذي يتبع نهج الله وأنبيائه العظام والأئمة الاطهار وأولياء الله، ومحور الشر الذي يتمثل بإبليس والمجرمين والطغاة والاستكبار العالمي والشيطان الأكبر (أمريكا). إن الثأر للشهيد القائد ليس مجرد رد فعل عابر، بل هو قرار استراتيجي لتغيير قواعد الاشتباك في المنطقة. دماء الشهداء رسمت حدوداً جديدة لا يجرؤ الاستكبار على تجاوزها، وتحول الثأر من شعور وجداني إلى خطة منظمة تهدف إلى إنهاء الهيمنة الأحادية وتدفيع المعتدِ ثمناً جيوسياسياً باهظاً يفوق قدرته على الاحتمال. الله وعد بالنصر لعباده: {لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيَ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيز} [سورة المجادلة: 20] والتحرك وفق التوجهات الإلهية هو الطريق لتحقيق هذا النصر، والله توعد بالانتقام من المجرمين: {إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} [سورة السجدة: 22] كما انتقم الله من فرعون ولوط على يد رسله، سينتقم من الظالمين في هذا العصر، من يقتل الأطفال ويسعى بالفساد في الأرض، على يد الربانيين الملتزمين بالنهج الإلهي، ومن اعتدى علينا أمرنا الله بالرد بالمثل: {فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} [سورة البقرة: 193]. الفشل التقني للعدو يعيد صياغة موازين القوى، وينقل التفوق النوعي إلى أيدي الأحرار، مما يضع مصالح المستكبرين في دائرة الخطر الدائم وغير القابل للاحتواء.

لياقت بلوتش

نائب أمير الجماعة الإسلامية
في باكستان

إنّ قائد جمهورية إيران الإسلامية، السيد علي الخامنئي، الذي كان أيضًا عالمًا دينيًا كبيرًا، وقائدًا ومرشدًا لجمهورية إيران الإسلامية، تعرّض لعدوانٍ ظالم من أمريكا و"إسرائيل"، ونال الشهادة. وهذه الحادثة لها ثلاثة أبعاد:أولًا: إنّ السيد علي الخامنئي قد نال مقامه الرفيع. فقد قضى عمره كلّه في السعي والجهاد المخلص، والله منحه مقام الشهادة العظيم. ثانيًا: إنّ هذه الحادثة ليست خسارةً لشعب جمهورية إيران الإسلامية وحده، بل هي ثلمة كبرى للعالم بأسره، وقد شُعِرَ بهذا الحزن بعمق في العالم الإسلامي. ثالثًا: إنّ وجه الاستعمار العالمي الأمريكي-الإسرائيلي قد انكشف تمامًا؛ أنّهم متوحشون، ولا يلتزمون بأي قانون دولي. وحتى وفقًا لميثاق الأمم المتحدة، فإنهم غير مستعدين للالتزام بأي مبدأ. من هذا المنطلق، أرى أنّ استشهاد السيد علي الخامنئي، مع كونه خسارةً كبيرة، فإنه في الوقت نفسه يرسم للمستقبل مساراتٍ مهمة. استشهاد القائد، إن شاء الله، سيكون مصدر عزمٍ جديد ودافعٍ متجدّد للجميع. لقد كانت المعركة الأساسية لآية الله الخامنئي هي وحدة الأمة الإسلامية. فقد كان يؤمن إيمانًا راسخًا بوحدة العالم الإسلامي.

الشيخ سهيل الأسعد (إدغاردو روبين)

الناشط والخبير الدولي في مجال الفنّ والثقافة

كان ثوريًّا حاضرًا في السّاحة

سؤال

نرجو منكم أن تصفوا القائد الشهيد للثورة الإسلاميّة من وجهة نظركم باختصار.

يمكنني القول إنّ الإمام الشهيد الخامنئي كان «آية من الله». برأيي، إنَّ اسمَ وعنوانَ شهيدنا العظيم يُفصحُ إلى حدٍّ ما عن كنهِ معناه؛ فقد كان «آية الله»، وأعتقد أنَّ هذا يعني «بيّنةً من بيّنات الله». فحينما كان المرءُ يراه، ويسمعه، ويقتفي أثر مسيرة حياته، كان يدرك أنه يقف أمام آيةٍ من آيات الله. وكان «سيداً»؛ أي من نسل النبي (ص)، رجلاً شهماً، وإنساناً نبيلاً بحق، وشريفاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى. كان عنوانه «السيد علي الحسيني الخامنئي»؛ فكان «علياً» لأنه جسّد في فكره وأيديولوجيته نهج الإمام علي (ع)؛ نهج العدالة، ودرب الإنسان الإلهي. لقد كان إماماً عظيماً وقائداً كبيراً.

وكان «حسينياً»؛ أي تابعاً لنهج جده الإمام الحسين (ع)، طريق «لا للذلة»، حتى وإن كان الثمن حياته، تماماً كما نال فيض الشهادة. لقد واصل مسار الكفاح ذاته، وبقي لأكثر من أربعين عاماً في خندق المواجهة وحده؛ وكان العدو الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وفي صراعٍ مستمر معهما منذ بزوغ فجر الثورة وحتى آخر رمقٍ من حياته، يوم نال وسام الشهادة.

بناءً عليه، فإنَّ كلَّ هذه العناوين تُبيّن من هو: قائدٌ، وسيدٌ، وآيةٌ من آيات الله، علويٌّ سار على نهج علي، وحسينيٌّ أتمَّ مسيرة الحسين (عليه السلام).

سؤال

في إحدى خطاباته، أشار الإمام الشهيد الخامنئي إلى آية من القرآن الكريم قائلاً: «إنَّ النظام الإسلامي يؤمن بكرامة الإنسان؛ الإنسان بما هو إنسان، لا إنسان منطقة معينة، أو عرق معين، أو لون معين. {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}؛ هذا هو القرآن؛ فالأسود في منطقة ذوي البشرة السمراء هو أيضاً من «بني آدم»؛ لا فرق أبداً. إنَّ منطق التمييز هذا، الذي نشره الغربيون وعملوا به بشكل فاضح ولا يزالون يواصلونه حتى اليوم، هو ضد القرآن وضد الإسلام مئة بالمئة؛ والنظام الإسلامي يعارض هذا المنطق». 17/08/2023 إلى جانب الأبعاد الشخصية والفكرية الأخرى للقائد الشهيد، كانت مسألة

الإنسانية تحظى بمكانة خاصة في منظومته الفكرية. كيف تنظرون إلى هذه القضيّة؟

استُشهد في سبيل قضيّة فلسطين

في اعتقادي، إنَّ تاريخ القائد الشهيد العظيم وماضيه الثوري ينبئان بوضوح عن معنى إنساني عميق في حركته. لقد تحدث دائماً منذ بزوغ فجر الثورة – استمراراً لنهج الإمام الخميني (قده) – عن أهمية الشعب؛ ذلك المسار الذي يُعد فيه «الناس» العنصر الأهم في النهضة والثورة. لقد جاهد من أجل شعبه، وعاش لأجله، وفارق الدنيا في سبيله.

أما في المرحلة الثانية، فقد كان ينظر للإنسان بنظرة إنسانية؛ بمعنى أنَّ الناس لم يكونوا مهمين لديه بوصفهم قوماً ينتمون إليه عرقاً أو ثقافةً أو تاريخاً أو جغرافيا، بل بوصفهم «بشراً». ولهذا السبب، **نراه قائداً للفلسطينيين بقدر ما هو قائد للإيرانيين. ويمكن القول إنَّ جانباً كبيراً من شهادته، وحياته الثورية، وكل ما تحمله في مواجهة الولايات المتحدة وإسرائيل، كان لأجل قضيّة فلسطين.** لقد أرسى دعائم إيران الداعمة لفلسطين، وشيّد قيادة ثورةٍ مناصرة لفلسطين.

وهذا مرده إلى ذلك المعنى الإنساني عينه؛ فالفلسطينيون ليسوا من مدرسته الدينيّة (أي المذهب الشيعي)، ولا من جغرافيته أو قوميته، فهم ليسوا من شعب إيران ولا من الفرس. ومع ذلك، فقد بذل روحه لأجل إنسانٍ عربي، ولأجل إنسانٍ سني، وهذا هو الجوهر الإنساني لحركته: أننا ننهض لأجل الإنسان، ونقاتل لأجله، ونعيش لأجله، ونموت لأجله.

لقد تجلى هذا الموقف لأمريكا اللاتينية حين عانت فنزويلا من ضعف اقتصادي بسبب العقوبات الأمريكية، فكان هو أول من ساندها؛ حيث أرسل المساعدات الإنسانية، ومد يد العون في قضية النفط والتصدير، وسيَّرَ السفن من إيران.

بناءً على ذلك، فإن روح الدفاع هذه، وروح النهضة والكفاح والثورة، تقوم جميعها على ركيزة «الإنسان». وهذا يجسد معنى أن تكون قائداً للبشرية.

ولهذا السبب، فإن مسار ثورته هو مسار قيادةٍ للبشرية؛ بمعنى نقل القيم الإنسانية للآخرين

ليفعلوا ما فعله الشعب الإيراني. ومن هنا كان سماحته يقول دائماً إن تدويل الثورة أو عولمتها أو تصديرها لا يعني «تفريُس العالم» وجعله إيرانياً، بل يعني تصدير نموذج للنهضة الإنسانية، لكي تتعلم الشعوب الأخرى من المجتمع الإيراني كيف تثور في وجه الطاغية والظالم.

سؤال

أشار الإمام الشهيد الخامنئي في رسالةٍ له بمناسبة رأس السنة الميلادية عام 1988م إلى أنَّ «الأجهزة الجبارة التي ناصبت العداء في ذلك الزمان بكفرٍ صريح أو بإيمانٍ ظاهري منمق، وقطعت طريق الناس إلى نبع النور والمعرفة ذاك، لا تزال اليوم أيضاً تعارض وتناصب العداء طريق المسيح وقيمه الإلهية التي هي طريق العدالة والإنسانية والمحبة». ما رأيكم في هذه الجملة للإمام الشهيد الخامنئي؟

قائدنا الشهيد كان قائدًا في وجه القادة الشياطين في العالم

إنَّ القيادات الدينية من هذا النوع، وفقاً لرؤيتنا، هي استمرارٌ لخط الأنبياء. فمنذ فجر التاريخ البشري، كانت هناك جبهتان على الدوام: جبهة الخير والحق، وجبهة الشر والظلم والجور. إنَّ الأنبياء العظام، والرسل الإلهيين الكبار، ثم أوصياءهم، ومن بعدهم العلماء والقادة الدينيين، يشكلون مسارًا تاريخياً واحداً ممتداً عبر الزمان.

بناءً عليه، فإنَّ السيد علي الخامنئي، شهيدنا العظيم، ليس إلا تجلياً آخر لهذا المسار الذي يمتد لآلاف السنين؛ مسارٌ في مواجهة الظلم، مسارٌ من الحركة الدؤوبة، والعمل، والنهوض، والتغيير، والإصلاح. وهذا تحديداً لأنَّ الأعداء في الطرف الآخر ليس لهم عنوان محدد يوسمهم كأعداء لفردٍ أو لشيءٍ أو لجماعةٍ أو لثقافةٍ دينيةٍ بعينها، بل هم «أعداء الإنسانية»؛ ولذلك فإنَّ سلوكهم سلوكٌ وحشي

ولاإنساني تماماً. ومن هنا، فإنَّ المدافعين عن الحق والعدل هم بطبيعة الحال مدافعون عن جبهة «أنسنة الحياة»؛ أنسنة الثقافات، والمجتمعات، والحكم، والقانون؛ وهو الشيء الذي يفتقر إليه الطرف الآخر تماماً، أي جبهة الأعداء.

بناءً على ذلك، **قدّم قائدنا الشهيد العظيم في أدائه نوعاً من موقف «القائد الإنساني» في مواجهة أولئك القادة الشيطانيين، البعيدين تماماً عن الفطرة الإنسانية السوية، والذين يسعون لإضفاء الطابع الحيواني على العالم، وتحويله إلى تجلٍّ من تجليات التوحش.**

سؤال

لقد كان الإمام الخامنئي قائداً دينياً؛ بمعنى أنه قاد إيران استناداً إلى مباني الإسلام وأسسه. ولعله وجدت حكومات دينية أخرى في العالم، كما أنَّ الكثير من كبار الشخصيات المسيحية والمسلمة منشغلون بالأنشطة الاجتماعية والسياسية. فما هو وجه التمايز في قيادته الدينية والسياسية عن غيره من القادة من هذا الطراز؟

السمة التي تجعل منه شخصية مختلفة تماماً بصفته قائداً دينياً سياسياً

برأيي، هو لا يمثل الإسلام في خطّ سيره الشخصي فحسب، بل يمثّل في فكره أيضًا مسارًا أيديولوجيًّا في الإسلام؛ وتحديداً في نسخته الأكثر اجتماعيةً وعدالة، أي إسلام مدرسة أهل البيت، التي تعد اليوم -بطبيعة الحال- أقليةً في العالم الإسلامي. بيد أنَّ هذه المدرسة تؤمن بأنَّ الدين ودوره لا يقتصران على العلاقة الفردية بين الإنسان وربه، ولا ينحصران في المسجد أو العبادة أو الدعاء أو المناسك. إنَّ الإسلام مدرسة فكرية تحمل اسم الدين، لكنَّ الدين في رؤية الإسلام هو حياة الإنسان بأكملها؛ فهو يستوعب كافة أبعادها.

بناءً عليه، ثمة خطأ تاريخي كبير ارتكبته البشرية بحق الدين والسياسة، وهو علمنة هذين المجالين وفصل أحدهما عن الآخر؛ أي قولهم للدين "لا تتدخل في السياسة"، وإفراغ السياسة من الأخلاق والقيم والمبادئ والمعنوية. وبما أنَّ الإمام الخامنئي يمثل مدرسةً دينية أصيلة وحقيقية، فإنه لم يتعاطَ مع الحقائق الدينية من منظور المناسك أو المعنوية العامية، بل من عمقٍ يؤول في نهاية المطاف إلى خدمة المجتمع؛ إلى إرساء نظامٍ يكون في خدمة الناس. ففي فكره، الدينُ في خدمة الإنسان، ولكي يتمكن الدين من خدمة الإنسان، فلا بد من وجود حكومة، ولا بد من قانون، ودستور، وهيكل سياسي.

لهذا السبب، فإن الخطوة الأولى في فكره هي النهوض في وجه ذلك النظام غير الإنساني؛ تليها مرحلة الثورة، ثم تشكيل الحكومة، ثم إرساء الهيكل السياسي، ثم المجتمع الإسلامي، وصولاً إلى الحضارة في نهاية المطاف. تأملوا في فكره الذي يبدأ من الفرد ليصل إلى المجتمع، ومن المجتمع إلى الهيكل السياسي، ثم إلى تأسيس مجتمع يقوم على الأخلاق، وفي الختام بناء الحضارة. هذا هو فكر السيد علي الخامنئي، الشهيد العظيم لثورتنا.

إن هذه السمة تجعل منه شخصية مغايرة تماماً لما يُعرف عادةً في العالم تحت عنوان الدين أو السياسة. ففي الغرب، على سبيل المثال، أفرغوا السياسة من محتواها الديني والمعنوي والأخلاقي والقيمي، كما أفرغوا الدين من محتوى العدالة والبعد الاجتماعي والالتزام والمسؤولية والثورة. بناءً عليه، أعتقد أن فكر السيد علي الخامنئي يعيد ربط هذين المجالين ببعضهما، ويسد الثغرات الناجمة عن الفهم الخاطئ للدين والفهم الخاطئ للسياسة؛ ذلك الفهم الذي يسود العالم اليوم.

سؤال

لقد كان لكم خلال هذه السنوات تواصل واسع مع شعوب أمريكا اللاتينية بصفتكم أرجنتينياً درس في إيران؛ فما هي السمة البارزة لدى الإمام الشهيد الخامنئي في نظر شعوب أمريكا اللاتينية حسبما رأيتم؟ لقد عاصرت شعوب أمريكا اللاتينية الكثير من الأبطال والمناضلين، فكيف كانت نظرة الشعوب الثورية هناك إلى الإمام الشهيد الخامنئي، وأي سمة من سماته كانت جذابة للأحرار منهم؟

لم يَثُر ليملك منزلًا أفضل، بل ليُنشئ إنسانًا أفضل

برأيي، يجب الالتفات إلى نقاط كثيرة عند استعراض هذه السمات الخاصة. **أعتقد أن النقطة الأساسية التي تعد جذابة ومهمة لشعوب أمريكا اللاتينية والمجتمعات اللاتينية هي التزامه العملي؛ بمعنى أنه لم يكن ثورياً يطلق الشعارات، أو ثورياً يكتفي بالشعارات والكلمات الرنانة، بل كان ثورياً حاضرًا في الميدان.** كان شخصاً حاضراً في ساحة المعركة، شخصاً ناضل لأجل مبادئه لأكثر من أربعين عاماً، بشخصه وفكره والتزامه. أي إنه كان قائداً عملياً، قائداً حوّل أيديولوجيته ونظرياته إلى مشروع مرئي وملموس ومفهوم. فمن جهة، لدينا هذا البعد العملي: رجل الميدان، ورجل الكفاح الذي -كما رأينا في آخر يوم من حياته- فارق الدنيا وهو في حالة نضال؛ لقد بذل روحه في ساحة المعركة. ومن جهة أخرى، هناك هذا الربط بين البعد المعنوي والبعد الاجتماعي في فكره؛ فهو لم يقرّر أن يثور ليتمكن من أكل طعام أفضل أو بناء منزل أجمل، بل من أجل إنشاء «إنسان أفضل»؛ إنسان يحضر فيه البعد المعنوي والأخلاقي أيضاً. والنقطة الأخرى برأيي هي دأبه واستقامته. نحن لا نتحدث عن قيادة لسنتين أو ثلاث أو خمس أو عشر أو حتى عشرين عاماً؛ بل نتحدث عن قائد حضر في مسار ثوري لأكثر من أربعين عاماً ولعب فيه دوراً أساسياً؛ لا في تأسيس الثورة وإيجادها فحسب، بل في حفظها وصيانتها. فكما قال الإمام الخميني (قده)، القائد الذي سبقه: «إنَّ الحفاظ على الجمهورية الإسلامية أصعب من تأسيسها».

بناءً عليه، فإن الدور الذي اضطلع به -وكان دوراً جوهرياً- هو أنه تمكن من إطلاق الثورة جنباً إلى جنب مع الإمام الخميني (قده)، ثم خلفه، وحافظ عليها طوال الأربعين عاماً التي تولى فيها المسؤولية.

الاستعمار

إن أحد إخفاقات التجربة الغربية في إدارة البشرية وتأمين سعادة الإنسان هي مسألة الاستعمار. انظروا ماذا فعلت ظاهرة الاستعمار بالعالم؛ فإذا سافرتم إلى أفريقيا، ستجدون نموذجاً بارزاً لهذه الظاهرة هناك. أفريقيا قارة تمتلك الكفاءات البشرية والموارد الطبيعية المذهلة، لكن الأوروبيين ذهبوا إلى هناك ومارسوا القتل والمجازر والنهب، مستغلين غفلة الناس، بل ونصبوا تماثيلهم هناك بصفتهم "محررين" لهذه البلدان. (2005/05/09) إن استعمار الشعوب وازدراءها، ونهب مواردها المالية، وإفساد ثرواتها البشرية، هو نتاج لتلك الجاهلية الحاكمة. فعندما تحكم الجاهلية، ترون شعوباً كثيرة حول العالم تُسحق تحت أقدام الاستعمار، وتُنهب مواردها، وتُهان كرامتها، وتتأخر سنوات طويلة. بعض الشعوب التي خضعت للاستعمار تأخرت عشرات السنين، وبعضها تأخر لقرون. (2016/05/05)

إن طلاب السلطة في العالم، وبعد مرحلة الاستعمار القديم - أي الحضور العلني والمباشر في الدول - وبعد حقبة الاستعمار الحديث - أي تنصيب وكلاء وعملاء لهم في الحكم - يسعون الآن للدخول في مرحلة «الاستعمار ما بعد الحديث»؛ حيث يحاولون عبر الدعاية والإغواء رسم صورة زاهية للمستكبرين في الرأي العام العالمي لجذب الشعوب نحوهم. لكن الشعوب تدرك أن الوجه الحقيقي لأمريكا وبريطانيا وسائر قوى الهيمنة العالمية هو ذاك الوجه القبيح والمنبوذ الذي تجلى في العراق وفي سجون «أبو غريب» و «غوانتانامو». (2005/01/08) إن المستكبرين في مرحلة «الاستعمار ما بعد الحديث» يتابعون ذات الأهداف الاستعمارية القديمة، مستخدمين أدوات الدعاية والتأثير النفسي والروحي على الناس، وشراء العناصر النخبوية والفاعلة والمؤثرة في المجتمعات، وغيرها من الأساليب المعقدة. (2005/02/03)

لا أوصيكم أبداً بأن تنبهروا بالتقدم الغربي، فهذا التقدم ناجمٌ عن سبقهم الزمني في دخول مرحلة معينة، وهو متكئ على الظلم والاستكبار والاستعمار. لولم يستعمر البريطانيون

الهند وبورما وتلك المنطقة الثرية من آسيا، ولو لم يغتصبوها وينتهبوا ثرواتها - وقد بيّن الهنود أنفسهم هذه الحالة بدقة في حقبة تاريخية معينة - لما تمكنوا بالتأكيد من الوصول إلى ما وصلوا إليه اليوم. (2012/10/02) إن الثروة في المجتمعات الغربية - بشكل عام تقريباً - جاءت عن طريق الاستعمار. فالثروة التي اكتسبتها بريطانيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي مكنتها بسيولتها النقدية وذهبها من بسط سياستها على كامل أوروبا والمناطق الأخرى، كانت بفضل الأموال التي حصلت عليها من استعمار الدول الشرقية، ولا سيما شبه القارة الهندية. راجعوا التاريخ؛ فمن الصعب حقاً وصف ما فعلوه بالهند في كلمات وجيزة؛ لقد نهب البريطانيون ثروات الهند وتلك المنطقة الغنية جداً، لتصب كلها في الخزينة البريطانية وتتحول بريطانيا إلى دولة ثرية! وحينها لا يسأل أحد: من أين جاءت هذه الثروة؟ بل تصبح ثروة "محترمة"! (2009/05/17)

ما تسعى إليه الإدارة الأمريكية اليوم هو، في جوهره ومعناه، نفس ما كان يسعى إليه المستعمرون في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. في ذلك الوقت، كان خطاب الدول الأوروبية هو: «نحن بحاجة إلى الموارد الحيوية لهذه الدول، لذا سندخل ونستعمرها»، وكانوا يحتقرون الدول الصغيرة والضعيفة. واليوم، تفعل أمريكا الشيء نفسه من أجل مصالحها. إن المصالح التي تُؤمن على حساب مصالح شعب آخر هي مصالح غير مشروعة. (1995/06/04)

ليس أمام الشعوب في مثل هذه المنعطفات سوى طريق واحد، وهو إظهار جوهرها الحقيقي، والنزول بقوتها إلى الساحة، والاستفادة من قدراتها الذاتية حتى لا يتمكن العدو من التركيز على نقاط ضعفها وعجزها. لا يوجد طريق آخر أمام أي شعب؛ وهذا ما فعله الشعب الإيراني. إن هذا الأمر يتطلب اليقظة والوعي، ونبذ الكسل، وعدم التعلق بالأهواء والراحة المادية الزائلة والصغيرة، واستحضار الأهداف والقيم السامية والنزول بها إلى الميدان. (2008/02/17)

الأخوة الإسلامية

اليوم يواجه العالم الإسلامي محنًا كبرى، وحلّ هذه المحن لا يكون إلّا بالوحدة الإسلامية. الوحدة تعني التضافر والتعاون وتجاوز الخلافات المذهبية والفكرية. اليوم، نظرة أجهزة الاستكبار والاستعمار إلى العالم الإسلامي، هي السعي إلى إبعاد العالم الإسلامي عن وحدته أكثر فأكثر. (2016/12/17)

الوحدة تعني التركيز على القواسم المشتركة. لدينا قواسم مشتركة كثيرة. القواسم المشتركة بين المسلمين هي أكثر من مواضع الاختلاف. يجب أن يُركّزوا على القواسم المشتركة. (2014/1/19) الوجود المقدّس للنبيّ الأكرم، رسول الإسلام الأعظم، هو أهمّ نقطة لإرساء الوحدة. (2006/4/16) الوجود المقدّس للرسول الأعظم، هو النقطة المحورية لعواطف ومشاعر المسلمين جميعاً. الجميع يعشقون النبيّ؛ هذه هي النقطة المحورية، وهذه هي النقطة الأساس. «القرآن» موضع اهتمام وإيمان جميع المسلمين. وكذلك الكعبة الشريفة؛ فكم هي كثيرة القواسم المشتركة عند المسلمين! (2016/12/17)

الوحدة ليست تكتيكًا، بل هي مبدأ أساسيّ من مبادئ الإسلام، والوحدة أمر قرآني. (2024/9/16) لو كنّا متحدين معًا، ولو كانت قلوب الدول الإسلامية والشعوب المسلمة – سنّةً وشيعةً وبمختلف فرقهم – صافيةً تجاه بعضهم بعضًا، ولو لم يحملوا سوء الظنّ تجاه بعضهم بعضًا، ولو لم يوجّهوا الإهانات إلى بعضهم بعضًا، فانظروا ماذا كان سيحدث في العالم؛ أيّ عزّة كانت ستسطّر للإسلام! (2015/1/9) مشكلتنا اليوم هي التفرّق؛ فمع أنّ القرآن نهى عن التفرّق: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} (آل عمران، 105)، وأمر بالاتّحاد: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (آل عمران، 103)، غير أن الشعوب الإسلاميّة متفرّقة والأمّة متفرّقة. اليوم، إذا كانت الأمة الإسلامية التي يقترب عدد أفرادها من ملياري نسمة،

وهم منتشرون في أهم النقاط الجغرافية من العالم وأكثرها حساسية، لو كان هؤلاء متحدين، لكانت الدول الإسلامية تحصل على خيرات أكثر بأضعاف. وإذا ما نشأ الاتحاد بأيّ قدر كان، فستظهر بداية الحلّ لمشكلات العالم الإسلامي، وسيكون في مقدورنا حلّ مشكلات العالم الإسلامي. (2023/4/22)

لو أن العالم الإسلامي التزم بأدنى مستويات الوحدة وتمسّك بها، لما وقعت هذه الأحداث، ولما تجرّأ العدوّ على فعل ذلك. (2019/11/15) قضية فلسطين هي القضية الأكثر إلحاحًا في العالم الإسلامي. لو كان المسلمون متّحدين، لما كان وضع فلسطين على ما نشهده اليوم. (2016/12/17) إذا وضع الإخوة المسلمون الوحدة والاتحاد وتوحيد الكلمة والصفّ نصب أعينهم في كلّ المنطقة الإسلامية، فسيتغلّبون – إن شاء الله – على هذه المؤامرات كلّها، بفضل من الله. (2018/11/25)

نقد الإمام الشهيد للغرب يتمحور حول «روحه الاستعمارية»

سؤال

استُشهد في الثامن والعشرين من شهر شباط/ فبراير لعام 2026م، قائد الثورة الإسلامية، الإمام الشهيد آية الله السيد علي الخامنئي، إثر هجوم إرهابي أمريكي صهيوني غادر استهدف مكتب عمله، ليرتقي شهيداً بعد ستة وثلاثين عاماً وثمانية أشهر وسبعة وعشرين يوماً من قيادته لدفة المسؤولية الخطيرة للثورة الإسلامية. ما هو توصيفكم للإمام الشهيد لو التحدّث عن سماحته بإيجاز.

لو أردتُ التأمل في شخصية الإمام الشهيد العظيمة وصياغة ذلك في جملٍ معدودة، فإنني أرى أنَّ وصف «المفكر» قليلٌ في حقه؛ إذ إنَّ لدينا الكثير من المفكرين العظام على مستوى العالم الإسلامي والعالم المعاصر، ممن تمتلك شخصياتهم أبعاداً نظرية عظيمة وكبيرة بالفعل. وإن أردنا اعتباره «سياسياً»، فلا بد من القول إنَّ هناك سياسيين كثر في عالمنا المعاصر والمجتمعات الإسلامية ممن يُعدون سياسيين بارزين وجديرين بالاهتمام. أما إذا أردتُ تحديد معيارٍ لقائد الثورة الإسلامية الشهيد، فربما لا تسعفني الكلمات في إيجاد لفظٍ بعينه، لكنني أستطيع عرض هذه العظمة وهذا الوزن الحضاري لسماحته وشرحه في عبارتين أو ثلاثة. في الواقع، كان قائد الثورة الإسلامية الشهيد رائداً وقائداً حضارياً للعالم الإسلامي. وقد تجلى

هذا البعد الحضاري لديه في اتجاهين؛ ولم يكن تجليه هذا مجرد ادعاء، بل هو واقعٌ ملموس في مجتمع اليوم. أحد أبعاده كان بُعد «الكفر بالطاغوت»، وقد حدث هذا الكفر بالطاغوت على مستوى حضاري؛ فنحن نشهد اليوم كيف تتحطم الأصنام الكبرى في العالم واحداً تلو الآخر، وكيف تتلاشى هيبتها وعظمتها تدريجياً في ذهن المجتمع الدولي وتؤول إلى الانحطاط. ومن جهة أخرى، واستكمالاً للآية الشريفة «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللهِ»، فإنَّ الجانب الإيجابي والإيماني لدى سماحته جديرٌ بالاهتمام أيضاً؛ كيف يمكن صناعة العلم، وبناء الحضارة، ونيل الاستقلال، وبناء الإنسان، وتشكيل الأمة بالإيمان.

تصوري هو أن هذا البعد من شخصيته لم يطرحه طلاب الحوزات أو الإيرانيون فحسب، بل تناوله بالبحث الكثير من كبار المفكرين والمحللين في العالم، ممن يحللون الأوضاع بعيداً عن رغباتهم السياسية وفرضياتهم المسبقة. هؤلاء يتحدثون

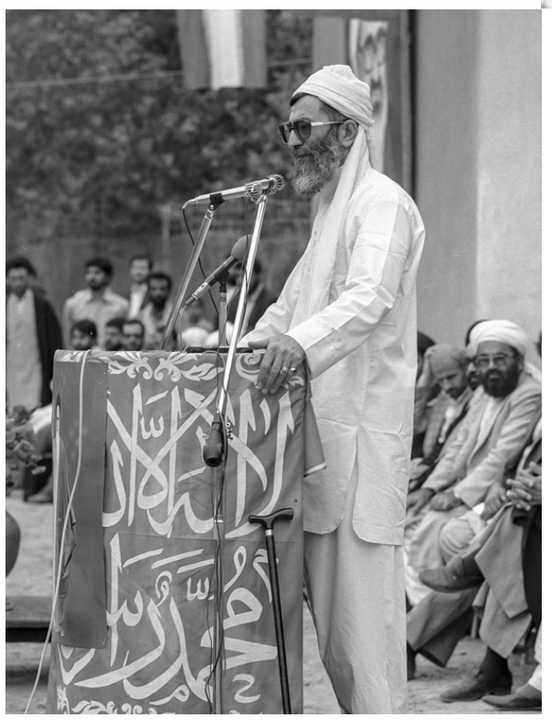

الدكتور
حبيب الله بابائي
الأستاذ المساعد في دراسات الحضارة الإسلامية
في جامعة الإمام الباقر(ع)

عن نوع من «إيران الجديدة» وعن إيران بوصفها «قوة عظمى»؛ وهو الأمر الذي كان قد طرحه القائد الشهيد. لذا، فإن تصوري هو أن مواجهة قائد الثورة الإسلامية الشهيد للاستعمار لم تكن مجرد نظرية، بل كانت بمستوى الأمّة. **لقد صاغ سماحته نظماً عالمياً جديداً على مستوى العلاقات الدولية؛ سواء بنفحاته الربانيّة حين كان حياً، أو بدمه الإلهي الذي أرى أنه غدا في تاريخ الثورة ثأرًا إلهيًّا جديداً.**

لقد أوجد هذا الدم الإلهي عملياً حماسةً واشتياقاً وملحمةً وحركةً نلمس تداعياتها وآثارها اليوم في المجتمع.

سؤال

لقد وجدت الثورة الإسلامية نفسَها، بوصفها ظاهرةً حضارية، منذ ولادتها في مواجهةٍ مباشرةٍ مع الحضارة الغربية؛ حيثُ دأبت هذه الأخيرةُ على ممارسةِ ضغوطٍ واعتداءاتٍ مستمرةٍ على الثورة الإسلامية والحضارة المنبثقة عنها، وذلك على أصعدةٍ مختلفة: سياسية، وثقافية، وعلمية، وتقنية، وعسكرية، وغيرها من المجالات. والمسألة الجوهرية في هذه المواجهة هي فهمُ قادة الثورة الإسلامية لطبيعة الحضارة الغربية المعادية. لذا، تفضلوا بشرح ماهية «معرفة الغرب» لدى الإمام الشهيد السيد الخامنئي، بوصفه شخصيةً تولت قيادة الثورة والأمة الإسلامية لما يقرب من أربعين عاماً؛ كيف كان سماحته يفهم الحضارة الغربية؟ وما هي رؤيتُه في سبر أغوار هذه الحضارة؟

لقد تناولتُ في كتاب «ظلال الغروب» -الذي طرحتُ فيه عملياً رؤية القائد الشهيد في التعرّف على الغرب، والذي أزيح عنه الستار في ملتقى «نحن والغرب»- الجانب المنهجي والتوجه الخاص بسماحته. برأيي، إن معرفة الإمام الخامنئي للغرب وفهمه له تمَّت عبر عملية ثلاثية الأضلاع: الضلع الأول، هو الضلع الذي يألفه الكثير من المتخصصين في دراسات الغرب، وهو يكتسي صبغة «مكتبية» غالباً؛ فمن يريد معرفة الغرب يقرأ عادةً تاريخ أوروبا، وفلسفة الغرب، ويدرس علم الإلهيّات لديه، ويطالع الروايات المرتبطة بالعالم الغربي، ويشاهد الأفلام التي صُنعت حول الغرب. هذه الأمور تجعل الفرد يكوّن تصوراً عن الغرب. وهذا الضلع، وإن لم يكن هو الأبرز ربما، إلا أن الإمام الشهيد (قده) بوصفه مفكراً وقارئاً محترفاً، استطاع عملياً أن يكتسب معرفة ووعياً ملحوظاً تجاه الغرب من خلاله. أما ما جعل رؤية الإمام الشهيد للغرب مختلفة ومتميزة عن سائر المنظرين، فهو -برأيي- يكمن في النقطتين والضلعين التاليين اللذين لم ينالا حظهما من البحث؛ والضلع الثاني في معرفته للغرب هو: «تجربة الغرب على مستوى القيادة».

سافر الكثير من الأشخاص إلى الغرب؛ إما في فرصة دراسية أو في جولة سياحية، وشاهدوا الغرب. كما يذهب السياسيون منذ الماضي وحتى اليوم إلى الغرب، ويطلعون على إنجازاته وثقافته وتقنياته وتطوره، ويحاولون الاستفادة منها لمجتمعاتهم. لكن تجربة الإمام الشهيد مع الغرب لم

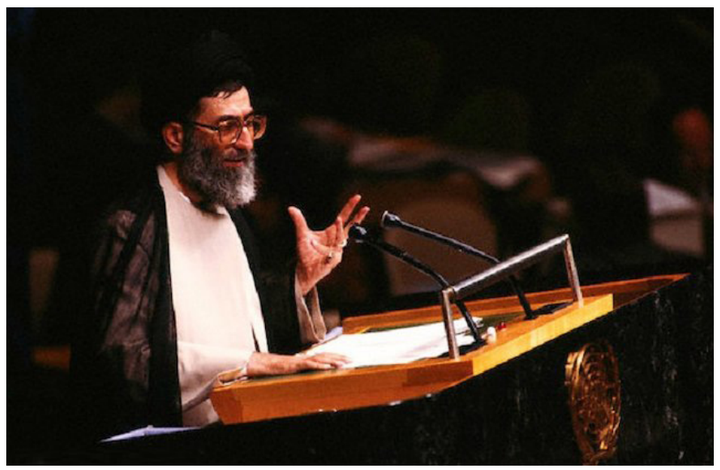

تكن مقتصرة على التجول في شوارعه ووصفها، ثم التوصية باستيراد المصاعد أو المترو أو تبني نمط العيش الغربي عموماً. لقد كانت تجربته للغرب تجربة على مستوى القيادة، وهذه تجربة تختلف عن تجارب سياسيٍ مغمور أو حتى مرجع تقليد؛ إذ يجب أن تكون «قائداً» لتتمكن من الحصول على بيانات كلية وضخمة من الواقع الميداني للغرب. وبمقتضى مقام القيادة، توضع مثل هذه البيانات بين يديك؛ فربما لا يمتلك الوزير هذه البيانات، لكن القائد يستطيع الحصول عليها لأن موقع القيادة يتطلب توفر هذه المعلومات لديه. إن تجربة الغرب خلال الأربعين أو الخمسين سنة الماضية —سواء حين كان قائدنا الشهيد رئيساً للجمهورية أو حين صار قائداً— أتاحت له اكتشاف حقائق الغرب وتجليها له من زاوية خاصة؛ وهي حقائق قد لا تكون جلية للمثقفين أو حتى لرجال الدين. فنحن قد نصل إلى بعض الحقائق من وراء الكتب والنصوص، أو حتى عبر سفرنا إلى الغرب ومجالسة أهله، إلا أن معرفتنا الواقعية والتجريبية بالغرب تظل محدودة جداً. أما القائد، وبسبب مكانته، فبإمكانه مشاهدة وإدراك مختلف حقائق الغرب؛ سواء حين يمارس الغرب الخيانة، أو حين يكذب، أو حين يعمل بشكل صحيح، أو حين يتفاعل، أو حين يختلق الصراعات، وحتى حين يبرم «الاتفاق النووي» ثم يمزقه.

هذه كلها حقائق يستطيع القائد أن يدركها من موقعه بشكل أفضل. وبالإضافة إلى ذلك، التقى سماحة قائد الثورة الإسلاميّة الكثير من العظماء؛ وهؤلاء العظماء كانت لديهم أيضاً بيانات ضخمة عن الغرب تماثل تلك التي لديه. فعلى سبيل المثال، حينما كان القائد الشهيد يحاور نيلسون مانديلا، أو فيدل كاسترو، أو كبار منتقدي الغرب من بين السياسيين العالميين، كانت تتجلى له عملياً جوانب جديدة عن الغرب لا يمكن حتى لعالم حوزوي باحث ومتخصص في دراسات الغرب الوصول إليها.

برأيي، هذا هو الضلع الثاني الذي جعل معرفة القائد الشهيد للغرب مختلفة؛ فما كان يراه هو، لم نكن

نراه نحن؛ وما جربه هو، لم نجربه نحن. لم نختبر نحن ما اختبره سماحة القائد (قده)؛ ولذلك فإن جزءاً من الانتقادات والاعتراضات غير الصائبة التي كانت تُطرح أحياناً تجاه مواقف القيادة من أمريكا والغرب وأوروبا، كان يعود إلى الاختلاف في مستوى إدراك الغرب. لقد ظن البعض أنهم سيكونون قادرين على تحليل الغرب بنحوٍ أفضل من الآخرين بمجرد قراءة بضعة كتب، ووضعوا أنفسهم في كفة مقارنة مع الإمام الشهيد.

أما الضلع الثالث -الذي أراه في غاية الأهمية، وللأسف، قلما يتم التطرق إليه في دراسات الغرب الرائجة في جامعاتنا، بل وفي بعض الحالات لا يوجد إيمان به أصلاً- فهو أنك حين تحصل على بيانات من الكتب، أو بيانات من التجربة الميدانية للغرب وثقافته، فلا بد من تحليل هذه البيانات بناءً على إطار نظري. وهذا الإطار النظري في الجامعات عادةً ما يكون نظريات العالم الغربي نفسه؛ أي أنك تقوم بتحليل البيانات المكتبية والميدانية وفقاً للنظريات الغربية ثم تقدم نظريةً ما.

بيد أنَّ القائد الشهيد كان يحلل هذه البيانات بناءً على النص الذي كان يعتمده هو في التحليل والنقد والتدبير ورسم السياسات؛ وهذا النص هو القرآن الكريم. ربما يثير هذا الأمر استغراب البعض: كيف يمكن توظيف القرآن في تحليل العالم الغربي؟ صحيح أنَّ القرآن لا يتحدث مباشرة عن تاريخ الرومان

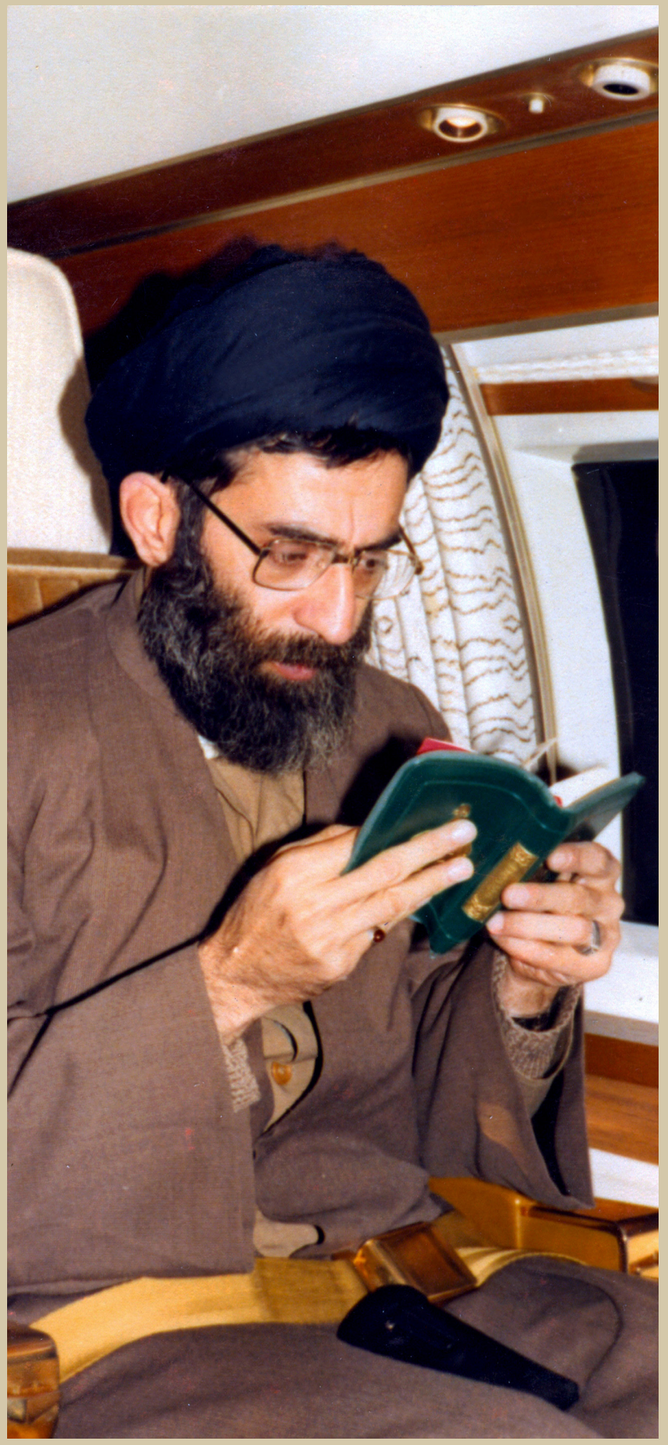

واليونان أو فلسفة الغرب، ولكن في القرآن سننٌ يمكن توظيفها لتفكيك البيانات وتحليلها. فمن منظور القرآن، يمكن فهم روح الاستكبار، وروح الاستعمار، وروح الطاغوت، وروح الشيطان، ثم البحث عن مصاديقها في العالم الغربي. و**برأيي، إنَّ ما منح معرفة القائد الشهيد (قده) للغرب قوامها وجعلها متمايزة، هو إيمانه بالقرآن، وفهمه له، وإدارته الحضارية المبنية على التعاليم القرآنية. وهذا ما جعل تحليلاته ومواقفه تجاه الغرب تختلف تماماً عن الآخرين**؛ لأنه وضع القرآن دائماً نصاً هادياً له في مواجهة الغرب.

سؤال

ما هي مكانة الإسلام والقرآن الكريم ضمن نطاق معرفة الإمام الشهيد السيد الخامنئي للحضارة الغربية وتجربته لها وتحليله إياها؟

ربما يكون بمقدورنا الذهاب خطوة إلى الأمام؛ ففي وقت ما، قد نظنّ أنَّ استخدام الإمام الخميني (قده) -قائد الثورة الإسلامية العظيم- لمصطلح «الشيطان» لوصف أمريكا، لم يكن سوى تعبير انفعالي وعاطفي من قائد في مواجهة منافسه الحضاري. في ذلك الحين، ونحن في سن الناشئة أو حتى الطفولة، ربما كنا نظن أنَّ استخدام مفردة «الشيطان» نوع من السباب أو الاحتجاج العاطفي، ولكن حين تعمقنا في تحليلات «معرفة الغرب»، أدركنا أنَّ مسألة الشيطان هي في الواقع تفسير أنطولوجي وإلهي لحقيقة الغرب.

فإذا بحثت عن أدبيات الشيطان في الفلسفة الإسلامية، والإلهيّات الإسلاميّة، والأدبيات القرآنية، ستجد أنَّ العناصر الكامنة في مبحث الشيطان تشمل: التكبر، والخداع، والإغواء، والترهيب، وغيرها؛ وهذه في الحقيقة تشكل تحليلاً وجودياً لمقولة الشيطان، في حين أنَّ الجمهور المخاطب لم يكن يمتلك هذا التصور عن المصطلح أحياناً. وبناءً عليه، حينما يقدم مفكر كبير كالإمام الخميني (قده) أو الإمام الشهيد للثورة تحليلاً لحقيقة الحضارة الغربية، فإنَّ هذا التحليل يستند إلى خلفية وركيزة نظرية. يجب أن تؤخذ هذه النظريات والتحليلات بعين الاعتبار في مواجهتنا للغرب وفي تحليلاتنا المعاصرة له؛ ولهذا السبب كان سماحة آية الله الخامنئي، قائد الثورة الإسلاميّة المعظم، يؤكد على قراءة القرآن، وألا ننحيه عن حياتنا، وأن نجعل منه نصاً لحياتنا ودليلاً مرشداً لنا. فهذه التوصيات ترتبط من جهة بأبعاد نمط عيشنا، وبالجانب الإيماني والتوحيدي والمعنوي، لكنها من جهة أخرى تُعد نوعاً من «التطعيم» للمجتمع؛ فقد كان سماحة

في نقده للحضارة الغربية؟

برأيي أنَّ سماحة آية الله الخامنئي (قده) كان يمتلك فهماً دقيقاً لمختلف أبعاد الغرب، ولم يكن يرى الغرب أسودَ بالكامل؛ لذا نراه في مواضع عدة يحفز الجماهير الإيرانيّة المسلمة ويدعوها لمشاهدة الأبعاد الإيجابية والبناءة للغرب. فعلى سبيل المثال، كان يحثنا على متابعة العلم الغربي؛ والمقصود بالعلم الغربي هنا هو أنَّ العالم والجامعات والمفكرين والعلماء في الغرب لديهم مكتشفات يمكن الانتفاع بها، شريطة أن تُوظف هذه المكتشفات وفق مضامينا الدينية؛ عملاً بالقاعدة: «اُطْلُبُوا اَلْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ». لقد كان يؤكد أنَّ على المسلمين استقاء العلم من أي مكان وجدوه، وتوظيفه بما يخدم مصالحهم ومصالح مجتمعهم. بناءً عليه، لدينا نماذج كثيرة أكد فيها سماحته -خلال لقاءاته بالأوساط الجامعية- على ضرورة تلقّي العلوم الغربيّة؛ سواء تعلق ذلك بالمجالات التقنية والطبيعية والتقنيات الرائجة، أو أشار في بعض الحالات إلى العلوم الإنسانية، مع وجود انتقادات لهذه الأخيرة بطبيعة الحال. وإلى جانب المباحث العلمية، تطرق سماحة آية الله الخامنئي إلى روحية الإنسان الغربي أيضاً؛ حيث تحدث عن سمات إيجابية كالصبر، والقدرة على استشراف الآفاق البعيدة، والمخاطرة، والانضباط العالي، واعتبرها ميزات إيجابية تستحق الالتفات. و**كان نقد سماحته للغرب يتمحور أساساً حول «الروح الاستعمارية» للغرب؛ ففي رؤية قائد الثورة الإسلاميّة، لا يقتصر الاستعمار الغربي على الدول الإسلامية فحسب، بل يشمل الدول غير الإسلامية أيضاً.**

لقد ذكر سماحته ذكرياتٍ من أسفاره أشار فيها إلى تماثيل ترمز للاستعمار في دول مختلفة؛ تماثيل كانت لا تزال تُقدس في بعض البلدان، وانتقد هذا الأمر بوصفه إحدى الطبقات الخفية والعلنية للاستعمار في العالم غير الغربي. وقد استمر هذا النهج حتى

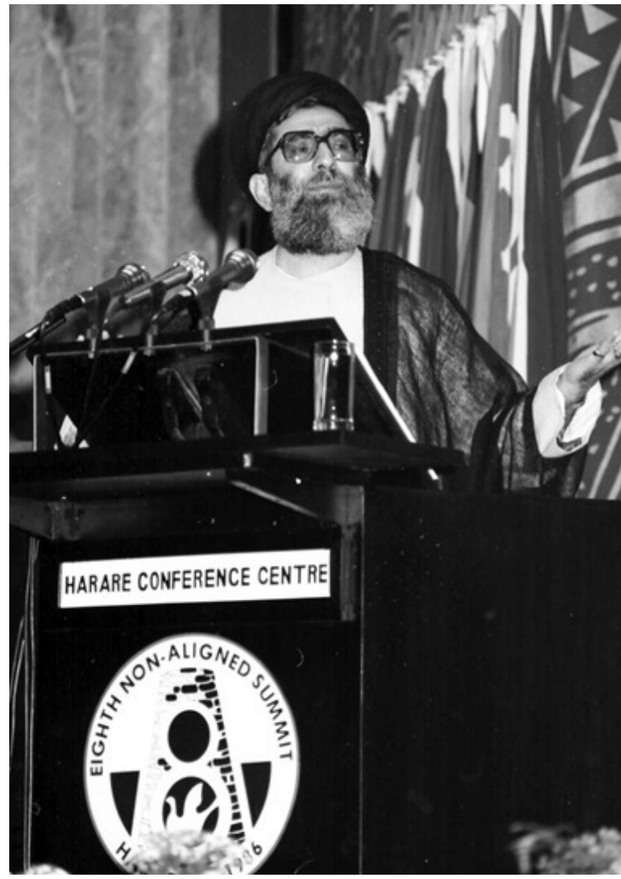

القائد يسعى من خلال ذلك إلى تحصين المجتمع ضد «الاستلاب الغربي»، والحيلولة دون وقوعه في الفخاخ الثقافية والسياسية للغرب.

برأيي، **إنَّ ما كان سماحته يسعى لضخِّه في المجتمع هو «نور القرآن». فمن خلال السنن والتعاليم القرآنية، وبالاستناد إلى الأدبيات والمفردات المفتاحية الواردة في الكتاب الكريم، أفهمنا سماحته أنه كلما ازداد أنسنا بالقرآن، ابتعدنا أكثر عن السقوط في فخ التغريب والاستلاب الثقافي.**

سؤال

بصفته قائداً دينياً وسياسياً، ما هي العناوين الرئيسة التي كان الإمام الشهيد السيد الخامنئي يرتكز عليها

حين كان يلج في نقاشات العلوم الإنسانية أو السينما والروايات؛ فقد كان يسعى دائماً لمسار واقعي يؤدي لتحرر الإنسان المسلم من أسر الفكر والثقافة الغربية؛ ولا يكتفي بإطلاق الشعارات، بل يعمل على إيجاد نهج عملي يخوّل الإنسان المسلم التحرك نحو الخلاص. وهذا الخلاص يجب أن يكون حقيقياً، لا مجرد خلاص يسكن ذهن المسلم ومشاعره بينما هو يرزح يومياً في أغلال الفكر والثقافة الغربية. إنَّ أهم قضية دأب سماحة آية الله السيد الخامنئي (قده) على متابعتها في مساره الذهني، هي أنه -إلى جانب الأنس الدائم بالقرآن وعرض المعارف والمضامين القرآنية- كان يحذرنا باستمرار لنتمكن من الحفاظ على شعارات الاستقلال والحرية والجمهورية. لقد كانت «الحرية التوحيدية» تعني عند سماحته التحرر من نظام الهيمنة في عالم اليوم، وكان يدرك هذا الأمر حق الإدراك. كما كان التحرر من نظام الطاغوت مفهوماً جلياً وحيوياً لديه، وأكد عليه مرارًا. وفي مسيرة حياته، كان يسعى لضخ هذه المفاهيم وتزريقها فينا ليتمكن المجتمع في نهاية المطاف من أن يكون مستقلاً، ويتحرر من أي تبعية للقوى الاستعمارية والمهيمنة.

لقد كان هدفه أن نكون مستقلين في مسار حياتنا؛ أن تكون جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية مستقلة، وأن يحظى كياننا السياسي بالاستقلال أيضاً. لقد أراد للمرأة المسلمة اليوم أن تبني نفسها، وتعرف معاييرها، وأن يُحدد ميزان الإنسان المسلم بيده هو لا بيد غيره. وكان يؤكد دائماً على ضرورة بناء حضارة متفردة ومتميزة. وربما لا تزال هناك مسافة تفصلنا عن بلوغ تلك الحضارة التوحيدية، إلا أن الشواهد تشير إلى أننا قطعنا شوطاً كبيراً في ميادين عدة، منها العلمية والعسكرية والسياسية والثقافية والشعبية؛ إذ إن تقدمنا في هذه المجالات، وحتى في مجال السيادة الشعبية، بات جلياً تماماً.

ربما لم نكن قد التفتنا إلى هذا البعد من «السيادة الشعبية» قبل استشهاده، ولكن الآن، ومن خلال مشاهدة الحضور الملحمي للجماهير في الشوارع -لاسيما في يوم القدس وعيد النيروز- تجلت أبعاد جديدة للجمهورية والسيادة الشعبيّة؛ وهي أبعاد لا يمكن رؤيتها في الأنظمة السياسية الأخرى التي ترفع الديمقراطية شعاراً فحسب. بناءً عليه، يبدو أننا -نحن من نعتبر أنفسنا نخب هذا المجتمع ونعكف على الكتابة والبحث والتنظير- ملزمون بإعادة قراءة واستكشاف هذه الأبعاد الحضارية التي أرساها سماحة آية الله الخامنئي، ومنها عنصر السيادة الشعبية والجمهورية. كما يجب الالتفات إلى الأبعاد الثقافية والدينية، على غرار ما نلمسه اليوم في الهيئات الدينية التي باتت مزيجاً من الوعي والمعرفة والملحمة. إن هذه المعالم بحاجة إلى إعادة فهم وتحديد وظائفها على مستوى الأمة الإسلامية، وبناءً على هذا الفهم، يتعين علينا صياغة نظرية «الحضارة الإسلامية الحديثة» من جديد.

سؤال

ما هي الركائز النظرية للحضارة الإسلامية الحديثة في فكر القائد الشهيد؟ وما هي أهدافها؟ وبماذا تختلف عن سائر الحضارات؟

برأيي، إنَّ «حداثة» الحضارة الإسلامية موضوعٌ واسع النطاق يمكن أن يشمل أبعاداً شتى؛ وأول جانبٍ منها هو أنَّ هذه الحضارة تتحدى أساساً الاستعمار «الحديث» و«ما بعد الحديث»، وتستطيع الاشتباك معه. فالاستعمار «الحديث» له سمات ومقتضيات جديدة، وكذلك الاستعمار «ما بعد الحديث» يتطلب مقتضياته الخاصة. إنَّ مواجهة هذه الظواهر لم تعد ممكنة بمجرد استخدام الأدوات أو الأفكار والتوجهات القديمة؛ فمن أجل المواجهة الفاعلة لنظام الهيمنة الأمريكي اليوم -الذي شهد تحولات هائلة بما في

ذلك التطورات التقنية والنووية- نحتاج إلى فكرٍ جديد وإنسانٍ جديد وإيمانٍ متجدد.
وبهذا الفكر الجديد، سنكون قادرين على خوض الصراع والنزاع مع القوى الغربية الكبرى وتحطيم الرموز الاستعمارية. ونرى نموذجاً لتحطيم هذه الرموز في حادثة طائرة «الأواكس» الأمريكية؛ فهذا التحطيم لا يعني مجرد تدمير جهاز متطور فحسب، بل هو تحطيم لصنمٍ كبير يرمز للقوة الغربية. لقد أُنجز هذا العمل بأقل الإمكانيات والتقنيات، ليكون تذكيراً بكيفية دحر جيش «أبرهة» بأقل التكاليف وأبسط التحركات. وفي الواقع، إنَّ هذه الإجراءات هي استمرارٌ لتلك السنن الإلهية التي تتكرر في التاريخ، ولكن بنماذج جديدة.
الجانب الثاني من حداثة الحضارة الإسلامية هو أننا، في تجربة الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية، قد خلقنا بنىً وصروحاً جديدة؛ تجلت هذه الصروح في أبعاد علمية وثقافية وسياسية شتى. فعلى سبيل المثال، لقد صنعنا في الحضارة الإسلامية الحديثة «إنساناً جديداً» يثبت وجوده في مختلف الميادين. ومن نماذج هذا الإنسان الجديد الفريق الشهيد قاسم سليماني؛ كما أنَّ شهداءنا وشبابنا وعائلاتهم، وأمهات شهدائنا، وحتى الإيرانيين المحتشدين في الشوارع اليوم، هم نماذج لهذا الإنسان الجديد؛ الإنسان الذي لا يهاب الصواريخ ويقف في وجه الأعداء صادعاً بنداء «الله أكبر».
كذلك، يظهر نموذج هذا الإنسان الجديد في كون حدود بلادنا خالية من اللاجئين الإيرانيين؛ فالإيرانيون لا يفرون إلى الدول الأخرى، بل على العكس، يبقون في وطنهم ويدافعون عنه. هذا الإنسان الجديد لا يخشى الموت بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل يتحدى سطوته؛ وما يميزه هو أنه يستقبل الموت بصدر رحب، ويولّد في هذا المسار طاقةً جديدة وملحمةً متجددة في المجتمع. وخير مثال على ذلك هو القائد الشهيد نفسه الذي رفض الذهاب إلى الملاجئ. إنَّ هذه الأنماط من الشخصيات والقيم هي سماتٌ لا تُرى في أي حضارة أخرى بقدر ما تُرى في الحضارة الإسلامية والجمهورية الإسلامية. البعض يرى حداثة الحضارة في التقنيات والمباني والشوارع؛ وبالطبع لديَّ آراء في هذا المجال أيضاً. فلو انطلقتم اليوم من هنا نحو حدود «خسروي»، وقطعتم آلاف الكيلومترات داخل إيران، ستشعرون كأنكم تسيرون في طرقات أوروبية؛ نظراً لجودة رصف الطرق، وتصميم البنى التحتية بشكل صحيح، والمستوى الملحوظ للصحة العامة في المجتمع.
الإمكاناتُ متاحةٌ ومتوفّرة بسهولة، والرفاهُ العام متحقّق بمستوى ملحوظ. طبعًا، هناك مشكلات اقتصادية، بيد أنَّ ما أود قوله هو أنَّ النعم في المجتمع الإيراني كثيرة. فحين تتواجدون في المدينة اليوم، لا ترون آثار الحرب؛ إذ إننا في الواقع لا نعاني من مجاعة أو نزاعات داخلية. فالحروب وتبعاتها -على الرغم من وجودها- لم تُخلف فقداناً كلياً للأساسيات.

إنَّ النواة المركزية للحضارة تكمن في الإنسان الذي تربيه؛ فإذا أردتم تقييم حضارةٍ ما، عليكم أن تبيّنوا أيّ إنسانٍ قد ربّيتم. وخلال الأربعين أو الخمسين أو الستين عاماً الماضية، استطاعت الجمهورية الإسلامية تربية إنسان يظهر في الميادين العالمية مؤثراً وكريماً. إنَّ هذا الحراك العالمي وآثاره على المستوى الدولي تُعدُّ درجةً حضاريةً تُحسب لنا. وفي هذا السياق، يبدو أنكم قد أنشأتم إنساناً مختلفاً؛ جيلاً جديداً يمكن طرحه بوصفه معياراً في تقييم الحضارة الإسلامية الحديثة.

سؤال

ما هي النقاط التي ستشيرون إليها لو أردتم التطرّق إلى نظريات الحضارة الإسلامية الحديثة في مجال أخلاق القتال والحرب؟

عند تحديد أوزان الحضارات، لا يمكنكم الاقتصار على وزن المعيشات فحسب؛ بل يجب عليكم أن تزنوا الموت وكيفيته أيضاً. أساساً، حينما تريدون تحليل مستوى الحياة، فعليكم إضافةً إلى التفكير في «نمط العيش»، الالتفات إلى «نمط الموت» في ذلك المجتمع؛ لكي نستطيع الحكم على طبيعة الأحياء هناك، وهل هم متحضّرون أم غير متحضّرين. لقد قدم بعض المفكرين الغربيين -مثل نوربرت إلياس وغيره- وجهات نظر حول التحليل الحضاري لـ«الموتات الصانعة للحضارة»، وليس هذا مجال بسطها، لكنهم تطرقوا بشكل عام في هذا الصدد إلى الشهادة وعلاقتها بالحضارة. فعلى سبيل المثال، قال بعض المفكرين: «حين يموت الملوك، ينتهي عملهم، أما حين يموت الشهداء، فإن عملهم يبدأ للتو». في رأيي، إنَّ أحد الأبعاد الحضارية لمجتمعكم هو أنكم كلما قُتلتم، ازددتم حياةً. وهذا مؤشّرٌ في التبيين الحضاري لوصيتكم القتالية؛ أي أنَّ الدم هنا لا يضيع سدى، بل يتحرك، الدم يستحيل ملحمةً، الدم يتحول إلى معنى، الدم يغدو معرفةً، الدم يصير انسجاماً اجتماعياً، الدم يتحول إلى «نحن». والتحوّل إلى «نحن» ينطوي على أهمية بالغة.
أعتقد أنَّ هذه الميزة لا تتوفر في كل مجتمع. صحيح أنَّ المجتمعات الأخرى تبذل الدماء أيضاً، خاصةً في ظروف الحرب، ولكن السؤال هو: ماذا يحدث للأمم الأخرى، أولئك الذين يعيشون في الإمارات العربية المتحدة أو المجتمعات الأخرى مثلاً؟ أين تلك الشعوب الآن؟

إنَّ ما يمكننا طرحه كمؤشّر حضاري في حالة الحرب اليوم، هو أننا لا نهاب الموت ولا نخشاه. وهذا له جذور تاريخية وجذور إيمانية لدينا، وهناك أملٌ أصيل لدى الناس بأنَّ الموت ليس النهاية، بل هو بداية الحياة. هذا الاعتقاد يجعل كيفية مواجهتنا للتحديات والحروب والمعارك مختلفة تماماً.

سؤال

تفضلوا بطرح ذكرياتكم عن لقائكم الأول والأخير بالقائد الشهيد.

نحن قلّما وُفّقنا للقاء بسماحته، إلا أننا حضرنا بعض اللقاءات العامة سابقاً، وكان لنا لقاءان محدودان نسبياً مع سماحته. أحد تلك اللقاءات كان لقاء مديري مؤسستنا بسماحته، حيث رأينا في سماحته -كما جرت العادة- قائداً ذكياً، مهتماً، مفعماً بالإيمان، وبالطاقة، وبالشعور بالمسؤولية، وبالنورانية والروحانيّة.
وفي لقاءٍ آخر جمع الباحثين في الشؤون الحضارية بسماحته -إن لم أخطئ، في السابع عشر من كانون الثاني/ يناير عام 2019م- تشرّفنا بلقاء سماحته ضمن

جمعٍ محدود؛ وهناك أيضاً رأينا قائداً حكيماً. وما لفت انتباهي هو أنَّ هذا القائد الذي يتربع على قمة الفضل والمكانة العلمية والحكمة، ورغم أننا كنا جالسين حوله في ذاك اللقاء ونُعتبر عملياً من تلامذته أو تلامذة تلامذته، إلا أنه أصغى في تلك الجلسة لما يقارب الساعة والنصف لنقاشات الإخوة والأساتذة الحاضرين.

بعد ذلك، أدلى سماحته بما لديه من نقاط وملاحظات في نحو عشرين دقيقة، وهي التي حدت بنا منذ تلك الليلة إلى إحداث تحول جذري في أبحاث الدراسات الحضارية، ونشرنا كتباً في ذلك السياق.

أود الإشارة هنا إلى أنه -خلافاً للدعاية والسلوكيات غير الأخلاقية والتهم التي كانت تُكال لسماحته إبّان حياته نتيجة الأجواء الإعلامية المضللة- كانت شخصية سماحة السيد في «الإنصات» و«حسن الاستماع» فريدة من نوعها؛ فقد كان يفسح المجال للحوار والمشاركة والعقلانية الجماعية. وهذه السمة في الإنصات قلما تجدها حتى لدى بعض المثقفين وممن يدعون الريادة في مجال التحاور؛ فبعض هؤلاء الأدعياء يكفي أن تخالفهم الرأي حتى يكمموا أفواهكم ويسائلوكم بحدة عن سبب طرحكم لهكذا بحث.

أما في ذاك اللقاء، فقد **لمستُ سعة صدر سماحته وحسن استماعه بوصفها مرتبة عليا من الفضل والعقلانية، وكان ذلك لافتاً جداً بالنسبة لي. لقد كانت حقاً صفةً نبيلة على مستوى القيادة**، وإني لأفخر بكوني فرداً من مجتمعٍ يحظى بمثل هذا القائد.

البيئة

في رحاب الشهيد

إن قضية البيئة أو الحفاظ على الموارد الطبيعية ليست بالنسبة لنا مسألة كمالية أو ثانوية، بل هي قضية حيوية. 1999/03/05 إن نظرتنا إلى الأشجار والنباتات والخضرة والبيئة هي نظرة معرفية ومعنوية، تنبع من الرؤية الدينية.

ولهذا السبب، يُعد غرس الأشجار وزراعة الشتائل في الشريعة الإسلامية المقدسة من الحسنات؛ فلدينا روايات متعددة تحثّنا وترغّبنا في غرس الأشجار والشتائل بوصفها أعمالاً صالحة. كما يتضمن دستورنا أصلاً خاصاً بالبيئة، يوضح أهميتها وضرورة الاهتمام بها بأفضل بيان. وبناءً على ذلك، فإن الأنشطة التي تُبذل في مجال المساحات الخضراء والأشجار والنباتات والبيئة والغابات وما شابه، هي أنشطة دينية وثورية. ينبغي على شبابنا الأعزاء ألّا يتوهموا أن قضية البيئة أمر تزييني أو كمالي أو فائض عن الحاجة؛ كلا، بل هي مسألة أساسية ومهمّة نصت عليها الشريعة والقانون. 2021/03/05

ثمّة آية في القرآن الكريم حول «ألد الخصام»؛ أي الأعداء الأكثر لجاجة وخبثاً وعناداً، حيث تذكر لهم صفات، منها: «وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل» (البقرة، 205)؛ فهو يدمر الحرث والنسل ويفسدهما، أي يقضي على الإنتاج النباتي والنسل البشري. 2015/03/08

إن منشأ جميع الحروب والمجازر في العالم، والمظالم التي تقع، هو شعور «الأنا» و «الأنانية» لدى فئة من البشر. وتجاهل البيئة أيضاً هو نتيجة للطغيان والغرور والأنانية في مواجهة الطبيعة. 2006/10/13

لقد ألحقت الدول الصناعية أكبر الأضرار بالطبيعة والبيئة، واعتدت على حقوق سائر الدول، وفرضت

بسياساتها المرض والفقر والدمار على الكثير من البشر. 2003/06/10

إذا ظهرت هذه الأنانية في التعامل مع الطبيعة، فستكون نتيجتها ضياع البيئة الطبيعية؛ وهو الأمر الذي يحظى باهتمام في العالم اليوم تجاه قضية البيئة عن حق. فإهمال المحيط الطبيعي لحياة الإنسان هو ثمرة الطغيان والغرور والأنانية أمام الطبيعة. 2006/10/13

وبناءً على ذلك، لا يُسمح بالصيد في الشريعة الإسلامية المقدسة إلا في حال حاجة المرء إليه من أجل الغذاء؛ أما في غير هذه الحالة، فالصيد غير جائز مطلقاً، ولم تأذن الشريعة به. 2022/03/06

كان القائد الشهيد يؤكّد على الاهتمام بالعالم الماورائي

حجّة الإسلام الدكتور
السيد سعيد رضا العاملي
رئيس كليّة الدراسات العالميّة
في جامعة طهران

سؤال

جناب الدكتور، كتب القائد الشهيد للثورة الإسلامية رسالتين في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين وجههما إلى الأوروبيين والأمريكيين، وخصّ الشباب في تلك الدول. يرجى توضيح السياق السياسي والاجتماعي والديني الذي كُتبت ونُشرت ضمن إطاره كل من هاتين الرسالتين. برأيك، ما هي الأهداف والخطّة التي سعى إليها الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي في الرسالتين الأولى والثانية؟

بسم الله الرحمن الرحيم.

صدرت الرسالة الأولى لسماحة السيد القائد في الحادي والعشرين من كانون الثاني / يناير عام 2015، ولم يكن في نيته أن تُنشر هذه الرسائل في إطار رسمي، بل كان هدفه أن يوجه خطاباً حكيماً بأسلوب أبوي وودّي إلى جيل الشباب في أوروبا وأمريكا. **كان المحور الأساسي للرسالة الأولى هو قضية «الإسلاموفوبيا» و«صناعة الآخر» التي كانت تتوسع بشكل متزايد في أوروبا وأمريكا آنذاك**، بهدف تعزيز القطيعة مع الإسلام. ومن الأمثلة على ذلك، حادثة مجلة «شارلي إيبدو» في فرنسا المعروفة لدى الجميع؛ فهذه المجلة الساخرة كانت تستهزئ بالقضايا العالمية الكبرى، ونشرت في أحد أعدادها رسوماً كاريكاتورية

مسيئة لرسول الإسلام (ص)، مما أثار ردود فعل عنيفة لدى مسلمي فرنسا. وقد اتخذ سماحته من هذا الموضوع منطلقاً مهمًّا وطرح قضية الإسلاموفوبيا في رسالته الأولى. تعود المقالات الأولى التي كُتبت حول الإسلاموفوبيا إلى عامي 2000 و2001، ثم توسع هذا المفهوم لاحقاً. يتبع «الترهيب من الإسلام» و«الترهيب من الآخر» أهدافاً محددة ولهما سوابق تاريخية؛ فعلى سبيل المثال، طُرحت في الماضي مفاهيم مثل «الترهيب من اليابان» و«الترهيب من روسيا»، وكان هذا النوع من تخويف الآخر يمهد الأرضية والشرعية للحروب والعنف والإرهاب. **كما كان سماحة السيد القائد ينظر إلى الآفاق المستقبلية؛ فما الذي كان من الممكن أن يحدث بعد هذا النوع من تخويف الآخر وجعل الإسلام والمسلمين محوراً لترهيب عظيم؟ ففي ظاهرة الإسلاموفوبيا، أول ما ينتج بشكل طبيعي هو انهيار المسلمين من الداخل.**

أي إنه بعد تصوير وعرض تلك المشاهد والخطابات

المثيرة للرعب، قد يرضخ المسلمون ويتقبلون فكرة أنهم يواجهون مشكلة حقيقية في ذواتهم؛ تماماً كما تسلل هذا الفكر إلى جيل الشباب لدينا. فتراودهم تساؤلات من قبيل: لماذا نعيش نحن بهذا الشكل بينما يعيش الآخرون بذاك؟ ولماذا تذهب كل الأشياء الجيدة للغربيين والأوروبيين، في حين لا نصيب لنا إلا المشكلات والصعاب والعقوبات والفقر والحروب؟ في الواقع، إن الأمر الذي كان الغربيون أنفسهم سبباً فيه، أُرخيَ بظلاله على بلادنا وصُور كمعضلة، بينما الحقيقة أن التدين هو ما يبعث على الطمأنينة. فالإسلام دين الرحمة والحياة العقلانية، ويوصي بالشمولية والتوازن بين الروحانية والعقلانية. ومع ذلك، فقد شُقّ هذا المسار العدائي، مما دفع سماحة القائد لمخاطبة شباب أوروبا وأمريكا بضرورة الحذر من أن «تخويف الآخر» و«الإسلاموفوبيا» ليس إلا تكتيكًا يهدف لفصلهم عن الإسلام. وقد أوصاهم سماحته بأن يقرؤوا القرآن الكريم بأنفسهم، وأن يتأملوا في سوره المائة وأربع عشرة، والتي تبدأ جميعها -باستثناء سورة التوبة- بعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم».

إن قسماً كبيراً من آيات القرآن يزخر بالدعوة إلى التدبير والعقلانية والرأي والفكر والتأمل والتفكر والتعقل. لقد اقترح سماحة القائد أن تقرؤوا القرآن بأنفسكم ومباشرة، كي تنشأ

أجواء قراءة القرآن في الغرب. وقبل التطرق إلى الرسالة، يجدر بنا أن نبحث في سبب توجيه سماحته الخطاب إلى شباب أوروبا وأمريكا؛ إذ أثيرت بعض الحساسيات في غرب آسيا وشبه القارة الهندية وأفريقيا، وتساءل البعض: لماذا لا يوجه سماحة القائد الرسالة إلينا ونحن المظلومون في هذه القضيّة؟ لقد كان السبب واضحاً؛ فمصدر الشر ومنبعه في العالم كان ولا يزال أوروبا وأمريكا،

فهذه الدول تسببت في شرور كثيرة وارتكبت مجازر جماعية عديدة عبر التاريخ. وفي الرسالة الثانية لسماحة القائد، التي كُتبت بعد فترة وجيزة، أي في نوفمبر عام 2015، أشار إلى مسألة الاستشراف والنظر إلى المستقبل. فبماذا ينبغي دائماً تناول الفواجع بتأخر تاريخي؟ ولماذا لا نرى ونحلل الكوارث في زماننا؟ في الواقع، هناك كوارث تقع في عصرنا الحالي يجب إيلاؤها اهتماماً جاداً. لقد ظهرت قضية داعش، الذي ارتكب عمليات إرهابية كثيرة في أوروبا، ونقل الفتنة التي بدأت من داخل الدول الإسلامية، لا سيما العراق وسوريا، إلى أوروبا. كما كان هذا الأمر خدعة إسرائيلية؛ فمن الجلي أن هذا هو تكتيك الصهاينة بنقل الفتنة إلى «الدول المركزيّة» حسب تعبيرهم. قد يُعد هذا الأمر نظرية مؤامرة، لكن هذه الرؤية بحد ذاتها هي مؤامرة؛ أي ألا ترى أي مؤامرة إطلاقاً. وحتى حادثة الحادي عشر من أيلول/سبتمبر لا تزال تُطرح بوصفها مؤامرة من أجل «الإسلاموفوبيا»؛ حيث يُفجر مبنيان مهمان في نيويورك، ثم تصطدم طائرة بمبنى، لكن المبنى ينهار من أساسه. وفي هذه الرؤية، يُعد الهيمنة على الموارد الاقتصادية العالمية وتقديم الضحايا أمراً هيناً ومقبولاً.

لذا كانت الرسالة الثانية لسماحة القائد نوعاً من التوعية للعالم الغربي ولاسيما الشباب؛ أولئك الذين يمتلكون ضمائر نقية ومستعدة لسماع الحقائق. ففي نهاية المطاف، يدرك الجميع أن داعش من صنع وإعداد الموساد وأمريكا، وقد تدرب عناصره في المنظومة الأمنية للصهيونية. ولقد شاهدنا نماذج من أساليبهم في الاضطرابات الأخيرة في إيران؛ فعمليات قطع الرؤوس، وإحراق المصاحف والمساجد، وغيرها من الإجراءات المماثلة، نُفذت بذات منهج «الرعب الكبير» الداعشي. أتذكر أنه في فترة ما، حين كنت تبحث عن كلمة «شيعة» في محركات البحث، كانت تظهر صور الدماء والقامات، وهي ممارسات تعود لفئة صغيرة جداً، لكنها كانت تُعرض كواجهة للتشيع. وقد فعل «اللورد أحمد» أمراً مشابهاً في كتابه «الإسلام في العالم»؛ حيث عرض -على سبيل المثال- دراويش في كردستان إيران يضربون وجوههم بالمدى أو يغرزون الأسياخ في ألسنتهم، ثم وضع أسفلها تعليقاً يقول: «الإسلام في إيران». إن هذه الاستشراقية التي تولدت في بطنها «الإسلاموفوبيا»، وقعت للأسف ضحية مؤامرة كبرى. **ومن الأسباب التي تجعل ترامب ونتنياهو يقعون الآن في هذا الخطأ الفادح تجاه إيران هي هذه الاستشراقية ذاتها؛ فهم لا يعرفون الإسلام، لا في بعده الإيماني، ولا في بعده العقلاني، ولا حتى في الآلية المنهجية للفكر الإسلامي.**

لذا حين يدخلون الميدان، يتخيلون أن الأمر سيكون كما حدث في فنزويلا، حيث يُعتقل رئيس البلاد بعملية تبدو مُعدة مسبقاً ويُقتاد بعيداً دون أن يحدث شيء؛ فلا الشعب يحتج، ولا خوف لديهم من روح الإيثار والشهادة. إنهم يسعون، بذات النمط الفنزويلي، لإشعال حرب في إيران، متوهمين أن حرباً تركيبية من الخارج

والداخل ستنهي القضيّة. لكن، وخلافاً لتصوراتهم، يتحول الشعب الإيراني إلى ركيزة للحرب المركّبة؛ بمعنى أن منظومة الدفاع والمقاومة الشعبية تعمل كبنيان صلب لمواجهتهم.

سؤال

صدرت رسالته الثالثة الموجهة إلى الطلاب الأمريكيين بعد فاصل زمني يتجاوز عشر سنوات عن الرسائل السابقة؛ وذلك في وقت تحولت فيه قضيّة فلسطين إلى القضية المركزية للرأي العام العالمي. كيف تحللون أهمية صدور هذه الرسالة في مثل هذا الظرف الزمني والاجتماعي والسياسي؟

كلما مرّ الزمان على استشهاد مقتدانا الشهيد والعزيز، كأنّ جرحنا يتجدد. وبفضل الله، يواصل خلفه الصالح ذلك الفكر وتلك التجربة والمنهج، وهو ما يتجلى بوضوح منذ بيانه الأول وبيانه في عيد النيروز، حيث استعاد الخامنئي شبابه. **لقد كان هناك انسجام تام في فكر قائدنا الشهيد؛ فلا يمكن أن تجد في آرائه كلاماً متناقضاً. البعض يتسمون بازدواجية أو تعدد الأوجه، فيطلقون أحياناً تصريحات تتناقض تماماً مع سابقاتها، ويتغيرون باختلاف الزمان والأحوال. أما سماحته، فقد تمتع بثبات في الفكر، والسبب في ذلك هو تشكّل فكر إلهي منسجم في ذهنيته.** وما ذكره بشأن «الإنسان بعمر 250 سنة»، يمكن القول معه إننا واجهنا «إنساناً بعمر 1400 سنة»؛ أي إنه تتبع هذه السنن الإلهية والاجتماعية عبر التاريخ، وامتلك ذهنية جلية وشفافة تماماً حول كيفية التعامل مع العالم المعاصر. لهذا السبب، كانت كلماته دوماً مكملة لبعضها البعض. في الرسالة الأولى، طرح سماحته العنف الجديد المتمثل في «الترهيب من الآخر» بوصفه الركيزة الأساسية لصناعة الأزمات في عالم اليوم، واعتبر ذلك مؤامرة تهدف لتخويفنا من الإسلام والمسلمين. وفي الرسالة الثانية، تمت الإشارة عملياً إلى تلك البنية التي تثير الرعب من داخل المجتمع المسلم، وهو «داعش». لقد ادعى داعش الحكم الإسلامي في العراق وسوريا، وكان هدفه الهيمنة على غرب آسيا، حتى إنه نفذ عملية في مجلس الشورى الإسلامي الإيراني وبعض المناطق الحدودية. أما الرسالة الثالثة لسماحته، فقد تبلورت بناءً على ظرفٍ استجد في أوروبا. فبين عامي 1955 و1975، إبان حرب فيتنام التي خاضها الأمريكيون لعقدين من الزمن، قُتل أكثر من 3 ملايين إنسان، كما تكبد الأمريكيون أنفسهم خسائر فادحة.

منذ عام 1965 وما بعده، تصاعدت الاحتجاجات الاجتماعية في أمريكا وأبدى جيل الشباب ردود فعل سريعة. ومن النقاط التي أشار إليها سماحة القائد

في رسالته الأولى هي أننا دخلنا عصر العولمة؛ فرغم أن الحدود لا تزال قائمة وبقوة، إلا أنه قد برز الآن ما يتخطّى الحدود، والذي يتجلى في أجواء العالم الافتراضي. هذه العلاقات والاتصالات سلاح ذو حدين؛ فهي تشكل أرضية لـ«أمركة» العالم، ومن جهة أخرى تبرز قضايا «الاستعمار الثاني» بشكل عملياتي لفرض الهيمنة على عقول الناس وأفكارهم. وقد انعكس هذا المضمون بوضوح في رسائل سماحته، حيث طرح بشكل بارز موضوع «الاستعمار الذهني» و«إنهاء استعمار العقول». إن هذه المفاهيم فاخرة جداً بحق؛ فاليوم في الحركات الاجتماعية، يعترض الكثيرون على الاحتكار الذهني وتدمير التفكير الفردي. وفي علم الاتصال، نقول إن الفرد يوضع أحياناً في مرحلة الإنكار؛ فلا أذنه تسمع ولا عينه ترى. لقد كان هؤلاء يسعون وراء هندسة العقول، وكان سماحة القائد يولي اهتماماً خاصاً لهذه الهندسة الذهنية؛ إذ قال لشباب أوروبا وأمريكا: «إنني أعتبركم استمراراً لجبهة المقاومة، وأنتم في الواقع جبهة المقاومة اليوم في العالم الغربي». وهذا القول ينم عن دقة وظرافة خاصة تعكس قدرة قيادية منقطعة النظير. لقد كان أنبياء بني إسرائيل يعيشون ألف عام فيؤمن بهم نحو أربعين أو خمسين شخصاً، أما هذا القائد الإلهي فقد انقطع عن كل شيء لله. وكما يقول ابن عربي: «أنت إثبات بقدر ما أنت نَفْيٌ»؛ لقد أفنى نفسه في الله. لم يكن الأمر ليتوقف عند استشهاده في سن السادسة والثمانين، بل كان سماحته قد استشهد من قبل، وذلك الاستشهاد الباطني هو الذي مهد له نيل هذه الشهادة. لقد كان دائماً يغبط الشهداء ويبكي متسائلاً لماذا لم يُصطَفَ لنيل التوفيق للشهادة.

في رسالته الثانية، برزت حرقة سماحته وتألمه لأجل شعوب العالم بشكل جلي؛ إذ صرح لغير المسلمين بأن مشاهد انفجار قنبلة أو مقتل طفل أو أم هي مشاهد تدمي قلوبنا، فنحن في الأساس نعارض قتل الإنسان وإزهاق أرواح الأطفال. وفي رسالته الثالثة، أصبحت الصورة أكثر مأساوية: «لقد استشهد 20 ألف طفل فلسطيني مظلوم في غزة». الفلسطينيون الذين لم يملكوا سابقاً سوى الحجارة ليرموها بوجه الكيان الإسرائيلي، باتوا الآن يمتلكون إمكانات تتيح لهم المقاومة، ولكن السؤال هو: ما السبب وراء ارتكاب كل هذه الجرائم؟ لقد أشار سماحة القائد بدقة إلى أن العالم الغربي يسعى حقاً لابتلاع إيران والعالم؛ فحيثما وجدت الموارد الاقتصادية، تجد هذه الدول تسعى للاستحواذ عليها، وهذه في الواقع «نزعة» متأصلة. قد ينسب البعض هذا السلوك لترامب وجنونه ونرجسيته، لكن الحقيقة هي أن المنظومتين الأوروبية والأمريكية مصابتان بمرض سيكولوجي؛ فأن يرى الإنسان نفسه مركزاً للكون، ويغرق في نظرة تتمحور حول أوروبا وأمريكا، ويعتبر الموارد الحضارية ملكاً حصرياً لأوروبا -بينما أمريكا ليس لها تاريخ يذكر مقارنة بأوروبا ذات التاريخ الممتد لألف عام- فهذه نظرة خاطئة تماماً. ويبدو لي أن أمريكا قد عادت مجدداً إلى عهد الاستعمار الأول وتسعى للتوسع الجغرافي. هذه الرؤية أحدثت وعياً لدى شباب أوروبا وأمريكا؛ **لذا خاطبهم سماحة القائد محقاً بأنهم «استمرار لجبهة المقاومة» وأنهم «يقفون في الجانب الصحيح من التاريخ»**. وربما لا تفي عبارة «الجانب الصحيح من التاريخ» بكل أبعاد مفهوم «الكونية» (Universalism) التي تنشد التوجه العالمي والقيم المشتركة؛ فهذا التيار علماني ولا يمكن تأطيره ضمن الدين، لكن البشرية في ظل الانسدادات التي تواجهها، تتعلق بكل ما يشبه المخلص لتنجو. إن "ما بعد الحداثة" التي ظهرت كانت نوعاً من السأم تجاه النظام الحداثي، لكنها هي الأخرى سلكت طريقاً خاطئاً وأحدثت فوضى تذهب ضحيتها الأجيال الحالية.

ثمة وجه مشترك يجمع رسائل سماحته الثلاث: صحوة أوروبا وأمريكا؛ فقد أراد سماحته تحويل «صحوة العالم الإسلامي» إلى «صحوة العالم الغربي». والوجه المشترك الثاني هو إضفاء الغائية والهدف على المجتمع الغربي؛ ذلك أن العالم الغربي غارق حقاً في مادية بحتة، ولم يعد ثمة فرق بين الاشتراكية والليبرالية، فكلاهما مكبل بالمادية وعاجز عن تلبية الاحتياجات الإنسانية الحقيقية. لقد خلق الله خلق حقيقة للوجود، ودبّر لأشرف مخلوقاته -وهو الإنسان- كرامةً وشرفاً، والخروج عن هذا الشرف ليس إلا تلوثاً للحياة، وقد سعى سماحته في رسائله الثلاث لتحويل هذا التلوث إلى غائية وهدف. أما الوجه المشترك الثالث، فهو تعزيز روح الاعتراض على نظام الطاغوت في ذوات البشر؛ فنحن نواجه نظاماً طاغوتياً استكبارياً يسعى للهيمنة على الآخرين، وأول ضحايا هيمنته هم شعوبه ذاتها. يعتقد الكثيرون أن أوروبا وأمريكا كيانات منفصلة، لكن الحقيقة خلاف ذلك؛ إذ يجب علينا فصل الكيان الصهيوني المهيمن على المنظومتين الأوروبية والأمريكية عن الشعوب والمثقفين والنخب. فبينما تقبع فئة من المجتمع في الحلقة الصهيونية، تظل الشعوب هي الضحية الأولى؛ وحين تتركز 70% من الموارد المالية في أمريكا بيد 5% فقط من المجتمع، فهذا يعني شقاقاً هائلاً! كما أن مؤشر «جيني» في أمريكا يعد من الأعلى عالمياً، مما يعكس تمييزاً اجتماعياً صارخاً. والمسائل المالية ليست إلا بعداً واحداً؛ إذ تظهر قضية «إبستين» إلى أين يمكن أن يقود الانغماس في الشهوات الإنسان ليرتكب مثل تلك الفظائع. والحقيقة أن تاريخ الغرب يحوي حلقة من الشهوانية واللذة والطمع، وقد أُلفت كتب عديدة في هذا المجال، منها ما تناول فلاسفة الغرب وتتبع أمزجتهم الغريبة، مما يكشف مدى تخبط بعضهم، وقد غدا هذا أساساً فكرياً في المجتمع

الغربي. ختاماً، فإن التوعية، وتحديد الهدف، والتوجيه نحو المسار الصحيح للتاريخ، هي جوهر رسائل سماحته الثلاث. **ولعل سماحة القائد قد قصد بمصطلح «الجانب الصحيح من التاريخ» معنىً أكثر شمولاً؛ أي عودة الإنسان إلى فطرته الإلهية أياً كان دينه، بحيث يعود في نهاية المطاف إلى فطرته ويصبّ اهتمامه على حقيقة الحياة التي طرحها القرآن الكريم والإسلام بوصفه دين النبي الخاتم (ص).**

سؤال

إلى أي مدى ساهمت الرسالة الثالثة لقائد الثورة الإسلاميّة في دفع وترسيخ قضيّة فلسطين ضمن الأجواء الأمريكيّة والأوروبيّة؟ وفي الختام، ما الذي تعكسه في شخصية الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي حقيقةُ أن يقوم قائد دولة، وبمعنى آخر قائد الأمة الإسلامية، بكتابة رسائل لثلاث مرات وتوجيهها إلى شباب الشعوب الأخرى والتحدث معهم مباشرة؟

أعتقد أن سماحة السيد القائد كان يرى نفسه مسؤولاً بالدرجة الأولى تجاه المجتمع الإيراني، وكانت الحلقة الأولى لاهتمامه هي المجتمع الثوري العالمي. وفي المرحلة التالية، كان يحمل شعوراً بالرسالة والمسؤولية تجاه شعوب العالم كافة، وهذا نابع من الإسلام؛ لأن خطابات الإسلام عامة. فقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه (ص) في القرآن الكريم صراحة بقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ}، وكذلك في الخطابات الإيمانية الموجهة لعموم المؤمنين في العالم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وهو خطاب يشمل كل مؤمن في أرجاء المعمورة، فضلاً عن الخطابات الموجهة للناس قاطبة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ}. بناءً على ذلك، فإن أي مسلم، وقائد مسلم كقائدنا الشهيد والعزيز، الذي كان يمتلك رؤية سامية وحضارية وعقلانية تجاه العالم، سيشعر حتماً بالمسؤولية تجاه شعوب الأرض، ولا سيما في فكر سماحة آية الله السيد مجتبى الحسيني الخامنئي، قائدنا المفكر والعزيز.

يقول سماحته إن أولويتنا القصوى في التواصل هي المجتمعات والدول الثورية؛ لبنان، وفلسطين، والعراق، وأي بقعة في العالم تتحلى بهذه القيمة الثورية. وسبب هذه الرؤية واضح: فهذه الجماعات والشعوب لديها الاستعداد لمواجهة نظام الهيمنة؛ بمعنى أنها لا تملك «هوية خجولة»، بل تتمتع بـ«هوية نضالية». واليوم، وبعد استشهاد قائدنا الحكيم والشهيد، تعززت روح النضال في إيران؛ فقد كان لانعكاس دماء قائدنا العزيز الطاهرة، وفي شهر رمضان المبارك، هذا الأثر. لقد كان النضال هو هوية قائدنا الحكيم؛ فهو نفسه انبثق من شخصية مناضلة. فسنوات حياته السياسية الـ 65 كانت حياة كفاح ونضال، تخللها السجن والنفي، و44 عاماً منها قضاها بجسد جريح ويد مشلولة؛ فعندما كان يقنت، كان يضع يده اليسرى تحت يده اليمنى ليتمكن من رفعهما بالدعاء بين يدي ربه. هذا الجسد المصاب بكسر في الترقوة، ويد يمنى مشلولة، وقدم جريحة، أظهر على مدى 44 عاماً -بعظمة

تجلت عند دخوله الحسينية وفي الاستعراضات العسكرية وأثناء حديثه مع الناس- إنساناً وهوية مناضلة. وفي المقابل، كانت هناك «الهوية الخجولة» التي يعود أحد أسبابها إلى ما يُسمى بعدم استقرار الإيمان، والسبب الآخر هو ما فعله الغربيون في قضية «الإسلاموفوبيا» بجعل الناس يخجلون من أنفسهم. لذا، ينبغي لي القول إننا اليوم أصبحنا نمتلك جمهوراً على مستوى العالم، لا يقتصر وجوده على لبنان والعراق وسوريا واليمن فحسب، بل ينتشر في جميع أنحاء العالم؛ وهذه الرسالة التي وجهناها إلى الأمم المتحدة وقّع عليها كثيرون.

بدءًا من وزير التربية والتعليم اليوناني السابق، والبروفيسور ألغار، ورامون، واستيف هيو، وصولاً إلى الكثير من مفكري العالم الذين يؤيدون هذا الطرح اليوم. لقد كتبتُ مقالاً حول خصائص النموذج الفكري لقائدنا المفكر، الخلف الصالح للقائد الشهيد، وبعد ترجمته إلى اللغة الإنجليزية وصل إلى أيدي عدد من مفكري العالم، وكانت الردود التي تلقيناها مذهلة حقاً. فرغم أن سماحته لم يبرز اجتماعياً بعد (على الساحة الدولية)، إلا أن رؤيته هذه كانت مؤثرة لدى مفكري العالم. وأرى أن هذا التأثير بين المفكرين وجيل الشباب بات واسع النطاق. وبطبيعة الحال، لا ينبغي لنا أن نغفل عن أن إيران استُهدفت بعمليات «الترهيب من الآخر» وتشويه السمعة بشكل غير منصف، لدرجة أننا واجهنا أربعة أنواع من الترهيب: «الإسلاموفوبيا»، و«الإيرانوفوبيا»، و«الشيعة فوبيا»، و«الثورة فوبيا». لقد حاولوا عزل إيران عبر بث هذه المخاوف الأربعة، وخلق روح خجولة تجاهها في الحراكات الاجتماعية العالمية كي يتجنب الناس التقرب منها. ولكن في المظاهرات المناهضة للحرب التي جرت في بريطانيا مؤخراً، سمعتُ أنه تم توزيع نحو 12 ألف علم إيراني ولم تكن كافية، إذ كان الناس تواقين لحمل العلم الإيراني، وارتفع شعار «نحن إيرانيون» في تلك الحراكات الاجتماعية.

هذه النتائج إنما هي ثمرة جهود طويلة أثرت في العقول وأحدثت وعياً؛ وأود القول إنه لا ينبغي لنا أن نتوقع رؤية أثر رسالة سماحة القائد الموجهة لشباب أوروبا في اليوم التالي مباشرة، بل إن هذه الأمور تخلق بمرور الزمن ثقافة تقصي الحقائق. إن سماحته يدعوهم لتلاوة القرآن ولو لمرة واحدة دون أي تفسير، حيث يقول تعالى: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ». ولا يوجد استشراف للمستقبل أبلغ من هذا؛ فلو كنا ممن يحسنون الاستماع ويحسنون التفكير، لما كان مأوانا في سعير جهنم. وبتعبير آخر، فإن السبب وراء الجحيم الذي أوجدته الصهيونية في عالم اليوم، هو أن العالم قد فقد الأذن الواعية والعقلانية تجاه الحقيقة.

سؤال

لقد ألّفتم مؤخراً كتاباً عن الإمام الخامنئي تحت عنوان «القائد الحكيم»؛ نرجو منكم أن تقدّموا لنا نبذة موجزة عن هذا الكتاب. وماذا ستقولون إذا أردتم وصف القائد الشهيد للثورة الإسلامية بعبارة قصيرة؟

نُشر كتاب «القائد الحكيم» باللغة الإنجليزية إبان حرب الأيام الاثني عشر، وهو متاح في كبرى متاجر الكتب الإلكترونية العالمية، وقد لقي ترحيبًا جيّدًا. هذا الكتاب وجيز يستعرض حياة سماحة القائد المعظم من طفولته حتى توليه القيادة، ويوضح خصائصه القيادية ضمن عشرة قوالب مختلفة. من بين هذه الخصائص يمكن الإشارة إلى «التوحيد»؛ فقد كان إنساناً موحداً ربانياً، على اتصال باطني دائم مع الله، وكانت أوامر الله تمثل له القانون، واستمرار وحيه في الحياة اليومية أصلاً جوهرياً لديه. ومن خصائصه البارزة الأخرى «الحكمة»، وهو ما استُمد منه عنوان الكتاب؛ إذ الحكيم هو من يستطيع التمييز بين الخير والشر ويختار الخير والصلاح دوماً لا الشر والسوء. لقد كان حكيماً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولحكمته آفاق واسعة. كما كانت «الشمولية» من ميزاته الأخرى المهمّة.

كان سماحته فناناً، ومحباً للفن، وخبيراً به، وأديباً وشاعراً، ويمتلك ذائقة نقدية رفيعة للنصوص؛ فكان يتابع أحدث الروايات والقصص، وأحيا فن كتابة المذكرات المتعلقة بالشهداء وثقافة الشهادة والإيثار. كما أولى العلم والمعرفة اهتماماً عميقاً، وكان يُعدّ معمار النهضة العلمية والمعرفية في إيران الحديثة. لقد كان قائد الثورة الإسلاميّة مثقفاً نيّر الفكر، يعنى بالحاضر ويتطلع إلى المستقبل، ويفتح آفاقاً جديدة للإنسان، ويولي الابتكار أهمية بالغة. ولم يكن يقنع أبداً بمجرد الوقوف عند حدود العلم، بل كان يؤمن بضرورة أن نكون نحن المبتكرين لعلوم جديدة في العالم. وإضافة إلى ذلك، كان يولي التكنولوجيا أهمية قصوى، وما الأوامر التي أصدرها لتدوين «الخريطة العلمية الشاملة للبلاد» إلا نموذجاً لاهتمامه بهذا الشأن؛ إذ كانت تعني رسم خارطة طريق للعلم بأسره وفي المجالات كافة: العلوم الأساسية، والهندسية، والتجريبية، والإنسانية، والاجتماعية. لقد كان إنساناً شمولي الرؤية، والأهم من ذلك أنه كان بعيد النظر؛ وفيما يخص قضية «التنمية المستدامة»، لم يكن يرتضي مصطلح «التنمية»(Development) بسبب ترجمتها الغربية، وكان يشدد بقوة على الرؤية المحلية والأصيلة.

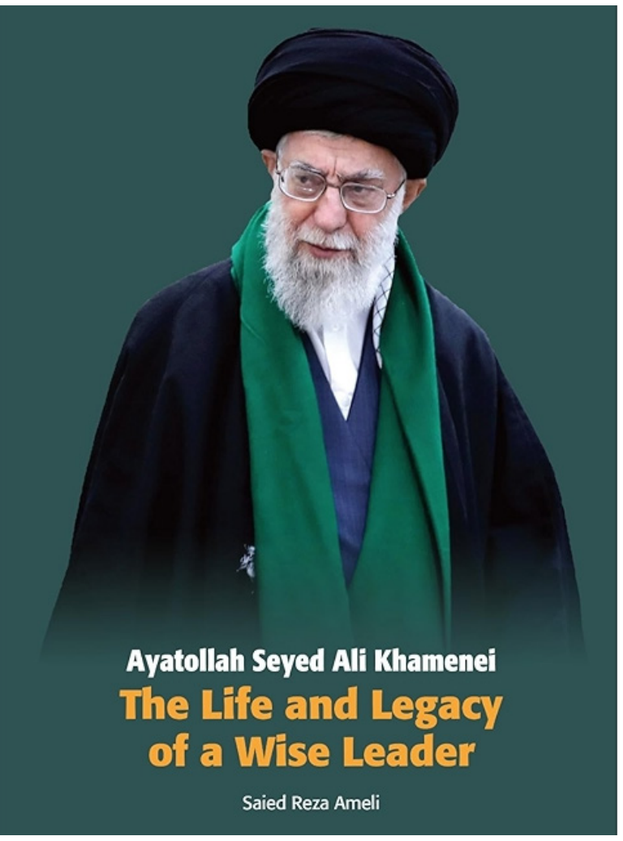

كان يرى أن للعالم الإسلامي إقليماً فكرياً فريداً يجب أن ينهل منه؛ ولذا استبدل مفردة «التنمية» بمصطلح «التقدم». كانت رؤيته تقضي بضرورة مراعاة كافة العوامل

في مسار التقدم: البيئة، والاقتصاد، والإنسان، بحيث لا يؤدي التقدم ذاته إلى تدمير البيئة. والمفهوم الأكثر دقة الذي تجلى في استشرافه هو قضية «التقدم الخالد»؛ **فبدلاً من «التقدم المستدام»، كان يتحدث عن التقدم الخالد، أي الالتفات إلى ما وراء هذا العالم بدلاً من التركيز الحصري على الدنيا والحياة المادية. ففي الروايات أن هذه الدنيا لا تعدو كونها يوماً وليلة مقارنة بالآخرة؛ لذا كان الخلود غاية الأهمية لديه**، وكان يوصي البشر بأن يعيشوا على نحو تظل فيه الأجواء ملائمة لهم دوماً، فكان اهتمامه منصباً على «الإنسان الخالد». لقد كان وضعه للأهداف في هذا المسار حيوياً جداً؛ فمن أجل صياغة «بيان الخطوة الثانية للثورة» في شباط/ فبراير 2019، تفرغ سماحته لنحو 17 يوماً، تاركاً جلّ أعماله الأخرى جانباً ليركز بشكل مكثف على نص البيان الذي جاء في غاية الرقي والجزالة. ويُعد هذا البيان من أهم وثائق الثورة الإسلامية، ومن أراد معرفة كنه هذه الثورة، فإن هذا النص يكفيه. لقد لخص سماحته في هذا البيان رصيد الثورة ورسم غايات المستقبل، وحدد ثلاثة أهداف كبرى للمجتمع الإسلامي، كانت «الحضارة الإسلامية الحديثة» ركنها الأساس، وقد اتسم هذا التحديد للأهداف برؤية رفيعة وعميقة للغاية.

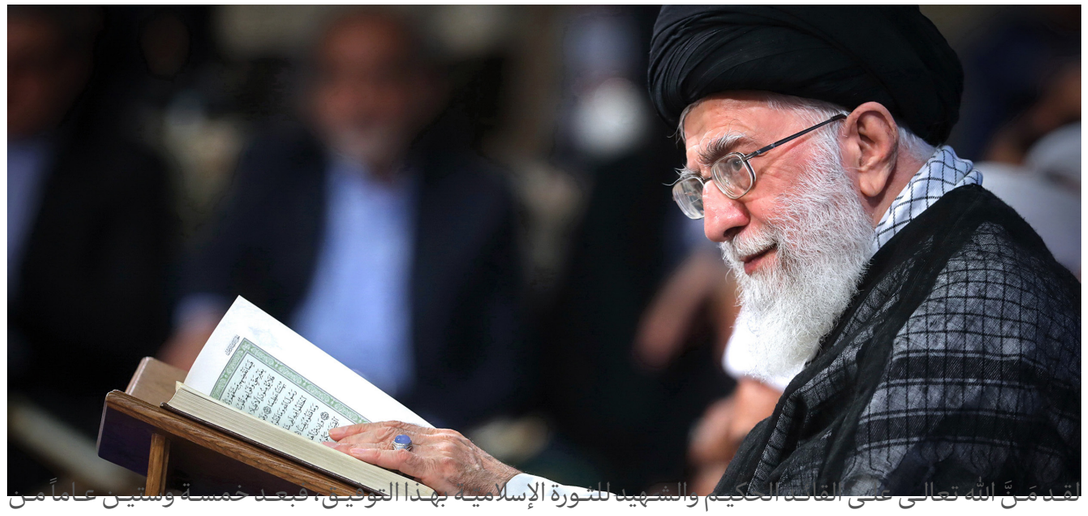

لقد مَنَّ الله تعالى على القائد الحكيم والشهيد للثورة الإسلامية بهذا التوفيق، فجعله خمسة وستين عاماً من النضال، نال الشهادة في سن السادسة والثمانين في مَشهدٍ جليل وعلى يد أشقى الأشقياء في عالمنا؛ فلم يكن في ملجأ أو مخبأ، بل استُشهد في مكتب عمله وفي شهر رمضان المبارك وهو يتلو القرآن الكريم. وتُشير بعض الروايات حول كيفية استشهاده إلى بَتْرِ كلتا يديه، ليكون بذلك «أبا الفضل العباس» للثورة الإسلامية، حيث بذل جوهر وجوده وقدّمه قُرباناً في سبيل صحوة الأمة الإسلامية. وإذا أردنا الإيجاز في عبارة واحدة، فالقائد الحكيم للثورة كان قائداً سعى دوماً وراء الدين والإيمان والعلم واستقلال إيران العزيزة. ومما لا شك فيه أنه الشخصية الأكثر وطنية في تاريخ إيران المعاصر، بل أذهبُ إلى أبعد من ذلك لأقول إنه الإنسان الأكثر وطنية في تاريخ إيران المجيد؛ ذلك الإنسان الذي سخّر كل طاقته وروحه وفكره لاستقرار الحضارة الإسلامية الحديثة، ووقف كل وجوده في سبيل هذا الهدف.

المهدوية

إن منجي آخر الزمان هو محل اتفاق لدى جميع الأديان الإبراهيمية؛ ففكرة أن شخصاً سيأتي وينقذ العالم من مستنقع الظلم والجور هي فكرة مقبولة لدى الجميع في الأديان الإبراهيمية. وفي الإسلام، تم تحديد اسم هذا المنجي أيضاً؛ فهذا الكائن الإلهي، وهذا الإنسان العظيم والاستثنائي، يُعرف في جميع المذاهب الإسلامية باسم المهدي. وربما لا يمكن العثور على فرقة من الفرق الإسلامية لا تعتقد بأن المهدي (عليه السلام) سيظهر وأنه من ذرية النبي؛ بل إنهم يحددون اسمه وكنيته أيضاً (2015/06/04).

إن الاعتقاد بإمام الزمان هو جزء من الرؤية الكونية للأديان؛ أي أن الأديان الإلهية، كما تبدي رأيها في رؤيتها الكونية العامة تجاه العالم والإنسان وأصل الخلق ونهاية مسيرة حياة البشر - أي حول المبدأ والمعاد - فإن أحد أجزاء هذه الرؤية الكونية، أي هذه المجموعة العظيمة التي تشكل البنية التحتية لجميع الأفكار والتأملات والأحكام والقوانين والأنظمة في الأديان، يتمثل في مسألة نهاية مسيرة القافلة البشرية في هذا الدنيا. أما مسألة العالم الآخر والنشأة الأخرى، فهي مسألة ثانية ترتبط بالآخرة. هناك مسألة وهي: إلى أين تتجه البشرية؟ إذا شبهنا المجتمع البشري على مر التاريخ بقافلة تسير في طريق ما، يطرح هذا السؤال: إلى أين تذهب هذه القافلة؟ ما هو مقصدها؟ وما هي نهاية هذا المسير؟ هذا سؤال جدي، ويجب الإجابة عليه في كل رؤية كونية. لقد أجابت الأديان على ذلك. ومع أن إجابات المدارس الفكرية غير الدينية في هذا المجال ليست متطابقة، إلا أن إجابة الأديان على هذا السؤال متطابقة تقريباً، وهي إجابة محددة. فبقدر ما نعرف من الأديان الإلهية والأديان التي استُنسخت منها، حتى وإن لم تكن هي نفسها إلهية، لكن يتضح أنها استمدت أصول وقواعد عملها من الأديان الإلهية، فإنها جميعاً تعتقد بأن هذه القافلة ستصل في نهاية المطاف وفي آخر الطريق إلى منزل مطلوب، منشرح الصدر، ومحبب (2014/06/11).

يجب الانتظار. إن نظرة الأديان هذه لنهاية طريق القافلة البشرية هي

نظرة تبعث على الأمل الكبير؛ حقاً إن روحية الانتظار وروحية الارتباط بولي العصر (أرواحنا فداه) وانتظار الظهور وانتظار ذلك اليوم، هي واحدة من أكبر نوافذ الفرج للمجتمع الإسلامي (11/06/2014). الانتظار هو أبعد من مجرد الحاجة، وأبعد من الإحساس بالحاجة. لقد قيل انتظروا؛ والانتظار يعني الأمل، الانتظار يعني الاعتقاد بوجود مستقبل حتمي؛ فهو ليس مجرد حاجة، بل إن الانتظار هو عملية بناء (2020/04/09). والمراد من انتظار الفرج هو الفرج النهائي المتمثل في ظهور الإمام، وكذلك الفرج بعد الشدة؛ أي الفرج بعد الأحداث الصعبة والأحداث العامة، مثل هذه الأحداث الموجودة في العالم اليوم والتي تجعل الكثيرين ييأسون وتدفع الكثيرين نحو الانتحار، ولكن حين يوجد انتظار الفرج، يدرك الإنسان أن هذه الحادثة ستنتهي بلا شك (2020/04/09).

ربما لم تمر في تاريخ البشرية فترة شعر فيها البشر والمجتمع البشري في كل مكان من العالم بالحاجة إلى منجي بقدر ما يشعرون به اليوم، سواء النخبة الذين يشعرون بهذه الحاجة بوعي، أو عامة الناس الذين يشعرون بها (2020/04/09). إن المجتمع الذي يعتقد بالمهدوية يشعر بقوة في قلبه، وهذه القوة مهمة جداً للأمم. واعلموا أن تسلط الاستعمار على الدول الإسلامية جاء بعد أن أفرغوا قلوب الشعوب، فجعلوا الشعوب تشعر بالضعف وعدم القدرة، ثم جاء المستعمرون وسيطروا عليهم بالقوة (2005/09/20). إن الأمل يدفع الإنسان إلى الكفاح وفتح الطريق والتقدم. فعندما يقال لكم "انتظروا"، فهذا يعني أن هذا الوضع الذي يؤلمكم اليوم ويحزن قلوبكم ليس أبدياً وسينتهي. انظروا كيف يمنح ذلك الإنسان حياة ونشاطاً! هذا هو دور الاعتقاد بإمام الزمان (صلوات الله عليه وأرواحنا فداه)، وهذا هو دور الاعتقاد بالمهدي الموعود. هذه العقيدة هي التي عبرت بالشيعة حتى اليوم من كل تلك المنعطفات الغريبة والعجيبة التي وُضعت في طريقهم (1996/01/07).

استشهاد آية الله الخامنئي يرسم مسارات مهمة للمستقبل

إنّ قائد جمهورية إيران الإسلامية، السيد علي الخامنئي، الذي كان أيضًا عالمًا دينيًا كبيرًا، وقائدًا ومرشدًا لجمهورية إيران الإسلامية، تعرّض لعدوانٍ ظالم من أمريكا و"إسرائيل"، ونال الشهادة. وهذه الحادثة لها ثلاثة أبعاد:

أولًا: إنّ السيد علي الخامنئي قد نال مقامه الرفيع. فقد قضى عمره كلّه في السعي والجهاد المخلص، والله منحه مقام الشهادة العظيم.

ثانيًا: إنّ هذه الحادثة ليست خسارةً لشعب جمهورية إيران الإسلامية وحده، بل هي ثلمة كبرى للعالم بأسره، وقد شُعِرَ بهذا الحزن بعمق في العالم الإسلامي.

ثالثًا: إنّ وجه الاستعمار العالمي الأمريكي-الإسرائيلي قدانكشف تمامًا؛ أنّهم متوحشون، ولا يلتزمون بأي قانون دولي. وحتى وفقًا لميثاق الأمم المتحدة، فإنهم غير مستعدين للالتزام بأي مبدأ.

من هذا المنطلق، أرى أنّ استشهاد السيد علي الخامنئي، مع كونه

الدكتور لياقت بلوتش

نائب أمير الجماعة الإسلامية في باكستان

خسارةً كبيرة، فإنه في الوقت نفسه يرسم للمستقبل مساراتٍ مهمة.

لقد التقيتُ به شخصيًا نحو ستّ أو سبع مرّات، ووجدته إنسانًا بالغ الحكمة، عالمًا، خطيبًا كبيرًا، وشخصًا عطوفًا ولطيفًا. كانت شخصيته شخصيةً رفيعة ومميزة.

وعلى أي حال، فإنّ هذه ليست خسارةً للشعب الإيراني وحده، بل هي خسارةٌ كبرى لكلّ القوى في العالم التي تعمل من أجل غلبة الدين، وإقامة الدين، وحاكمية القرآن والسنة، ومواجهة الاستعمار العالمي والقوى المعادية للإسلام. لكنّ استشهاد القائد، إن شاء الله، سيكون مصدر عزمٍ جديد ودافعٍ متجدّد للجميع.

لقد كانت المعركة الأساسية لآية الله الخامنئي هي وحدة الأمة الإسلامية. فقد كان يؤمن إيمانًا راسخًا بوحدة العالم الإسلامي، وكان يرى أنّه لا يكفي أن يتحرّك بلدٌ واحد، بل ينبغي أن تتّحد جميع الدول الإسلامية وقياداتها على برنامجٍ واضح؛ سواء في مجال الدفاع، أو الاقتصاد، أو على المستوى الاستراتيجي، وكذلك في ميدان العلم والتكنولوجيا.

وفي جميع المؤتمرات التي أُتيحت لي فرصة حضورها، كان المحور الرئيس في كلماته ورسائله هو وحدة المسلمين واتحاد الأمة الإسلامية.

إنّ ما نشهده اليوم من دمار في غزة، وتخريب في لبنان، وتدمير في اليمن، وصناعة الأزمات في سوريا، والاضطرابات في العراق، والمحاولات الرامية إلى زعزعة استقرار إيران، والتوتر في العلاقات بين باكستان وأفغانستان، ومأساة مسلمي الروهينغيا، والأزمة الداخلية في السودان بعد انفصال جنوب السودان، وحتى انفصال تيمور الشرقية عن إندونيسيا؛ كلّ هذه الأحداث تُظهر أنّ رسالته كانت قائمةً تمامًا على الواقع: إنّ وحدة العالم الإسلامي هي الحلّ الوحيد لمشكلاته.

كما أنّ التنسيق بين المذاهب الإسلامية، والوحدة في مواجهة القوى التي تسعى إلى تقويض الأصول الأساسية للإسلام، هو الطريق الوحيد لنجاح العالم الإسلامي.

الدكتور فؤاد إيزدي

الخبير في الشؤون الأميركية

الشهيد الخامنئي منح البشرية شجاعةً للوقوف بوجه المستكبرين

سؤال

بدأت الثورة الإسلامية مسارها منذ البداية في مواجهة قوة معادية مقتدرة تُدعى الولايات المتحدة الأمريكية، وطوال سنوات عمرها التي ناهزت الخمسين عاماً، بقيت في صراع مستمر مع أمريكا وحلفائها. وفي ظل هذه الظروف، يكتسب فهم قادة الجمهورية الإسلامية، ولا سيما الإمام الشهيد السيد الخامنئي، لهذا الكيان المعادي للثورة الإسلامية وللشعب الإيراني أهمية بالغة. برأيكم، كيف كان ينظر الإمام الشهيد آية الله العظمى السيد الخامنئي إلى الولايات المتحدة الأمريكية؟ وما هو التعريف والأبعاد التي كانت تمثلها أمريكا في نظره؟

تُعدُّ الحيازة على مستوى عالٍ من المعارف الإسلامية أحد معايير القيادة في الجمهورية الإسلامية. فلا يمكن أن تكون مجرد سياسي اعتيادي؛ ففي كثير من الدول، يكون الفرد سياسياً – وربما سياسياً ناجحاً أيضاً – لكنه يتولى مناصب قيادية بصفته سياسياً في نهاية المطاف. أما في إيران، فيجب أن تكون عالماً إسلامياً رفيع المستوى؛ وإلا فلن تستوفي ذلك المعيار. بدأت معرفة آية الله السيد الخامنئي بالولايات المتحدة منذ أن كان ناشئاً في الرابعة عشرة من عمره، وهو الوقت نفسه الذي وقع فيه انقلاب عام 1953م في إيران. وتصبح هذه القضايا قابلة للاستيعاب لمن كان في ذلك السن من أهل المطالعة الجادة.

قرأآية الله السيد الخامنئي الروايات بالرغم من نشأته في أسرة متدينة؛ ولذا عرف عن الثقافة الأمريكية ما لا يعرفه الآخرون عادةً؛ إذ يكتسب القارئ للروايات الأمريكية نوعاً من المعرفة العميقة بالمجتمع، تفوق أحياناً ما تقدمه كتب التاريخ. نضج سماحته في حقبة شهدت تيارات المقاومة المناهضة للاستعمار على المستوى الدولي في الأربعينيات والخمسينيات والستينيات. ونشطت القوى المناهضة للاستعمار في جميع أنحاء العالم، وليس في إيران فحسب، حيث كانت دول كثيرة تنال استقلالها آنذاك. فتعلم شباب جيله عموماً أشياء كثيرة، وأضحى سماحته بفضل شغفه بالمطالعة أكثر قدرةً وتميزاً من الكثير من أقرانه.

لا أدري إن كنتم قد رأيتم منزل والد سماحته أم لا؛ فهو منزل صغير، لكنه يضم غرفة تشبه المكتبة صُممت داخل الجدار. أي إنها لا تحتوي على رفوف اعتيادية، بل فُرغ جزء من

الجدار وأُوجدت مساحة توضع فيها الكتب. كانت هذه المساحة كبيرة نسبياً وتُحفظ فيها كتب كثيرة. لم يبعد منزل والده كثيراً عن حرم الإمام الرضا (ع)؛ ولذلك أقام الكثير من الزوار في مناطق قريبة من منزلهم. وبناءً عليه، التقى سماحته منذ سن مبكرة جداً أفراداً من دول مختلفة، ومنحه هذا الأمر نوعاً من الوعي الدولي الذي لا يمكن نيله عادةً حتى في بعض أحياء مدينة مثل طهران، بل يمكن اكتساب هذا النوع من الوعي في مشهد، ولا سيما بالقرب من الحرم. فقد حاز سماحته منذ ريعان شبابه على الوعي الدولي، وساهمت المطالعة الواسعة في تعزيز هذه البنية المعرفية.

من جهة أخرى، **وقع الانقلاب الأمريكي في إيران عندما كان سماحته في الرابعة عشرة من عمره؛ إذ كانت حكومة محمد مصدق قائمة وهو في سن الثانية عشرة تقريباً. شهدت إيران في عهد طفولته تحولات سياسية جسيمة، وأدرك سماحته ما فعلته الولايات المتحدة بإيران عبر ذلك الانقلاب.**

ثم صار تلميذاً للإمام الخميني (قده) حينما انتقل إلى قم؛ ولم يكن فارق السن بينهما قليلاً، فقد كان الإمام الخميني (قده) آنذاك عالماً معروفاً في قم، بينما كان آية الله السيد الخامنئي طالباً شاباً. ترك

هذا الارتباط أثراً عميقاً في نفسه. قضى سماحته سنوات طويلة في السجن وتحت التعذيب منذ وقوع انقلاب عام 1953م حتى انتصار الثورة عام 1979م. فمن الذي كان يدرب «السافاك» على التعذيب؟ إنها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. ومن الذي نصّب شاه إيران في الحكم؟ إنها الولايات المتحدة. أدت هذه التجربة المعاشة إلى أن يعرف آية الله السيد الخامنئي الولايات المتحدة على حقيقتها؛ فقد كانت إيران إحدى الدول التي تضررت بشدة من السياسات الأمريكية. صاغت تجربة الحياة هذه رؤيته الكونية، جنباً إلى جنب مع الوعي التاريخي ومعرفة الحركات المناهضة للاستعمار العالمي، إضافة إلى التعاليم الإسلامية التي تؤكد ضرورة الوقوف في وجه استكبار العصر.

كانت إحدى العبارات الأخيرة لسماحته خلال حياته المباركة هي: «لا يقبلُ مثلي بمثلِ حكم ترامب؛ كما لم يقبل الإمام الحسين عليه السلام بحكم يزيد». وبناءً عليه، تضافرت كل من المعارف الإسلامية، ومعرفة تاريخ العالم، والتجربة المعاشة، والعيش في الزمن الذي وقعت فيه تلك الأحداث لإيران؛ لتمنح سماحته فهماً عميقاً للولايات المتحدة، وتمكنه من إبقاء إيران في مسارها طوال سنوات الضغوط الأمريكية.

تَمثلت نقطتي الأولى في أن رد فعل آية الله السيد الخامنئي على تجارب حياته وما رآه في إيران، كان رد فعل طبيعياً يصدر عن أي إنسان يتمتع بمستوى متوسط من الذكاء؛ فلا يحتاج المرء بالضرورة إلى عبقرية خارقة لاستيعاب ما يمر به البلاد والعالم الإسلامي. لكن السؤال الأهم هو كيف استطاع الإمام الشهيد السيد الخامنئي مواصلة مسار المقاومة هذا؟ فعندما واجهت إيران ضغوطاً جسيمة تعرض هو نفسه لضغوط شديدة، ولاستيعاب هذا الصمود، يجب الالتفات إلى أيديولوجيته ورؤيته الكونية المستلهمة من التعاليم الإسلامية.

يُعدُّ سماحته في نهاية المطاف عالماً إسلامياً بارزاً. **كان الإمام الشهيد السيد الخامنئي يعرف التكليف الذي حدده الإسلام في مواجهة الظالمين.** وأوصله مفهوم «الاستكبار» القرآني إلى هذا الإدراك من أجل حفظ الثورة الإسلامية، وصيانة البلاد، ونصرة الأمة الإسلامية -لا بشكل فردي، بل عبر الاستعانة بالشعب-. فقد احتاج إلى تلك الخلفية الإسلامية كي يتمكن من الحفاظ على المقاومة التي ينبغي التحلي بها.

تكتشف عند التعرف على التعاليم الإسلامية أن جزءاً كبيراً من القرآن الكريم هو رواية لقصص الأنبياء الذين جاهدوا «الاستكبار» في عصرهم. ويُعدُّ استمرار وجود «الاستكبار» إلى نهاية العالم جزءاً من التعاليم الإسلامية أيضاً، وإن خُتمت النبوة. فقد كان نبي الإسلام صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، إلا أن «الاستكبار» مستمر بأشكال مختلفة في العصور المتفاوتة، ويجب على أتباع النبي (ص) مواصلة هذا النهج في مواجهة «الاستكبار»؛ وبناءً عليه، أضحى هذا الأمر جزءاً من التعاليم الإسلامية.

يأتي هذا على النقيض من الحركات القومية التي تنحو إلى القناعة والرضا بعد تحرير بلدانها، كما حدث في

«فيتنام» أو بعض الدول الأفريقية كـ«جنوب أفريقيا». بل وتنخرط في بعض الحالات -مثل «فيتنام»- في تعاون مع الولايات المتحدة؛ إذ تحولت «فيتنام» إلى نوع من الحليف لأمريكا بعد 60 عاماً من الحرب، وذلك نظراً للاعتبارات الجيوسياسية والمواجهة الأمريكية مع الصين، وبسبب مجاورة «فيتنام» للحدود الصينية. بيد أن هذا الأمر غير ممكن في إطار التعاليم الإسلامية؛ لأن مسؤوليتكم لا تقتصر على بلد واحد فحسب، بل تشمل الأمة الإسلامية بل والعالم أجمع. ولا يمكن في ظل هذه الظروف السكوت عن الظلم والاستكبار أو مهادنتهما، حتى وإن تغيرت القضايا الشخصية.

ويُعدُّ هذا أمراً تقربه الولايات المتحدة أيضاً؛ وهو أحد الأسباب الكامنة وراء استمرار سياساتها المتشددة تجاه إيران، حتى في ظل حكم الأحزاب السياسية التي تُوصف بـ«الإصلاحية». لماذا؟ لأنهم يدركون عدم قدرتهم على التعايش مع حكومة تسعى لاتباع التعاليم الإسلامية. لماذا؟ لأنه إذا قُدّر لحكومة أن تحكم بناءً على الأصول الإسلامية، فإنها ستتصدى لظلمهم واستكبارهم، على غرار ما فعله النبي صلى الله عليه وآله في عصره والأنبياء السابقون في عصورهم.

تستمرّ هذه المواجهة بين الخير والشر نتيجةً لذلك؛ إذ تُمثّل الولايات المتحدة و"إسرائيل" جانب الشر، بينما تُمثّل إيران -تحت سيادة الحكم الإسلامي- جانب الخير؛ وستستمرّ هذه المواجهة ولن تنتهي بتغييرات سطحية في السياسات الأمريكية.

ويتلخص ما أردتُ عرضه في أن **رد الفعل الأولي لآية الله السيد الخامنئي تجاه الولايات المتحدة تجذر في تجربته الشخصية؛ فقد أدى عيشه في إيران -وهي بلد يحظى بمكانة بارزة من حيث احتياطيات النفط والغاز وكان دائماً محط أنظار الولايات المتحدة- إلى تشكيل رد فعل إنساني طبيعي.**

بيد أن استمرار هذا المستوى من المقاومة حتى يومنا هذا أضحى ممكناً بفضل التعاليم الإسلامية؛ ذلك أن آية الله السيد الخامنئي عالم إسلامي، وتوفر هذه التعاليم إطاراً لمقاومة القادة المسلمين.

سؤال

نرجو أن تتفضّلوا بالحديث ببضع عبارات تكريمًا لشخصيّة الإمام الشهيد السيد الخامنئي وحول مكانته.

منح سماحته البشرية شجاعةً بفضل اتباعه للإسلام والنهج الذي سار عليه. لقد منحها للشعب الإيراني في المقام الأول، وللمجتمع الإسلامي على المستوى العالمي في المقام الثاني، ولجميع الأحرار في المقام الثالث. فقد أوجد هذه الفرصة وهذه الجسارة؛ فإذا نظرتم إلى تاريخ الجمهورية الإسلامية، تجدون حقباً شعر فيها الناس بالكلل وربما فكروا في خيارات أخرى، بيد أن سماحته اضطلع بدور فريد في حفظ الماهية الإسلامية للجمهورية الإسلامية؛ وهي الماهية التي اقتضت الصمود في وجه الاستكبار وسياسات الولايات المتحدة. ولهذا السبب، ما تزال الجمهورية الإسلامية قائمة وصامدة بعد مضي 47 عاماً.

يُعدُّ صمود نظامٍ ما لسبعة وأربعين عاماً أمراً غير اعتيادي؛ فقد اعتدنا عليه نظراً لوجوده منذ عقود، لكنه في الواقع أمرٌ استثنائي. ومع ذلك، فقد استطعنا البقاء حتى اليوم، وسيكون المسار أيسر من الآن فصاعداً؛ لأن الولايات المتحدة دولةٌ في طور الأفول، وبناءً عليه، يمكننا مواصلة هذه المقاومة. ولم يتصور أحدٌ قط قدرة إيران على تحقيق ما حققته عسكرياً حتى الآن؛ فقد حشدت الولايات المتحدة كامل قواها العسكرية، وفعلت "إسرائيل" الشيء نفسه، بيد أنهما لم تحققا أهدافهما.

آملُ أن يتفكر من يشاهد هذه المقابلة في كيفية حدوث مثل هذا الأمر؛ وإذا أمعنوا النظر حقاً، فسيدركون أن هذا تحقق بفضل آية الله السيد الخامنئي، وبفضل الناس في إيران وعلى المستوى الدولي الذين يتبعون نهجه وقيادته. ولا ينبغي نسيان العون والمدد الإلهي إلى جانب هذين العاملين؛ إذ لم يكن ليتحقق هذا الأمر دونه.

العلم والتكنولوجيا

إن العلم اليوم في خدمة أكثر البشر وأكثر المجتمعات ظلماً؛ ولا بد من إخراجه من هذه الحالة. إن نظرة الإسلام للعلم هي نظرة شريفة، نظرة نظيفة، نظرة بعيدة عن الهوى والهوس، وهي نظرة معنوية (2010/02/02). لقد بسط مستكبرو العالم سلطتهم على العالم من خلال احتكار العلم واحتكار التكنولوجيا، وجزء من هذا الضجيج الذي يثيرونه يعود إلى رغبتهم في عدم كسر هذا الاحتكار. فإذا استطاعت الشعوب أن تتقدم في القضية النووية، وفي قضية الفضاء، وفي المسائل الإلكترونية، وفي مختلف القضايا الصناعية والتكنولوجية والعلمية، فلن يبقى هناك طريق لسيادتهم القائمة على الغطرسة والبلطجة على العالم. إن إحدى أكبر الجرائم التي ارتكبت بحق البشرية هي أن العلم في الثورة الصناعية التي شهدها العالم خلال القرنين أو الثلاثة قرون الماضية، أصبح وسيلة للغطرسة (2012/02/22).

إن حقيقة القضية في التقدم العلمي الغربي هي حقيقة مريرة ومؤسفة للغاية. فمنذ أن بدأت الحركة العلمية في الغرب أساساً في القرن السادس عشر الميلادي في إيطاليا وإنجلترا وأماكن أخرى، ومنذ وقوع الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر بداية في إنجلترا؛ وما تلا ذلك من إنشاء المصانع الكبرى والآلات الضخمة التي استغرق ظهورها بضعة عقود، ثم إنتاج الثروة عبر هذا الطريق - وبغض النظر عما حدث في تلك البلاد نفسها من هدر للحقوق وفناء للفقراء وما ألحقته الطبقة التي نشأت بفعل هذه الآلات الضخمة من ظلم بالناس - فإن انتشار هذا العلم والتكنولوجيا تدريجياً في الدول الأوروبية الأخرى قد تم على حساب تدمير حرية الكثير من الشعوب، وتهديد هوية الكثير من الأمم، ووقوع ظلم عظيم مصحوب بالوحشية على الكثير من الدول والشعوب. لقد شعروا أنهم بحاجة

إلى المواد الأولية، وبحاجة إلى أسواق للبيع، وهذا كان متوفراً في الدول الأخرى؛ لذا استغلوا هذا العلم وأنتجوا المدفعية في مواجهة السيف والرمح؛ ثم انطلق البريطانيون والهولنديون والبرتغاليون والفرنسيون وبعض الدول الأوروبية الأخرى وجابوا أطراف العالم، وارتكبوا الكثير من الفواجع في العالم باستخدام أدوات العلم والتكنولوجيا، لدرجة أنها لو جُمعت لشكلت موسوعة ضخمة من عشرات المجلدات المبكية (2010/10/06).

نحن لا نريد هذا العلم. إن هذا العلم حينما ينمو ويصل إلى درجته القصوى، يغدو مثل هذا الشيء الذي تمتلكه الدول الغربية اليوم؛ يغدو قنبلة ذرية، يظهر كل هذا الظلم والجور، يصبح تدميراً للديمقراطية في أكثر الدول ادعاءً للديمقراطية - أي أمريكا - ويصبح اختلافاً طبقياً متزايداً وفجوة طبقية؛ ملايين المشردين في الشوارع، وملايين تحت خط الفقر في بلد ثري ومتقدم. هذا العلم لا فائدة منه، ونحن لا نسعى وراءه. لا تعاليم الأنبياء، ولا تعاليم الإسلام، ولا الضمير الإنساني يسوقنا إلى هذا الطريق؛ وهو لا يخلق أي شوق في الإنسان. إن العلم الذي نريده هو المقترن بالتزكية. ولماذا التزكية أولاً؟ لأن العلم ينحرف إذا لم تكن هناك تزكية. العلم أداة وسلاح؛ وهذا السلاح إذا وقع في يد إنسان سيء الطينة، خبيث وقاتل، فلن يخلق سوى الفاجعة؛ أما السلاح نفسه فيمكن أن يكون في يد الإنسان الصالح وسيلة للدفاع عن البشر، والدفاع عن حقوق الناس، والدفاع عن الأسرة. هذا العلم يجب الإمساك به حينما يكون مقترناً بالتزكية (2010/10/06).

جعلت ثقافة الهيمنة الشعوب المستضعفة تستسيغ الذلَّ وتألفُ الضيم، لذا وجبت مداواتها من أعماق نفوسها. لا بدَّ من غرسِ يقينٍ راسخٍ في النفوس بكرامةِ الإنسانِ واقتداره، وبالإيمانِ بالله، وبالقيمِ الإنسانيةِ الحقّة، وبزيفِ القوى الطاغوتيةِ؛ وتزويدِ البشرِ بهذا السلاحِ الذي لا يُثلم.

من خطاب الإمام الشهيد الخامنئي في القمة
الثامنة لحركة عدم الانحياز، 5 أيلول/سبتمبر 1986

زوروا موقع KHAMENEI.IR الإعلامي وصفحاته على شبكات التواصل الاجتماعي